الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN: ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٩١٠٦٣ - ٩ - ٧ — ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت - ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢. إسلام - تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٢٤ع BP ٣٧/٣٥ — ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ - ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٩٧٨ - ٩٦٤ - ٩١٠٦٣ - ٣ - ٥**

العنوان: ايران - قم - ٤٥ متري صدوق - صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ - ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل

طاعة أمامك أوجب
من مبارزة عدوك

خبر غرار بن الأدهم:

يقول ابن أعثم:

«خرج رجل من أهل الشام يقال له: غرار بن الأدهم، ولم يكن بالشام رجل أفرس منه، ولا أقدم في الحرب، فجعل يجول بين الصفين ويطلب البراز، فعرفه الناس، فتحاموه، ولم يخرجوا إليه.

قال: فبينا هو كذلك، إذ نظر إليه رجل من أصحاب علي «عليه السلام» يقال له: العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم.

فقال غرار بن الأدهم: من ذلك الفارس؟!

فقيل له: العباس بن ربيعة الهاشمي.

قال: فناداه غرار بن الأدهم: يا عباس!

فوقف العباس، فقال: قل ما تشاء!

فقال: هل لك في البراز؟!

فقال له العباس: هل لك في النزول؟! فإنه آئس للقفول.

فقال: قد شئت ذاك.

قال: والعباس بن ربيعة على فرس له أدهم كالغداف، وعليه درع سابغ، وفي يده سيف له، وكأن عينيه سراجاً سليط، وعيناه يبصّان من تحت المغفر كأنهما عينا أرقم. فرمى بنفسه عن فرسه، ورمى غرار بن الأدهم بنفسه عن فرسه، وهو يقول:

إن تركبوا فركوب الخيل عـادتنا أو تنزلـون فـإنـا معشـر نُـزُلُ

قال: ثم جمع كل واحد منهما فضلات درعه في منطقته، ودنا كل واحد منهما من صاحبه، وكف أهل العسكر من أعنّة خيولهم ينظرون إلى الرجلين.

قال أبو العز التميمي: فو الله ما شبهتهم إلا بما قال أبو ذؤيب الهذلي، حيث يقول:

فـتـنـازلا وتـوافقت خيلاهما وكـلاهمـا بطـل اللقاء مخدع

قال: ثم إنهما تضاربا بسيوفهما، فما قدر واحد منهما على صاحبه، لكمال لأمته.

قال: وعلي بن أبي طالب «عليه السلام» ينظر إليهما، فلا يقدر أحد على صاحبه.

قال: ونظر العباس بن ربيعة إليه، وهو يتميز في الدرع الشامي، أوتهن ـ فإن كان وهياً، فإنه من السقوط، كما قال الله تعالى: **﴿وَانْشَقَّتِ**

السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ)(1). وإن كان وهناً، فإنه من الضعف، كما قال الله تعالى: **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**(2) ـ.

قال: فنظر العباس بن ربيعة إلى ذلك الوهن في الدرع الشامي، والتقيا بضربتين، ضربه العباس بن ربيعة على ذلك الوهن، فقدّه نصفين.

قال: فكبر أصحاب علي «عليه السلام»، وخنس أصحاب معاوية.

ثم عطف العباس بن ربيعة إلى فرسه، فركبه واستوى عليه.

قال أبو العز التميمي: فقال له علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يا أبا العز! من المبارز لعدونا؟!

فقلت: ابن شيخكم العباس بن ربيعة!

قال: فصاح به علي «عليه السلام»: يا عباس! يا عباس!

قال العباس: لبيك يا أمير المؤمنين.

فقال «عليه السلام»: ألم آمرك، وآمر عبيد الله بن عباس أن لا تخلوا بمراكزكما في وقت من الأوقات، إلَّا بإذني؟!

---

(1) الآية 16 من سورة الحاقة.

(2) الآية 41 من سورة العنكبوت.

فقال العباس: أفيدعوني عدوي إلى البراز، فلا أخرج إليه؟!

فقال علي «عليه السلام»: نعم، إن طاعة إمامك أوجب عليك من مبارزة عدوك.

قال: ثم حول وجهه إلى ناحية القبلة، ورفع كفيه، وقال «عليه السلام»: اللهم! لا تنس هذا اليوم للعباس.

قال: والتفت معاوية إلى أصحابه، فقال: ما الذي قتل غرار بن الأدهم؟!

فقيل له: العباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي.

فقال معاوية: أيها الناس! من خرج إلى العباس فقتله، فله عندي من المال كذا وكذا.

قال: فوثب رجلان لخميان من بني لخم من اليمن، فقالا: نحن نخرج إليه.

فقال: اخرجا إليه، فأيكما سبق إلى قتله، فله من المال ما قد بذلت له، وللآخر مثل ذلك.

قال: فخرجا جميعاً، حتى وقفا في ميدان الحرب، ثم صاحا بالعباس ودعاه إلى البراز.

فقال العباس: إن لي سيداً حتى استأذنه في ذلك.

قال: ثم جاء إلى علي «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين! هذان رجلان من أصحاب معاوية قد خرجا، ليدعواني إلى البراز.

فقال له علي «عليه السلام»: ودّ معاوية أنه لا يبقى من بني هاشم نافخ ضرمة.

ثم قال: إلي ههنا! فتقدم إليه العباس، فقال له علي «عليه السلام»: انزل عن فرسك واركب فرسي، وهات سلاحك وخذ سلاحي.

قال: ثم نزل علي «عليه السلام» عن فرسه، ورمى سلاحه إلى العباس، وأخذ سلاح العباس، فلبسه واستوى على فرسه، ثم خرج حتى وقف بين الجمعين، كأنه العباس في زيّه و سلاحه وفرسه.

قال: فقال له اللخميان: أذن لك سيدك!.

فقال علي «عليه السلام»: ليخرج من الكذب: (**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**)(1).

قال: فتقدم إليه أحد الرجلين، فالتقيا بضربتين، ضربه علي رضي الله عنه ضربة على مرق بطنه، فقطعه نصفين.

قال: فظن الناس أنه أخطأه، ثم تحرك الفرس، فسقط الرجل قطعتين، وغار فرسه وصار إلى عسكر علي رضي الله عنه.

قال: وتقدم الآخر، فألحقه علي «عليه السلام» بصاحبه، ثم جال في ميدان الحرب، وهو يقول:(**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ**

---

(1) الآية 39 من سورة الحج.

وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[1].

قال: ثم رجع علي «عليه السلام» إلى موقفه، وعلم معاوية أنه علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فقال: قبح الله اللجاج! إنه لقعود ما ركبته إلا خذلت.

قال: فقال عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت.

فقال: اسكت أيها الإنسان! فليس هذه الساعة من ساعاتك.

فقال عمرو: إن لم تكن من ساعاتي، فرحم الله اللخميين، ولا أظنه يفعل.

فقال معاوية: إن لم يفعل، فذاك أطبق لحجرك [أضيق لجحرك]، وأخسر لصفحتك [لصفقتك][2].

---

(1) الآية 194 من سورة البقرة.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص235 - 243 و (ط دار الأضواء) ج3 ص141 - 145 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص600 و 593 وتفسير العياشي ج2 ص79 - 80 والبرهان للبحراني ج2 ص108 وكشف الغمة ج1 ص450 و 451 ومطالب السؤول ص124 و (ط أخرى) ص164 الفصل رقم 8 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص219 - 221 عن عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص179 - 181 ومروج الذهب ج3 ص18 - 20 والدرجات الرفيعة ص190 و 191.

أضاف في رواية العياشي، قوله: [قال: أجل، ولولا مصر لقد كانت المنجاة منها.

قال: هي والله أعمتك، ولولاها لألفيت بصيراً](1).

ونقول:

إيضاحات:

الأدهم: الأسود.

الغداف: غراب كبير.

سابغ: درع سابغة، أي تامة، طويلة.

سراجا سليط: السليط: الزيت، وكل دهن عصر من حب. وسراج سليط: أي سراج يوقد بدهن جيد.

يبصَّان: يبرقان، ويلمعان.

الأرقم: أخبث الحيّات، وأطلبها للناس.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص235 - 243 و (ط دار الأضواء) ج3 ص141 - 145 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص600 و 59 وتفسير العياشي ج2 ص 79 - 80 والبرهان للبحراني ج2 ص108 وكشف الغمة ج1 ص450 و 451 ومطالب السؤول ص124 و (ط أخرى) ص164 الفصل رقم 8 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص219 عن عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص179 - 181 ومروج الذهب ج3 ص18 - 20 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص119 و 120.

المنطقة: ما يشد به الرجل وسطه، كالحياصة.

المخدّع: المجرب.

اللّأمة: الدرع.

يتميز في الدرع: أي ينظر فيه بدقة وتتبع، ليعرف مواضع الخلل فيه.

وهي: تخرّق وانشق.

خنس: تأخر وانقبض.

ضرمة: ـ محركة ـ السعفة. وقيل الشيحة في طرفها نار ـ والجمرة ـ والنار.

غار الفرس: أي ذهب في الأرض على غير هدى.

القَعود من الإبل: ما يقتعده الراعي في كل حاجة.

القلوص: أي الشابة من الإبل، والبكر إلى أن يثني. والفصيل.

الجحر: كل مكان تحتفره الهوام والسباع لأنفسها.

في العبارة اختلال:

وقد ورد في هذه الرواية عبارة: «يتميز في الدرع الشامي أوتهن» ثم ألحقها بجملة معترضة، لبيان معنى: أوتهن. فذكر وجود احتمالين في المراد:

أحدهما: أن تكون مأخوذة من وهى يهي.. وهو التلاشي، والسقوط، والتخرق.

ثانيهما: أن تكون مأخوذة من وهن يهن، بمعنى ضعف.

ويبدو لنا: أن كلمة، «أوتهن» قد تعرضت لبعض التصحيف، أو طمس بعض الحروف.. أو أن القارئ لم يتمكن من القراءة الصحيحة لبعض حروفها، بسبب سقم النسخة، أو رداءة الخط مثلاً..

ولكن مما لا ريب فيه، أن المقصود هو الدلالة على أن العباس بن ربيعة، قد تأمل في درع ذلك الشامي، فوجد فيه وهياً، أو وهناً، في موضع منه، فسّدد ضربته إلى ذلك الموضع، فقتل عدوه..

كيف يمكن تفسير هذا؟!:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» سأل أبا العز التميمي عن الذي قتل غرار بن الأدهم، فقال له ابو العز: ابن شيخكم العباس بن ربيعة..

ويستوقفنا هذا الجواب هنا:

فأولاً: إن جواب أبي العز لأمير المؤمنين «عليه السلام»، كان بعيداً عن أدب الخطاب، وفيه آثار الجفاء والقسوة، التي لا ُتتَوقع عادة في مقام تعامل الرعية مع راعيها، ومتولي أمورها، ولا سيما إذا كان ذلك الراعي هو أخو الرسول، وزوج البتول، وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين.

إلا إذا فُرض أن هذا الرجل، قد انساق مع أعرابيته الجافية، والجاهلة بأقدار الرجال، والبعيدة عن الأخلاق الرضية، والآداب

الإنسانية.

ثانياً: ما معنى أن يعتبر أبو العز ربيعة بن الحارث، بن عبد المطلب، شيخ بني هاشم؟! فإن شيخ بني هاشم بعد عبد المطلب، هو أبو طالب «عليه السلام»، وليس الحارث، ولا أحد من ولده..

إلا إن كان يقصد أنه ابن أحد شيوخ بني هاشم، الذين لهم مكانتهم واحترامهم. ولكن هذا المعنى بعيد عن مساق الكلام أيضاً..

ثالثاً: كما كان أبو العز التميمي واقفاً يراقب ما يجري في ساحة المعركة، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان واقفاً ويراقب ما يجري أيضاً، فلماذا عرف أبو العز من الذي بارز ابن الأدهم، ولم يعرفه علي «عليه السلام»، وهو يرى ما يرى، ويعاين ما عاين؟!

إلا إذا فرضنا: أن في عيني أمير المؤمنين «عليه السلام» ضعفاً عن الرؤية، وكانت عينا أبي العز سليمتين..

وهذا أمر لا يستطيع أحد أن يدّعيه. فقد روي أنه في فتح خيبر رمدت عينا علي «عليه السلام» وغاب عن ساحة الميدان، وانهزم بالراية من انهزم، فطلب «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» فجيء به إليه، فتفل في عينيه، فشفاه الله، وأعطاه الراية، فاقتلع باب خيبر، وقتل مرحباً، وفتح الحصن..

يقول «عليه السلام»: «ما رمدت عيني، ولا صدعت منذ سلم

رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلي راية خيبر» أو نحو ذلك(1)..

ويمكن حل هذا الإشكال، بالأخذ برواية العياشي رحمه الله، فقد جاء فيها: أن العباس بن ربيعة، قد تكافح مع خصمه ملياً، ثم وجد وهياً في درعه، فأهوى إليه فشقه، ثم ضربه في موضع الفتق، فانتظم جوانح صدره، وكبر الناس تكبيرة عظيمة..

قال أبو الأغرّ: فسمعت قائلاً يقول من ورائي: **(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)**(2)، فالتفت، فإذا هو أمير المؤمنين «عليه السلام».

---

(1) راجع: الصواعق المحرقة (ط الميمنية بمصر) ص 76 وينابيع المودة ص208 و 286 وإحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص438 - 450 والبداية والنهاية ج7 ص339 والمنتخب من صحيحي البخاري ومسلم، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص66 ورجال الطوسي ص89 ورجال ابن داود ص223 ونقد الرجال ج5 ص315 وجامع الرواة ج2 ص459 وطرائف المقال للبروجردي ج2 ص121 ومجمع الزوائد ج6 ص122 وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي (ط التقدم بمصر) ص38 وبحار الأنوار ج34 ص363 والإعتقاد للبيهقي (ط كامل مصباح) ص151 والسيرة الحلبية (ط القاهرة) ج3 ص35 والمستدرك للحاكم ج3 ص116 وتلخيص المستدرك للذهبي ج3 ص116 وفرائد السمطين، ونظم درر السمطين ص100 ومسند الطيالسي ص26 ومناقب الإمام علي لابن المغازلي، وذخائر العقبى ص73 وتاريخ الإسلام لابن قايماز (ط القاهرة) ج20 ص193.

(2) الآية 14 من سورة التوبة.

فهذا يدل على أنه «عليه السلام» لم يكن قريباً من موقع المبارزة، ولا مراقباً، وأن في رواية ابن أعثم اختلالاً..

الإختلاف في الأشخاص:

وقد لاحظنا الروايات التي نقلت هذه الحادثة، فوجدنا أيضاً: أن ثمّة اختلافاً بينها، فراجع ما ورد في رواية ابن أعثم المذكورة آنفاً، وما ورد في رواية غيره لهذه القضية..

ولا نقصد هنا الإختلاف في الإجمال والتفصيل، أو في الزيادة والنقيصة، فنحن نعلم أن هذا لا يضر، لأن غرض الراوي قد يتعلق بنقل بعض الأحداث دون بعض، وقد يكون بصدد ذكر سائر الخصوصيات في مورد، ثم يرويها بنحو مجمل، أو مختصر في مورد آخر..

ولكننا نقول:

هناك اختلاف في أسماء الشخصيات التي تتحدث الرواية عنهم، فبينما نرى رواية ابن أعثم تذكر: أنه «عليه السلام» قال للعباس بن ربيعة: ألم آمرك, وآمر عبيد الله بن عباس أن لا تخلوا بمراكزكما؟!

فإننا نجد رواية العياشي، وغيرها تقول: إنه «عليه السلام»، قال له: «ألم أنهك، وحسناً وحسيناً «عليهما السلام» وعبد الله بن جعفر أن لا تخلوا بمركز، أو تباشروا حدثاً»؟!

ومهما يكن من أمر، فإن الرواية المتقدمة قد تضمنت أموراً مهمة، نذكر منها ما يلي:

قاتلوهم، يعذبهم الله بأيديكم:

تقول رواية العياشي: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عرف بمجرد سماعه التكبير، أن حدثاً قتالياً عظيماً ومفرحاً، قد دفع أهل الإيمان إلى التكبير في ذلك الوقت.

وأنه «عليه السلام» قرأ هذه الآية: **(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيم)(1)**.

وذلك يدل على ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» يرى أن محاربيه، هم بمثابة المشركين الذين حاربوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمره الله تعالى بقتالهم..

2 - إن الله سبحانه يريد أن يكون هذا القتال بمثابة العذاب منه تعالى لهم.. كما أنه يكون في نفس الوقت كرامة منه تعالى للمؤمنين..

3 - إنه تعالى يريد أن يلحق بأولئك الأعداء، الخزي، والذل، والهوان، حتى في هذه الدنيا.

(1) الآية 14 و 15من سورة التوبة.

4 - إن الله تعالى، هو الذي تكفل بنصر المؤمنين عليهم..

5 - إن الله تعالى يحب أن يشفي بهذا القتال صدور المؤمنين من أعدائهم، الذين آذوهم وطعنوا في دينهم.. ويريد أيضاً أن يذهب غيظ قلوب المؤمنين بهذا القتال..

ولعل السبب في ذلك:

أن حرب علي «عليه السلام» هي حرب النبي «صلى الله عليه وآله»، لقوله«صلى الله عليه وآله»: «يا علي حربك حربي»[(1)].

---

(1) الإقتصاد للطوسي ص226 والأمالي للصدوق ص156 و 656 وفضائل الشيعة ص15 وكفاية الأثر للخزاز ص151 و 157 و 184 وتهذيب الأحكام للطوسي ج1 ص10 وروضة الواعظين ص113 ومستدرك الوسائل ج1 ص19 وخاتمة المستدرك ج3 ص236 والغارات للثقفي ج1 ص62 ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» ج1 ص250 وشرح الأخبار ج1 ص216 و 306 وج2 ص102 و 382 و 397 والمسترشد للطبري ص634 ومقتضب الأثر ص10 وتفضيل أمير المؤمنين للمفيد هامش ص10 وكنز الفوائد ص281 والأمالي للطوسي ص364 و 486 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص18 والعمدة لابن بطريق ص214 و 343 و 450 والروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان ص75 والمحتضر للحلي ص68 و 173 و 315 والصراط المستقيم ج1 ص200 و 334 وج2 ص107 وج3 ص121 و 161 وحلية الأبرار ج2 ص69 وبحار الأنوار ج24 ص261 وج26 ص349 وج27 ص203 وج32 ص93 و 217 و 321 و 323 وج33 ص458 و 459 وج36 ص335 و 337 و

وهذا يحملنا أيضاً على القول بعدم الفرق بين عقوبة، وآثار، وأحكام من يحارب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن يحارب علياً «عليه السلام»، أو الإمام الحسن، أو الحسين «عليهما السلام».. مع أننا نعلم: أن حكم الخارج على حاكمه غير المعصوم، ليس كحكم الخروج على النبي «صلى الله عليه وآله».. فإن المحارب للرسول كافر جزماً.

أما المحارب للحاكم العادي، فلا يحكم بكفره..

وهذا يعطي: أن ثمّة فرقاً بين محاربة الإمام المنصوص عليه من الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، ومحاربة أي حاكم آخر، مهما كان تقياً وعادلاً..

الأمر بلزوم المركز المحدّد:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد طالب العباس بإخلاله بمركزه، بعد أن كان «عليه السلام» قد أمره بعدم الإخلال به.

ويلاحظ ما يلي:

---

348 وج37 ص272 وج38 ص117 و 119 و 248 وج39 ص18 و 307 وج40 ص43 و 93 وج65 ص45 و137 ومستدرك سفينة البحار ج8 ص350 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص279 وج18 ص24 وج20 ص221 وينابيع المودة ج1 ص172 و 200 و 253 وراجع هامش كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج6 ص263.

إن الذي ذكره العياشي، وغيره، هو: أنه «عليه السلام» قد نهى العباس بن ربيعة، والحسن والحسين «عليهما السلام»، وعبد الله بن جعفر، أن لا يخلوا بمركز، أو يباشروا حدثاً..

فلماذا اختص هؤلاء بهذا النهي دون سواهم؟!

وهل يحتمل في حق الحسنين «عليهما السلام»، وهما إمامان معصومان، أن يخلا بمركز، أو أن يباشرا حدثاً من دون إذن؟!

ولو أنهما فعلا ذلك، أليست عظمتهما تكفي للحكم بصوابية ما يقدمان عليه؟!

ونجيب:

أولاً: إن النهي عن فعل أمر ما، قد يكون لأجل إيجاد الرادع في نفس المنهي عن ذلك الفعل، مع احتمال أن يكون المنهي يحمل في داخله نوازع ورغبات تسوقه إليه.. أو مع احتمال تبلورها لديه، فينساق إلى الفعل، حيث لا يكون هناك رادع له عنه..

وقد يكون النهي عن الفعل على قاعدة: «إياك أعني واسمعي يا جارة»، حيث تدل الدلائل، وتتوافر الشواهد، التي تسوق إلى اليقين، بأن هذا الذي توجه إليه النهي، ليست لديه حالياً، ولا يمكن أن توجد لديه في المستقبل، دوافع نحو فعل بعينه.

ولكن النهي يوجه إليه، وبدرجة كبيرة من الحدّة والشدّة، ليعلم الآخرون حجم الأخطار التي تواجههم، لو أنهم ارتكبوا مثل هذا

الفعل..

ونظير ذلك، قوله تعالى عن نبيه «صلى الله عليه وآله»: **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)**(1).

وقوله أيضاً: **(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)**(2).

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» معصوم عن ذلك، وغيره.

والأمر هنا من هذا القبيل، فإن الحسنين «عليهما السلام» لا يمكن أن يخلا بمركز، أو أن يباشرا حدثاً.. ولكنه «عليه السلام» أراد أن يسمع غيرهما ذلك، لكي يعلموا أن أوامره «عليه السلام» تشمل الجميع، ولازمة الإجراء..

ثانياً: قد يكون المطلوب بتعميم النهي إلى الحسنين «عليهما السلام» هو: التخفيف على العباس بن ربيعة، وعبد الله بن جعفر، من وقع إلزامهما بمقتضى هذا النهي.. لكي لا يتوهما أن لعلي «عليه السلام» سوء ظن بهما دعاه إلى تخصيصهما بنهيه هذا..

فتكون وظيفة هذا التعميم للجميع علاجية، لسلبية توجهه للبعض..

---

(1) الآيات 44 - 46 من سورة الحاقة.

(2) الآية 65 من سورة الزمر.

ثالثاً: إن علياً «عليه السلام» حين يتعامل مع الناس بما فيهم أبناؤه وغيرهم، إنما يتعامل معهم وفق وتيرة واحدة، وهي التي يتعامل بها الناس مع بعضهم البعض، ولا يتعامل معهم بعنوان أن لديهم صفة العصمة، أو أن لهم مقام الإمامة، بل هو يصدر أوامره لهم كما يصدرها لغيرهم، ولا ينطلق في أوامره ونواهيه من علومه الغيبية، التي حباه الله تعالى بها..

كما أنه هو نفسه «عليه السلام»، لا يتعامل مع الناس بما هو معصوم عن المعصية، وعن الخطأ والسهو، والنسيان، بل يتعامل معهم بما هو بشر مثلهم، ويقول لهم: «فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة..».

وهذا الذي ذكرناه إنما هو في مجال الأمر والنهي، الذي يصدره «عليه السلام» لولديه «عليهما السلام»، فإنه لا يقول للحسنين: أنا لا أعنيكما بكلامي هذا لأجل عصمتكما مثلاً.. بل هو يأمرهما كما يأمر غيرهم. ولكنه في نفس الوقت يسعى للمحافظة على حياتهما، لكي لا ينقطع بقتلهما سلسلة الإمامة، ويعرف الناس بإمامتهما، وبفضلهما، ومكانتهما.

فهو يعمل بما يجب عليه تجاههما هنا، ويعاملهما في مجال الأمر والنهي، كما يعمل غيرهما، ويكفلهما بما يكلف به سائر الناس. كما أن الله تعالى يأمر جميع البشر حتى الأنبياء بالصلاة، ولكنه يعرِّف الناس بمكانة الأنبياء وفضلهم، ومقامهم عنده.

للتوضيح فقط:

ونحن نشير هنا إلى واحد من هذه النصوص، التي ربما يقف عندها، أو يتحير فيها، أو يخطئ بعض الناس في فهم المراد منها.. للأسباب المختلفة التي أشير إلى بعضها، أو يستغل درجة الدقة والغموض فيها، وهو النص التالي:

«عن علي بن الحسن المؤدب، عن أحمد بن محمد بن خالد، وأحمد بن محمد، عن علي بن الحسن التيمي، جميعاً عن إسماعيل بن مهران، قال: حدثني عبد الله بن الحارث، عن جابر، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: خطب أمير المؤمنين «عليه السلام» الناس بصفين ـ وذكر خطبته ـ فكان مما قاله «عليه السلام»:

«فلا تكلموني بما تُكلَّم به الجبابرة، ولا تتحفّظوا مني بما يُتحفّظ به عند أهل البادرة[1]، ولا تخالطوني بالمصانعة[2]، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي. ولا التماس اعظام لنفسي لما لا يصلح لي؛ فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه.

فلا تكفوا عني مقالةً بحق، أو مشورةً بعدلٍ، فاني لست ـ في نفسي ـ بفوق [ما] أن أُخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله

---

(1) البادرة: الحدة.

(2) المصانعة: الرشوة.

من نفسي ما هو أملك به مني؛ فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون الخ..»[1].

فظهر أنه «عليه السلام» إذا أصدر أوامره وزواجره التدبيرية، فإنه لا يستثني منها ولداً، لأجل كونه معصوماً، كما لا يستثني غيره..

لا تخلوا بمركز ولا تباشروا حدثاً:

أما فيما يرتبط بما ورد في رواية العياشي، من أنه «عليه السلام» قد أمر العباس بن ربيعة والحسنين «عليهما السلام»، وعبد الله بن جعفر، بأن لا يخلوا بمركز، ولا يباشروا حدثاً، فنقول فيه ما يلي:

أولاً: بالنسبة للإخلال بالمراكز، فهو لا يحتاج إلى مزيد بيان، فإن الإخلال بالمراكز قد يتفشى بين الناس، بل قد يتحول إلى ظاهرة شائعة، وتضييع فرصة ضبط الأمور..

وربما يجد العدو فرصته في بعض موارد الإخلال، ويورد ضربته القاصمة، التي لا دواء لها.

(1) الكافي ج8 ص356 وبحار الأنوار ج27 ص253 وج34 ص186 وج41 ص154 وج74 ص358 و 359 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص201 و (ط دار التعارف ـ بيروت) ص245 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص101 و 102 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج2 ص69 ونهج السعادة ج2 ص185 .

ثانياً: إن الإخلال بالمراكز من شأنه أن يوجب اختلاط الأمور، ويصعب على القائد وضع الخطط، لأنه سيضطر إلى ملاحقة جميع إحتمالات الإخلال، ووضع المعالجات لها، والسعي لتلافي سلبياتها.. فيشغله ذلك عن التفكير في المبادرة، ويبقى في دائرة الدفاع، والإنغلاق على النفس، ليعيش في دوامة لا يعرف نهايتها. ولا منتهى لغايتها.

وتتحول المبادرة، لتكون دائماً بيد العدو، فيورد ضرباته كيف شاء، وأنى شاء، وتحصل الهزيمة الروحية بأهل الإيمان، وتتبعها الهزيمة العملية..

ثالثاً: يلاحظ أن رواية ابن أعثم تقول: إنه «عليه السلام» أمر العباس وصاحبه، أن لا يخلا بمركزيهما.. أما رواية العياشي، فجاء الكلام فيها عاماً: وهو أن لا يخلوا بمركز. وهذا هو الأصح والأدق، فإن المطلوب هو ضبط جميع المراكز التي توكل إليه في كل حين. كما أن المطلوب هو حفظ مراكز الأشخاص الموجه إليهم الخطاب، ومراكز غيرهم، فإن الإنسان قد يحفظ مركزه، ولكنه يخل بمركز غيره، ولو بأن يطلب منه أن يتركه ويختار سواه، أو يرسله في حاجة، فيترك مركزه فارغاً، أو يغضبه، فيتخلى عن مركزه حنقاً، وتبرُّماً، وغير ذلك..

رابعاً: إن إفساح المجال للمقاتلين للإخلال بأي مركز كان، يجعل من الصعب على القائد إدارة المعركة، لأنه لا يستطيع أن يؤكد سلامة

المسار، ولا يعرف مسير الأمور، وحسن تطبيق التوجيهات..

كما أنه لا يستطيع أن يحدد نقطة بداية حركته، لأن أية نقطة يختارها لا يطمئن إلى بقائها على عهده بها. ولو أنه بدأ من نقطة مَّا، فإنه لا يستطيع الجزم بأن الأمور قد سارت وفق خطته.

وإذا حصل التبديل، واستمر الأمر على هذا المنوال.. فقد تفضي الأمور إلى أن تكون المعركة تسير في اتجاه، وقائدها يسير في اتجاه ومسار آخر مناقض له..

خامساً: لقد نهاهم «عليه السلام» عن القيام بأية مبادرة منهم، فقال «عليه السلام»: «ولا تباشروا حدثاً» لأن المبادرة حين تصبح واقعاً عملياً، تخرج عن اختيار من أطلقها، ويتلقفها العدو لكي يبطلها، أو ليوظفها لصالحه، فتتحول عبئاً يثقل كاهل الأولياء، ويفسد جهد القيادة، ويحبط بعض خططها.. ويربك حركتها، ويدخلها في متاهات لم تر أولها، ولا حسبت حساباً لآخرها..

سادساً: لقد قرّر «عليه السلام»: أن أي إخلال، أو تحرك مهما كان، وفي أي وقت وزمان يجب أن يتم بمعرفة وموافقة القائد، وبإذن صريح منه، وهذا يؤكد الحقائق التالية:

1 - أن على القائد أن يعرف بكل حدث مهما كان صغيراً.

2 - على أنه يجب أن يهيمن على كل حركة..

3 - على ضرورة الحصول على الإذن الصريح منه في أي تصرف..

4 - أن لا يترك للمقاتلين أي خيار في أي تصرف، في أي زمان، بل تستمر هذه الحالة إلى أن يرفعها القائد نفسه بصورة صريحة..

سابعاً: إن مطالبة علي «عليه السلام» لعباس بن ربيعة، تعطي: أن على القائد أن يحاسب ويطالب، وأن لا يسكت عن المخالفة، حتى لو جلبت معها نصراً مؤزراً، فإن الإنجاز هنا قد يصبح هزيمة شاملة هناك، فلا يجوز تبرير المخالفة به، ولا يعفي من الحساب والعقوبة العلنية، ولو بمستوى الملامة، وبيان أنه قد خالف وأخطأ..

بل في بعض نصوص الرواية ما دلّ على أن المخالفة، التي صدرت من العباس، كانت عظيمة وهائلة، ولا تطاق..

فقد قال ابن قتيبة: إنه «عليه السلام» قال للعباس: «طاعة إمامك، أولى بك من أجابة عدوك، ثم تغيظ واستشاط، حتى قلت: الساعة الساعة، ثم تطامن وسكن، ورفع يديه مبتهلاً. فقال «عليه السلام»: «اللهم اشكر للعباس مقامه، واغفر له ذنبه. اللهم إني قد غفرت له، فاغفر له»(1).

طاعة الإمام أوجب من مبارزة العدو:

وقد قرّر «عليه السلام» للعباس بن ربيعة قاعدة سارية على جميع الناس، ولا بد لهم من الإلتزام بها في كل وقت وزمان.. وهي

(1) راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص180.

أن طاعة إمامه أوجب عليه من مبارزة عدوه..

فقد كان واضحاً: أن العباس بن ربيعة، حين أخل بمركزه، لمجرد أن عدوّه قد دعاه إلى مبارزته، وانساق وراء الحمية، وأراد مراعاة الشيم العربية، والعمل بالرسوم والأعراف المتداولة بين أهل الجاهلية، ولم يلتفت إلى أن الإسلام قد نقض ما كان سيئاً من تلك الأعراف والرسوم، ليحل محله الصحيح والأفضل، والأولى والأكمل..

فطاعة الإمام:

1 - عبادة يثيب الله تعالى عليها. وتنقل الإنسان من أجواء الأهواء، والإنسياق معها إلى الرحاب الإلهية، التي تعطيه سموّاً روحياً، وتمنحه نظرة أوسع، وتجعله في المحل الأمنع والأرفع..

2 - إن التصرفات المحكومة بالأعراف، وبالحيثيات المرتبطة بالميول والأهواء الشخصية تفتت الجماعة، وتحولها إلى مجرّد أشخاص متمايزين لا يربطهم رابط، وقد تجلب على الشخص المتاعب، والكوارث والمصائب، وحيث لا يجد حوله ما يمكنه أن يتشبث به، أويتعاون معه، أو يستعين به، لأنه انطوى على نفسه، ورضي بأن يكرس جهده في إرضائها، والإستجابة لأهوائها.

أما طاعة الإمام فإنها تفرض عليه الإتصال بالغير، والتحرك معه، والإندماج به، وتفرض على الغير الإتصال به، ومبادلة التعاون بمثله، ليكون الجميع وحدة متكاملة، يقوي بعضهم بعضاً، ويشد بعضهم

أزر بعض. ويصبح الفرد كتيبة، والكتيبة جيشاً، والجيش سداً منيعاً، بل جبلاً شامخاً..

3 - إن طمأنينة الإمام والقائد إلى شدة التزام جيشه بأوامره، ودقته في مراعاتها، يمكِّنه من وضع خطط دقيقة، وقادرة على الإستفادة إلى الحد الأقصى من الطاقات المتوفرة لديه. فيحرك القليل، ويحقق بهم الشيء الكثير، الأمر الذي سيترك أثراً مضاعفاً على العدو، وقدراته، حيث سيخسر الكثير من الناحية العسكرية، وسيخسر أيضاً قسطاً من معنوياته، ويحد من ميله للقتال، وسيقصر من خطواته، ويثير لديه الشك والشبهة في قدراته وطاقاته..

لجاج وبغي هنا.. ومثوبة وجهاد هناك:

1 - وقد رأينا كيف أن معاوية قد ذهب باتجاه البغي واللجاج في مواجهة العباس بن ربيعة، فإنه حين قتل غرار بن الأدهم وضع جائزة لمن يقتل العباس بن ربيعة.. فدلّ بذلك على أنه يتعامل مع هذا الأمر بمنطق الثأر والحقد، والتشفِّي والإنتقام، لا لأنه كان مغرماً بحب غرار بن الأدهم، بل لأن هاشمياً هو الذي قتل هذا الفارس المقدَّم عنده.. ولا يطيق أن يرى لهاشمي إنجازاً، أو مأثرة يذكر بها.. فأراد أن يعدم ابن ربيعة الحياة، وينتهي الأمر عند هذا الحدّ..

مع أن الإنتقام لابن الأدهم من عباس بن ربيعة، لا يقدّم ولا يؤخّر في هذه الحرب، التي يريدها معاوية مطيّة للحصول على الملك..

2 - وقد استجاب اللخميان لإغراءات معاوية، وخرجا لقتل عباس بن ربيعة، لا لأجل نيل رضا الله تعالى، ولا رغبة بثواب الآخرة، بل رغبة منهما بالمال والدنيا أيضاً.

وكان همّهما هو: أن يرضى معاوية بقتله، لكي ينالا الجائزة، والحظوة عنده..

3 - قد يدعى: أن اللخميين لم يلتفتا إلى أن معاوية كان يسعى إلى التنفيس عن حقده، وأن يثأر لوجده بغيره.. فكان اللخميان، هما: وقود هذا الحقد، الذي التهمهما، وألقى بهما إلى الجحيم، والعذاب الأليم..

ولكنها دعوى بلا دليل، فلعلهما قد التفتا إلى ذلك، ولكن سوء سريرتهما، وشدة طمعهما، وتزيين الشيطان لهما قد ساقهما إلى هذا المصير المشؤوم.

4 - أما أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد بادر للمخاطرة بنفسه، لحفظ سلامة جندي عنده، ليدفع عنه مغبَّة ما جره على نفسه بمعصيته لأمره، التي أغضبت علياً «عليه السلام» وآلمته، وآذته..

5 - إن علياً «عليه السلام» لا يبادر إلى مبارزة ذينك اللخميين لموجدة له عليهما، ولا لثأر يطلبه عندهما.. بل ولا خضوعاً لحكم شرعي ألزمه بهذا الأمر ابتداءاً. وإنما عملاً بالرخصة، وطمعاً بالمثوبة، وحباً بمعونة أناس أوقعوا أنفسهم في المأزق، ودفع بلاء توجه إليهم، كانوا في غنى عن مواجهته، لو التزموا بما قد كان ينبغي لهم أن يلتزموا به..

وقد صرّح «عليه السلام» بأنه إنما يستفيد من الإذن الإلهي الصادر له الذي جاء ليمضي حكم العقل بلزوم الدفاع عن نفسه، حيث أصبح مظلوماً. فإنه لما سأله اللخميان عن سيده، إن كان قد أذن له، قال: (**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**)[1].

وإنما اعتبر هذا المورد من موارد الإذن، لأنه لم يصل إلى درجة اليقين، فإن بالإمكان تجاهل اللخميين، ولا يؤثر ذلك في مسار الحرب شيئاً.. وربما قتل اللخميان على يد من طلبا مبارزته.

6 ـ واللافت: أن الآية التي استند إليها «عليه السلام» قد تضمنت الإشارة إلى أمور، لها نحو ارتباط ذي مغزى بما كان يجري:

فأولاً: تحدثت عن مجرَّد صدور إذن لمن يبدأه غيره بالقتال.

ثانياً: إن هذا الإذن قد جاء بصيغة المبني للمفعول، أي لم يصرح بمُصدِر هذا الإذن، ولا دلّ عليه دلالة صريحة، لا بالإسم، ولا بالوصف..

ثالثاً: لم يصرّح بالمأذون به.

رابعاً: إنه ألمح بأن الإذن قد صدر لأناس صدق عليهم عنوان: «أنهم ظلموا».

خامساً: لعل السبب في ذلك: أن الإذن بالدفاع عن النفس إنما جاء

---

(1) الآية 39 من سورة الحج.

على سبيل الإمضاء لحكم العقل، الذي يجيز ذلك لكل من يقع في موقع المعتدى عليه..

وليس هذا الإذن مما يحتاج إلى إنشاء، وجعل شرعي مستقل عن حكم العقل، بحيث تكون له طاعة، ومثوبة، ومعصية، وعقوبة مستقلة. وهذا واضح..

سادساً: إنه قد أفهمنا بواسطة قوله تعالى: «بأنهم» أن سبب الإذن لهم هو مظلوميتهم، لأن الباء هي: باء السببية.

سابعاً: إنه تعالى قد لوَّح لهؤلاء المظلومين، بأن من الممكن أن يتدخل الله لنصرتهم، وذلك من خلال الحديث عن قدرته البالغة على نصرهم. ربما لأن نصرته لهم، وإن كانت مرهونة بجهدهم وعملهم، ولكنها ليست حتمية حتى لو فعلوا ذلك.

إذ لعلهم لا يستحقونها بسبب عدم توفر سائر الشرائط، كما لو كان ذلك المظلوم كافراً بالله، أو متمرداً على إمامه، أو لأنه كان هو السبب في تسلط هؤلاء الطواغيت على الأمة، أو لغير ذلك من أسباب.

فمن يكفر بالله قد ينتصر، ولكن لا يتوقع من الله أن ينصره! وكذلك الحال بمن كان سبباً في تمكين الطواغيت من رقبته، ومن رقاب الناس.

ولعل بعض هذه الأسباب هو الذي دعا أيضاً إلى إيراد الكلام بصيغة البناء للمفعول.

ثامناً: اتضح من هذه الآية: أن ثمَّة فرقاً بين أن يكون المورد مورد نصرة لله تعالى، وجهاد في سبيله، ودفاع عن دينه.. فإن التدخل الإلهي يكون حتمياً، كما في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)**(1).

وبين أن يكون الأمر مرتبطاً بالأشخاص، الذين يُعتدى عليهم ويُظلمون، فإن الله قادر على نصر المظلومين من أهل الإيمان على ظالميهم، مع توفر سائر الشرائط الموجبة، وسينزل نصره عليهم بالفعل.

أما من عداهم، فقد ينتصرون، وقد ينهزمون، وفي كلا الحالين فإن الله وإن كان قادراً على نصرتهم، ولكنه لا ينصرهم لفقدهم الشرط الأساس للنصر.

وما جرى مع الرجلين اللخميين، إنما هو من هذا القبيل، فقد ظلموا مؤمناً، فكانت همتهم مصروفة إلى قتله، للحصول على الجائزة، كما أن معاوية كان يتقصد قتل هذا المؤمن، وهو عباس بن ربيعة، لحقده على بني هاشم، وحرصه على أن لا يبقى منهم نافخ ضرمة، وكان الله قديراً على نصر هذا المظلوم، وقد نصره تعالى بعلي «عليه السلام»..

تاسعاً: إن ما فعله علي أمير المؤمنين «عليه السلام» له جهتان:

---

(1) الآية 7 من سورة محمد.

إحداهما: أنه دفاع عن المظلوم، كما دلّ عليه تبديله سلاحه بسلاح ابن ربيعة، ثم مبارزة اللخميين وقتلهما, فدفع «عليه السلام» بذلك الأذى والظلم عن العباس بن ربيعة..

وردّ الباغي، ودفع المعتدي يُعَدُّ نصراً هيأه الله تعالى للعباس بن ربيعة بقدرته، لأنه رجل مؤمن توفرت فيه الشرائط التي جعلته مورداً للطف الإلهي. وقد جسد الله تعالى نصره له على يد أمير المؤمنين «عليه السلام».

الجهة الثانية: أن اللخميين بعدوانهما وبغيهما، وسعيهما لسفك دماء مسلم بريء، مقابل الحصول على حفنة من المال، وطلب الفوز برضا معاوية بذلك.. قد استحقا المقابلة بالمثل، وجاز استحلال حرماتهما، كما استحلَّا حرمات غيرهما..

فلذلك قرأ «عليه السلام» بعد قتلهما، قوله تعالى: (**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**)(1).

ابن ربيعة يصلح ما أفسده:

إن العباس بن ربيعة، الذي أخطأ بإخلاله بمركزه أولاً، قد عاد إلى طريق الإستقامة، حيث إنه لما ندبه اللخميان للبراز، قال لهما: إن

---

(1) الآية 194 من سورة البقرة.

لي سيداً حتى أستأذنه في ذلك.

ورجع إلى علي «عليه السلام» ليستأذنه، فلم يأذن له «عليه السلام»، بل لبس «عليه السلام» لامة العباس، وبرز إلى اللخميين وقتلهما على النحو الذي ذكره إبن أعثم، وغيره..

فيكون «عليه السلام» قد علَّمنا بذلك أموراً عديدة تقدم بعضها، ونذكر منها هنا زيادة على ما قدمناه، ما يلي:

ألف: إن العسكر كله قد رأى كيف أن العباس لم يرض بالمبارزة حتى رجع إلى قائده وطلب منه الإذن، وهذا درس للأولياء يعلمهم فيه طريقة التعامل مع إمامهم وقائدهم، وأن لا يُقدموا على أمر إلا بإذنه.. وهو أيضاً أمر يزعج الأعداء، الذين لا يحبون أن يكون علي «عليه السلام» مطاعاً ومهيمناً على الأمور إلى هذا الحد.. لأن ذلك معناه أنه ممسك بزمام الأمور بقوة، وأنه لا مجال لتحقيق أي اختراق، وأصبح من الصعب على أعدائه مفاجأته بأي أمر يمكن أن يربكه، أو أن لا يكون قد حسب له حساباً..

ب: لقد قدّم «عليه السلام» بما فعله باللخميين، وبدفاعه عن العباس بن ربيعة، مثالاً يزعج معاوية. من حيث أنه يظهر له، ولأصحابه، كيف أن معاوية يدفع بأصحابه للموت دفاعاً عن شخصه، ولكن علياً «عليه السلام» يخاطر بنفسه فداءً لأصحابه.. وهذا يكرّس محبّة أصحاب علي لعلي «عليه السلام»، ونفور أصحاب معاوية من معاوية..

ج: إن الطريقة التي قتل «عليه السلام» اللخميين بها، لا بد أن تكون قد أرعبت كل قلب يخفق بين جوانح أصحاب معاوية، وأزاغت أبصارهم، وأطارت ألبابهم، كما أنها قد أثلجت صدور المؤمنين، وأعطتهم المزيد من السكينة والطمأنينة، بالإضافة إلى الشعور بالعزة والكرامة..

د: إن ما جرى قد رسم صورة فريدة لم يسجلها التاريخ، لا قبل علي «عليه السلام»، ولا بعده. وسوف تتناقلها الأجيال، وتصبح حديثهم العذب الزلال الذي يثير الإعجاب، ولا بد أن يزعج هذا معاوية وحزبه في كل حين..

ولذلك كان ندم معاوية شديداً واكيداً. وأقر على نفسه، بأنه سلك طريق اللجاج، فعاد خائباً خاسراً ومخذولاً حائراً.

هـ: ثم جاءت المحاورة الأخيرة بين ابن العاص ومعاوية، لتؤكد للناس المؤكد، وليسمع من لم يكن قد سمع منهما كيف أنهما لا يظنان أن الله تعالى سيرحم من قتل معهما.. وكيف أن ما كانا يطلبانه من كل ما يسفكانه من دماء، وما يزهقانه من أرواح هو الملك والمال والجاه. وليس الأخذ بثأر عثمان، ولا طلب رضا الله سبحانه، ولا غير ذلك، مما يدَّعونه ويعلنونه للناس العاديين..

الفصل

لقلت لـهمدان: ادخلوا بسلام

قتل حريث شبيه معاوية:

وروى المنقري:

عن محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني قال: كان فارس معاوية الذى يعده لكل مبارز ولكل عظيم حريث مولاه، وكان يلبس سلاح معاوية متشبهاً به، فإذا قاتل قال الناس: ذاك معاوية.

وإن معاوية دعاه فقال: يا حريث، اتق علياً، وضع رمحك حيث شئت. [فقال حريث: أفعل ذلك يا سيدي إن شاء الله].

فأتاه عمرو بن العاص فقال: يا حريث، إنك والله لو كنت قرشياً لأحب معاوية أن تقتل علياً، ولكن كره أن يكون لك حظها، فإن رأيت فرصة فاقحم.

وخرج علي [«عليه السلام» في هذا اليوم] أمام الخيل، وحمل

عليه حريث[1].

قال نصر: فحدثنا عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم قال: نادى حريث مولى معاوية [هذا اليوم] ـ وكان شديداً ذا بأس ـ فقال: يا علي، هل لك في المبارزة، فأقدم أبا حسن إذا شئت.

فأقبل علي «عليه السلام» وهو يقول:

أنا علي وابن عبد المطلب نحن لعمرو الله أولى بالكتب
منا النبي المصطفى غير كذب أهل اللواء والمقام والحجب
نحن نصرناه على جل العرب يا أيها العبد الغرير المنتدب

أثبت لنا يا أيها الكلب الكَلِب

ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة، فقطعه نصفين[2].

---

(1) صفين للمنقري ص272 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص215 وراجع: الأخبار الطوال ص176 وتاريخ مدينة دمشق ج12 ص335 والمناقب للخوارزمي ص223 وبحار الأنوار ج32 ص476 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص29 وشجرة طوبى ج2 ص329.

(2) صفين للمنقري ص272 و 273 وتاريخ مدينة دمشق ج45 ص485 و 486 والمناقب الخوارزمي ص223 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص515.

لكن النص الذي ذكره ابن ابن أعثم، كما يلي:

قال: فلما تنحى حريث من بين يدي معاوية، أخذ بيده عمرو بن العاص، فقال: أما والله يا حريث! لو كنت قرشياً لأحب معاوية أن تقتل علياً «عليه السلام»، ولكنه قد علم أنك عبده، فلم يختر أن يكون لك هذا الحظ، فانظر إن أصبت فرصة من علي «عليه السلام»، فأقدم عليه ولا يهولنك، فإنما هو رجل مثلك.

قال: وخرج حريث، وجعل يجول في ميدان الحرب، ويسأل البراز، ونظر إليه علي «عليه السلام»، فعلم أنه حريث غلام معاوية.

فخرج إليه علي «عليه السلام» على فرس أدهم، وهو متعمم بعمامة صفراء، لكيلا يُعرف.

ونظر إليه حريث، فناداه: أيها الفارس! لقد أسلمك علي إلى الموت إذ أخرجك إلى مثلي، ثم جاوله، وجعل علي «عليه السلام» يقول:

أنا الغلام والعزيز المنتسب　　من خير عود في مضاض المطلب
يا أيها العبد اللئيم المنتدب　　إن كنت للموت محباً فاقترب
واثبت رويداً أيها الكلب الكَلِب　　أو لا فول هارباً ثم انقلب

قال: فعلم عمرو أنه علي «عليه السلام»، فصاح بحريث، وقال: يا حريث! دونك الرجل لا يفوتنك.

فحمل حريث على علي «عليه السلام»، وداخله علي بالسيف،

فضربه ضربة أطار بها قحف رأسه، فسقط حريث إلى الأرض قتيلاً، ثم أنشأ علي يقول:

ألا احـذروا في حربكم أبا الحسن ولا ترومـوه فـذا مـن الغبن
فـإنـه يدقكـم دق الطـحن ولا يخـاف فـي الهيـاج مـن ومـن
وقد غزا في النـاس في وقت اللبن

قال: فعلم معاوية أنه علي «عليه السلام»، فاغتم على حريث غماً شديداً، ثم أقبل على عمرو، فقال: والله يا هذا! ما قتل حريثاً أحد سواك، لأني أعلم أنك أنت الذي غرّرته، وألقيته في مخاليب الأسد. ثم أنشأ معاوية يقول(1):

قال نصر: قال محمد بن عبيد الله، [عن] الجرجاني: إن معاوية جزع عليه جزعاً شديداً، وعاتب عمراً.

قال معاوية:

حريـث ألم تعلـم وجهلك ضائر بـأن عليـاً للفـوارس قـاهـر
وأن عليـاً لم يـبارزه فـارس من الناس إلا أقصدته الأظافـر
أمـرتـك أمـراً حازماً فعصيتني فجدك إذ لم تقبل النصح عاثـر
دلاك عـمرو والحـوادث جمـة غـروراً ومـا جـرت عليـك المقـادر

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص40 و 41 و (ط دار الأضواء) ج3 ص30.

وظـن حـريـث أن عمـراً نصيحه وقــد يهلــك الإنســان مــن لا يحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــاذر

أيـركـب عمرو رأسه خوف سيفه ويصـــــلى حريـــــثاً إنـــــه لفرافر(1)

وعند ابن أعثم: إنه لمماكر.

إيضاحات:

الفرافر: الأحمق.

المضاض: الخالص. والمصاص: الخالص أيضاً. ومصاص الشيء: سره ومنبته.

الجدّ: الحظ.

الكَلَب: داء يصيب الكلاب، كأنه الجنون، فتعقر الناس.

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

حريث يتشبه بمعاوية:

قد يظن ظان: أن تشبه حريث بمعاوية كان على سبيل العبث، وحب الظهور، والإدلال بالمنزلة عند الأمير.

ولكن الظاهر: أن الأمر كان أبعد من ذلك، لأن السماح للعبد بأن

---

(1) صفين للمنقري ص273 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص216.

يتشبه بالسيد، ويلبس لباسه، ليس مقبولاً، ولا مستساغاً. وربما كان جزاؤه الموت على يد ذلك السيد بالذات.

والحقيقة هي: أن ما يزعج معاوية هو: أن أهل الشام كانوا يرون علياً «عليه السلام» يباشر الحرب بنفسه، ويفدي أصحابه بروحه.. ويرون معاوية يسخو بأرواح الناس دفاعاً عن شخصه، ويريد من غيره أن يخوض الغمرات، ويعرض نفسه للأهوال لقطع الأعضاء تارة، وللموت أخرى.. ويريد لنفسه أن يكون مصوناً مرتاحاً في برجه المنيع، ليواصل إصدار النهي والأمر، لا يرف له جفن، ولا يتكدّر له خاطر..

فأراد معاوية أن يلبِّس على الناس، ويخدعهم في أمر مشاركته بالقتال، فابتكر هذه الطريقة، التي يمكن أن ينخدع بها أكثر الناس، ولا سيما إذا استطاع أن يجد في التجهيزات والوسائل الحربية ما يمكن أن يخفي كافة الملامح المميزة له عن سائر أقرانه. إلا من كان قريباً منه إلى حد المخالطة.

فاتخذ حريثاً شبيهاً له، يحسبه الناس معاوية، يجول في الميدان، ويقاتل الرجال، ويجندل الأبطال. وبذلك يكون قد أوهم عامة جيشه أنه قد شارك في الحرب، ومارس الطعن والضرب، ولم يكن بمنأى عن الأخطار التي كانت تواجهه كما تواجه غيره..

عمرو بن العاص يخدع حريثاً:

وتقدم: أن عمرو بن العاص هو الذي أغرى حريثاً بمبارزة أمير المؤمنين «عليه السلام».. لأنه أراد أن يكيد معاوية بذلك..

وربما كان سبب إقدام ابن العاص على هذا الأمر:

أولاً: أن يعبث بمعاوية، ويتلذذ بأذاه.

ثانياً: لعله كان يحتمل ـ ولو بنسبة ضئيلة ـ أن يتمكن حريث من قتل علي «عليه السلام»، ظناً منه أن فروسية حريث كانت بدرجة تسمح له بالنيل من علي «عليه السلام»..

فإن صادف الأمر ذلك، يكون قد نال ما تمنى، وسيستحسن ذلك منه معاوية.

وإن كانت الدائرة على حريث، فإنه سيكون كغيره ممن قتلهم علي «عليه السلام» ولن يستطيع معاوية أن يفعل أي شيء مع عمرو، لأنه كان بحاجة إليه..

ثالثاً: لعل عمرو بن العاص لم يكن في منأى عن الرغبة في أن يحرم معاوية من هذا الشبيه، الذي كان يدلّس به على الناس، فيظنون أن معاوية كان يشارك في القتال.

فربما كان عمرو بن العاص، قد انزعج من أن يكون هو الذي يخاطر ويغامر بنفسه وبأولاده، وينفذون أوامر معاوية لهم بالقتال، ويسعون في تشييد ملكه، وإقامة سلطانه.. ثم ينأى معاوية بنفسه

وبأحبابه عن مباشرة الحرب والقتال، ويمارس هذا الخداع للناس..

فدبّر هذه المكيدة له ولعبده.. فقتل العبد.. وأصيب سيده بالغم والهم.. والحزن والمرارة، وحرم من وسيلة الخداع التي كانت مهيأة له..

لو كنت قرشياً:

وكانت الوسيلة التي استفاد منها عمرو بن العاص في تحريض حريث على مبارزة أمير المؤمنين «عليه السلام» لافتة للنظر، فهو قد مارس إثارة المشاعر العرقية، حيث قال لحريث: لو كنت قرشياً، لأحب معاوية أن تقتل علياً «عليه السلام»..

ونلاحظ:

أولاً: إن ابن العاص ادعى لحريث أن قتل علي «عليه السلام» مكرمة، مع أنها من أعظم المثالب والمخازي.. لأنه «عليه السلام» سيد الأوصياء، وأخو أشرف وأعظم الأنبياء..

ثانياً: ادعى أن معاوية إنما يمنعه من قتل علي «عليه السلام» لكونه ليس بقرشي.. مع أنه إنما يمنعه من ذلك لمآرب أخرى، وهي حفظ حريث من القتل، ليستفيد منه في المجالات المناسبة.. والمقدورة له.

ثالثاً: إن معاوية لو قدّر أن يجد من يستطيع أن يقتل علياً «عليه السلام» في السند أو الهند لأتى به.. ولم يكن ينتظر به قرشياً ولا

غيره.

رابعاً: إن عمرواً قد ضرب على الوتر الحساس في شخصية حريث، وأنه ليس له نسب يذكر.. كما أنه عبد.. وأن هذا هو الذي أوجب حرمانه من التشريف المزعوم. فشحذ همته بذلك، وشد عزيمته على مبارزة أمير المؤمنين «عليه السلام»، فكان في ذلك حتفه.

فرصة النجاة لحريث:

إن الرجز الذي ذكر ابن أعثم، أن علياً «عليه السلام» قاله لحريث، قد تضمن أمراً لافتاً، وهو قوله «عليه السلام»:

واثبت رويداً أيها الكلب الكَلِب   أو لا، فول هارباً ثم انقلب

حيث إنه «عليه السلام» شبهه في البداية بالكلب الكَلِب، ربما لأنه لا يسعى لنفسه، وإنما هو يتعب نفسه ويشقيها بإغراء من صاحبه معاوية، الذي جاء به إلى ساحات القتال.. ويريد منه أن يعقر هذا، ويؤذي ذاك حتى كأنه كلب مصاب بداء الكَلَب..

ولكنه «عليه السلام» عاد فأعطاه فرصة النجاة، بأن يولي هارباً، ويعود من حيث جاء، وكأنه أراد أن لا يعامله بالشدّة التي يعامل بها الطغاة والمتجبرين، الذين يملكون أنفسهم، ويقرّرون ويبادرون..

سيد العرب والعجم يبارز عبداً:

وكان العرب، حتى في حروبهم، يتعاملون بمنطق التمييز

والمفاضلة، ويسمونها الكفاءة، فلا يبارز السيد الشريف عبداً، ولا يبارز ذو الحسب والنسب، والسن من كان دونه في ذلك..

ولكن علياً «عليه السلام»، قد أبطل هذه الأعراف، فهو هنا ينوّه في رجزه بكرم مَحتِده، وباهر مقامه، وعظيم منزلته، ولكنه لا يعترض على مبارزة عبد، بالرغم من أنه «عليه السلام» قد وصفه باللئيم، وبالكلب الكَلِب..

وما ذلك إلا لأن علياً «عليه السلام» يريد حفظ الدين وأهله من كل معتد أثيم، ولا يترك الطغاة والمتجبرين يعيثون في الأرض فساداً، ولا يفسح لهم المجال ليلحقوا الأذى بأي إنسان مؤمن بحجة أنه عبد، أو أنه ليس كفؤاً له في النسب، أو أن في مبارزته وهناً أو عاراً.. فإن هذه أوهام وتسويلات شيطانية، وعبادة للذات، وتلبية لرغبات وأهواء لا واقع لها، وإنما هي مجرد أوهام وأباطيل.

لو كنت بوَّاباً على باب جنَّة:

قال ابن أعثم:

واشتبكت الحرب، وذهب علي «عليه السلام»، ليطعن رجلاً من أهل الشام، فهرب الشامي من بين يدي علي «عليه السلام»، وحمل عمرو بن الحصين على علي «عليه السلام» من ورائه ليطعنه، فحمل سعيد بن قيس على ابن الحصين، فطعنه طعنة قتله، وانفلت علي «عليه السلام» فصار إلى أصحابه.

قال: وجزع معاوية على ابن الحصين جزعاً شديداً، لأنه كان من فرسان أهل الشام(1).

قال: فأنشأ الهمذاني يقول شعراً يفضل فيه علياً «عليه السلام» على معاوية.

فبلغ ذلك معاوية، فدعا بذي الكلاع الحميري، فضم إليه خيلاً عظيمة من يحصب، وكندة، ولخم، وجذام، ثم قال: اخرج واقصد بحربك همذان خاصة.

قال: فخرج ذو الكلاع في ألف رجل من قبائل اليمن، ونظر إليهم علي «عليه السلام»، فعلم أنه عيون القبائل، فنادى بأعلى صوته: يا آل همذان!

فأجابوه: لبيك، لبيك يا أمير المؤمنين!

فقال: عليكم بهذه الخيل، فإن معاوية قصدكم بها خاصة دون غيركم.

قال: فصاح سعيد بن قيس بقومه من همذان، فجمعهم قبيلة واحدة. ثم إنه أوصاهم، وحمل وحملت معه قبائل همذان، واختلطت القوم، واشتبك القتال ساعة، ثم حطمتهم خيل همذان، فقذفتهم إلى حريم معاوية، وقد قتل منهم مقتلة عظيمة، وجاء الليل فحجز بين الفريقين.

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص42 و (ط دار الأضواء) ج3 ص31 و 32.

قال: فجمع علي «عليه السلام» قبائل همذان بين يديه، ثم أقبل عليهم، فقال لهم: أنتم درعي، ورمحي، وسناني، وجنتي! والله لو كانت الجنة في يدي لأدخلتكم إياها خاصة يا معشر همذان!

فقال سعيد بن قيس: والله يا أمير المؤمنين ما نَصْرُنا إلا لله، ولا أجبنا غيره، ولقد قاتلنا مع من ليس له مثل سابقتك ولا قرابتك، فارم بنا حيث شئت، وأين أحببت، فنحن لك سامعون مطيعون.

قال: فعندها أنشأ علي «عليه السلام» أبياتا يقول:

ولما رأيت الخيل تقرع بالقنا فوارسها حمر العيون دوامي

وأعرض نقع في السماء كأنه صبابة دجن ملبس بقتام

ونادى ابن [هند] ذا الكلاع ويحصب وكندة في لخم وحي جذام

تيممت همذان الذين هم هم إذا ناب أمر جنتي وسهامي(1)

وستأتي بقية الأبيات في الفقرات التي تذكرها رواية نصر بن مزاحم، فقد روى عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم قال: فلما قتل علي حريثاً: برز عمرو بن حصين السكسكي فنادى: يا أبا حسن هلمّ إلى المبارزة.

فأنشأ علي «عليه السلام» يقول:

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص42 - 43 و (ط دار الأضواء) ج3 ص31 و 32.

مـا علتي وأنـا جلد حـازم وعـن يمينـى مـذحج القمـاقم
وعن يسـارى وائـل الـخضارم والقلـب حـولي مضر الجمـاجم
وأقبلت همـدان في الـخضـارم مشـي الجمـال البُـزَّل الخلاجـم
أقســمت بالله العلي العـالـم لا أنـثـنـي إلا بـرغـم الـراغــم

وحمل عليه عمرو بن الحصين ليضربه، فبادره إليه سعيد بن قيس، ففلق صلبه.

روى نصر، عن عمرو بن شمر قال: حدثني السِدِّي عن أبي أراكة أن علياً «عليه السلام» قال يومئذ:

دعـوت فلـبَّاني من القوم عصبة فـوارس مـن همـدان غيـر لئـام
فـوارس مــن همدان ليسوا بعُزَّلٍ غداة الـوغى مـن شـاكر وشـبام
بكــل رديـنـى وعـضــب تخاله إذا اختلـف الأقـوام شـعل ضـرام
لـهــمدان أخـلاق تودين يزينـهم وبــأس إذا لا قـــوا وحد خصام

قال: قال نصر: وفي حديث عمر بن سعد:

وجـد وصدق في الحروب ونجدة وقـول إذا قالـــوا بغـــير أثــام
متـى تــأتهم في دارهم تستضيفهم تبـت نـاعمـا فـي خدمـة وطعــام
جــزى الله هــمدان الجنان فإنـها سمام العدى في كل يوم زحـام
فلــو كـنــت بواباً على باب جنة لقـلت لـهـمدان ادخلي بسلام(1)

---

(1) صفين للمنقري ص273 و 274 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج3 ص42 و 43.

ونقول:

إيضاحات:

مذحج القماقم: الكثيروا الخير.

الخضارم: جمع خِضرم ـ بكسر الخاء ـ وهو السيد الحمول للعظائم.

البُزَّل: جمع بازل، والبعير الذي فُطِرَ نابُه، أي انشق، بدخوله في السنة التاسعة.

الخلاجم: جمع خلجم، وهو الطويل المنجذب الخلق.

شبام وشاكر: بطنان من همدان.

الرديني: الرمح، نسبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت تُقوِّم الرماح.

العضب: السيف القاطع.

سمام العدى: سمام جمع سم.

النقع: الغبار.

صبابة دجن: أي صبابة مطرٍ.

معرفة القائد بعدوِّه:

وقد بينت النصوص المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» بمجرد أن رأى ذا الكلاع قد أقبل في الكتيبة التي اختارها عرف أنه قد جاء بعيون القبائل.. وعرف أيضاً، أنهم يقصدون قبيلة همدان دون

سواها.. فبادر «عليه السلام» إلى تحذير همدان بنفسه، وأمرها بمهاجمتهم..

وهذا يعطي:

أولاً: إن من الضروري أن يكون القائد عارفاً بعدوه معرفة تامة، وأن يعرف الرئيس من المرؤوس، والبطل الشجاع من غيره، ويميِّز عيون القبائل عن سائر الناس.

ثانياً: يفترض أن يكون أيضاً قادراً على التنبؤ بمقاصد العدو، ووجهته، ولو من خلال معرفته بطبائعه ودوافعه، ومنحاه في تقدير الأمور، وفي مواجهتها. وأن يعرف أنحاء تأثيرات الأحداث فيه، وما يمكن أن تكون عليه ردّات فعله عليها.. حيث يبدو أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عرف أن هذا الهجوم إنما هو بسبب قتل عمرو بن الحصين على يد سيد همدان سعيد بن قيس رضوان الله تعالى عليه.. ولأنه «عليه السلام» كان عارفاً بنفسية وطبيعة معاوية، توقّع أن يبادر إلى الإنتقام الشرس من همدان بالذات، تنفيساً عن كربه، وحقده من جهة، وردّاً للإعتبار، وشحذاً لعزيمة أهل الشام من جهة أخرى..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد بادر لاتخاذ التدابير، وأصدر أوامره وتوجيهاته، التي تتوافق مع هذا الفهم الدقيق والعميق. واستطاع بتنبئه المبكر بهذا الأمر، وبإصداره للتوجيهات المناسبة، وفي الموقع المناسب، أن يحبط مسعى معاوية، ويبطل كيده، ويلحق الهمدانيون أنفسهم هزيمة قاسية به، وبجيشه هذا مرة أخرى..

ولو أنه «عليه السلام» أبطأ في تقديره للأمور، وفي إصدار أوامره، فلربما حلت بهمدان كارثة كبيرة، وقاسية وخطيرة..

أنتم درعي ورمحي:

ومن الأمور التي قرَّرها أمير المؤمنين «عليه السلام»، والتزم بها في حروبه، ولا بد من الإقتداء به فيها، هي أنه كان يعرف للمحسن إحسانه، ويشيد به، ويظهره على رؤوس الأشهاد، ويعطي الأوسمة المناسبة لمستحقيها.

وقد رأينا: أنه «عليه السلام» هنا بمجرد أن انتهت المعركة التي أثارها معاوية ضد همدان بواسطة ذي الكلاع، وقد حققت فيها همدان نصراً مؤزراً. بادر «عليه السلام» إلى جمع قبائل همدان بين يديه، وأثنى عليها بما تستحقه.

بل إنه «عليه السلام» قد أنشد في همدان شعراً بهذه المناسبة، وقد شاع وذاع، وطرق الأسماع.. وانتشر في الناس حتى أصبح كالمثل السائر..

ومن ذا الذي لم يسمع قوله «عليه السلام»:

ولو كنت بواباً على باب جنَّة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

أليس دخول الجنة بجواز من علي ×؟!:

وقد يقول البعض: كيف يقول علي «عليه السلام» لهمدان:

ولو كنت بوَّاباً على باب جنَّة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام؟!

وقوله «عليه السلام»: «لو كانت الجنَّة في يدي لأدخلتكم إياها خاصة»، لا سيما وأن كلمة «لو» حرف امتناع: مما يعني أنه يقول: إنني لست كذلك..

فكيف يقول ذلك؟!

أليس هو الساقي على حوض الكوثر(1)، فلا يدخل الجنة إلا من سقاه علي «عليه السلام»؟!

وأليس قد روي: أنه لا يدخل الجنَّة، إلا من كان معه جواز من علي بن أبي طالب «عليه السلام»(2).

---

(1) راجع: العمدة لابن بطريق ص231 و 237 وذخائر العقبى ص86 وحلية الأبرار ج2 ص147 وبحار الأنوار ج39 ص219 وج40 ص84 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص21 وغاية المرام ج5 ص143 وج6 ص300 وكشف الغمة ج1 ص341 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص173 وينابيع المودة ج2 ص176 و 236 و 375 و 462 و 493 والغدير ج2 ص322 و 323 وقال: أخرجه الطبراني، ومجمع الزوائد ج2 ص135 ج9 ص139 و 173 وأخرجه أحمد في المناقب، ورواه الطبراني في الأوسط، والرياض النضرة ج2 ص211 و 322 وكنز العمال ج6 ص403 وأخرجه ابن عساكر في تاريخه، وذكره السيوطي في الجمع كما في ترتيبه ج6 ص393 و 400 وتجده في المناقب للخطيب الخوارزمي ص65 و 203 وفرائد السمطين في الباب الثامن عشر، والمستدرك للحاكم ج3 ص138.

(2) راجع: الأمالي للطوسي ص290 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص7

ونجيب:

أولاً: إنه «عليه السلام» يريد أن يقول: إنه في هذه الدنيا، ليس بوَّاباً على باب جنَّة لكي يدخلهم إياها، لأنهم قد استحقوا الجنَّة منذ لحظتهم تلك، بما أظهروه من شجاعة في مواجهة المعتدين، والظالمين القاسطين، الذين أخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنهم.

ثانياً: كأنه «عليه السلام» يريد بقوله هذا، وبالشعر الذي انشده: إن استحقاقهم للجنَّة كان ظاهراً وحاسماً، بحيث يعلم القاصي والداني، بأن صاحب الجنَّة، سيكون راضياً بنفس تصرف بوّابه، ولا ينتظر منه مراجعته في هذا الأمر، ولا يعاتبه عليه..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» يريد أن يقرِّر حقيقة تقول: إن محطّ نظره «عليه السلام» هو أن دخول الجنة إن كان بالعمل الصالح

والتحصين لابن طاووس ص558 و 559 والطرائف لابن طاووس ص82 والمحتضر للحلي ص170 وبحار الأنوار ج8 ص68 وج39 ص196 و 202 و 234 وكشف الغمة ج2 ص24 ونهج الإيمان ص506 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص264 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص158 و 471 - 474 وذكر أخبار أصبهان ج1 ص342 وبشارة المصطفى ص227 و 309 وتفسير نور الثقلين ج4 ص401 وينابيع المودة ج1 ص338 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص119 عن جملة من المصادر.

بمجرده، وبالجهاد، والبذل والعطاء، لكل غال ونفيس، فإن همدان قد ضمنت ذلك. لأنها قد أعطت فوق ما يتصور.

وليس محطّ نظره «عليه السلام» شرطية استحقاق الجنَّة بالولاء والمحبة لعلي بن أبي طالب «عليه السلام»، الذي تعرضت له الروايات التي ذكرت أنه لا يدخل الجنة إلا من كان معه جواز من علي «عليه السلام» وكذلك الروايات الدالَّة على أنه هو الساقي من حوض الكوثر..

ما قاتلنا إلا لله، ولا أجبنا غيره:

ولا يمكن لأي قاريء منصف أن يمر على جواب سعيد بن قيس لأمير المؤمنين «عليه السلام» حين أثنى على همدان مرور الكرام، فإن جوابه «رحمه الله» كان في منتهى الدقّة والوعي، والإخلاص والخلوص.

فأمير المؤمنين «عليه السلام» يقول لهمدان: أنتم درعي ورمحي، وسناني وجُنَّتي.. فمن المتوقع أن يكون جواب همدان بالمزيد من الحماس، وإظهار الإخلاص له، والتفاني في الدفاع عنه، فيقولون له مثلاً: سر على بركة الله، ونحن معك وسوف نفديك بأرواحنا.. ونحو ذلك.

ولكن سعيد بن قيس اتخذ في جوابه منحى آخر، يوضح طبيعة المفاهيم التي ربّاهم عليها الإسلام والإيمان, الذي حمله أمير المؤمنين

«عليه السلام» إلى همدان التي أسلمت على يديه في اليمن.

إنه علَّمهم أن لا يكون ارتباطهم بالأشخاص، وولاءهم لهم بما هم أشخاص، بحيث ينتهي الأمر إليهم، ويقف عندهم..

بل يجب أن يكون ولاؤهم لله سبحانه، ولمن اختصهم الله بكرامته، فكانوا خيرته من خلقه، وصفوته من عباده، وقد أمر الله تعالى بولايتهم ـ فهم يحبونهم ويتولونهم ـ لأجل ذلك، ولأجل حبهم لله، وحب الله لهم، ولأجل ارتباطهم به، وإخلاصهم له تعالى، وفنائهم وتفانيهم فيه سبحانه..

ولأجل ذلك قال سعيد بن قيس: «ما نصرنا إلا لله، ولا أجبنا غيره» وهذه درجة عالية من الوعي، ومن صفاء الرؤية، وسلامة المسار، لا تجدها لدى غير أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم رضوان الله تعالى عليهم..

ثم إنه «رحمه الله» قدم شاهداً على هذا الإخلاص، وعلى تصميمهم على مواصلة هذا المسار، حين ذكر أنهم قد قاتلوا مع من ليس له مثل سابقة أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولا له مثل قرابته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقتالهم مع أمير المؤمنين «عليه السلام» أولى، وأصوب. فإن سوابقه «عليه السلام» تشهد بإن قرابته من رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت قرابة روحية وإيمانية، وحقيقية، وقرابة النور الواحد الذي انشق نصفين، فكان نصفه في صلب عبد الله، ونصفه الآخر في صلب أبي طالب، وليست

مجرد قرابة نسبية..

مضامين شعره × في همدان:

إن ما أثنى به «عليه السلام» على همدان لم يتضمن أي مبالغة، أو تعظيم وتفخيم غير متطابق مع الواقع.. ويمكن وضع ثنائه على همدان في دائرتين:

الأولى: ما أراد به التودّد لهمدان، وتقريبها، وإظهار شدة ثقته بها، ومدى اعتماده عليها. وليس في هذا أية مبالغة، أو ارتفاع، بل هو تعبير عن أمر واقعي يراه ويشعر به، أو يتوقعه منهم. فوصف همدان بقوله: «أنتم درعي، ورمحي، وسناني، وجنتي» ونحو ذلك.. وليس في هذه الأوصاف ما يمكن أن يعدّ خروجاً عن دائرة الإنصاف..

الثانية: إن ما أثنى به على همدان بذكر ما لها من خصال ومزايا في نفسها، قد نأى فيه عن ذكر الصفات الفضفاضة والإنتزاعية، التي ربما تتعرض لشيء من التهويل البياني. حين يعطي المجال للخيال، لينسج لها حللاً فضفاضة، قد تلحقها بالشعارات في دلالاتها الإقتراحية، أكثر من أن تنتظم في سلك الصفات، في مسارها العملي والتطبيقي الراهن..

نعم.. لقد حصر «عليه السلام» كلامه في بيانٍ تقريري لمجموعة من الصفات، التي يتم عرضها في قوالب تطبيقية مباشرة بصورة بسيطة وساذجة.. وبلا مبالغة أو تهويل.

والصفات التي أشار إليها هي التالية:

1 - إنهم غير لئام.

2 - ليسوا بعزَّل غداة الوغى.. أي أنهم لا يلقون سلاحهم، ويجلسون ناحية، ويقولون: هذا الأمر لا يعنينا.

3 - إن لهم أخلاقاً..

4 - هم أصحاب دين يزينهم..

5 - إنهم من أهل البأس في يوم اللقاء.

6 - لهم حدَّة في الخصام..

7 - إنهم من أهل الجدّ.

8 - من أهل الصدق في الحرب.

9 - من أهل النجدة.

10 - إنهم ملتزمون لحدود الشرع فيما يقولونه، فلا يتفوهون بما يأثمون به.

11 - إنهم إذا نزل بهم ضيف يقدمون له ما يحتاج إليه من خدمة وطعام، ويبيت ناعم البال مرتاحاً.

12 - إنهم سمام العدى في كل يوم كريهة..

وزاد في رجزه الذي قاله «عليه السلام» حين دعاه عمرو بن الحصين السكسكي للمبارزة:

13 - إن فيهم الخضارم، والخِضْرِم: السيد الحمول للعظائم.

14 - إنهم قد بلغوا سن الكمال، وتكاملت قوتهم..

15 - إنهم طوال الأجسام.

أيّنا قتل صاحبه، فالأمر له:

قال المنقري:

قال عمرو بن شمر في حديثه: ثم قام علي «عليه السلام» بين الصفين [وهو راكب فرس رسول الله «صلى الله عليه وآله»] ثم نادى: [يا ابن أبي هند(1)] يا معاوية! يكررها.

فقال معاوية: اسألوه، ما شأنه؟!

قال: أحب أن يظهر لي، فأكلمه كلمة واحدة.

فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص، فلما قارباه، لم يلتفت إلى عمرو، وقال لمعاوية: ويحك، علام يقتتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضا؟! ابرز إلي فأيُّنا قتل صاحبه، فالأمر له.

فالتفت معاوية إلى عمرو، فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما ها هنا؟! أبارزه؟!

فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل، واعلم أنه إن نكلت عنه، لم تزل سبَّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي.

فقال معاوية: يا عمرو بن العاص، ليس مثلي يخدع عن نفسه.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص46.

والله ما بارز ابن أبى طالب رجلاً قطّ إلا سقى الأرض من دمه.

ثم انصرف راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصفوف، وعمرو معه.

[فلما رأى علي «عليه السلام» ذلك ضحك وعاد إلى موقفه](1).

وفي حديث عمر قال: قال معاوية: ويحك يا عمرو، ما أحمقك، أتراني أبرز إليه ودوني عك، والأشعرون، وجذام؟!

قال: وحَقَدها معاوية على عمرو [باطناً] وقال له [ظاهراً]: ما أظنك [قلت ما قلته] يا عمرو إلا مازحاً.

فلما جلس معاوية مجلسه مع أصحابه، أقبل عمرو يمشي حتى جلس، فقال معاوية:

يا عمرو إنك قد قشرت لي العصا برضاك في وسط العجاج بـرازي

يا عمرو إنك قد أشرت بظنّة إن المبارز كالجُدَيِّ النازي

ما للملوك وللبراز وإنما حتف المبارزخطفة للبازي

ولقد أعدت فقلت مزحة مازح والمزح يحمله مقال الهازي

(1) صفين للمنقري ص274 و 275 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص217 والإمامة والسياسة ج1 ص126 وراجع: أنساب الأشراف ج3 ص85 والعقد الفريد ج3 ص334 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص38.

فــإذا الذى منتك نفسـك خـالياً قتلي، جـزاك بما نويت الجازي

فـلقد كشــفت قناعها مذمـومـة ولقــــد لبســـت بهـــا ثيـــاب الخازى(1)

فقال له عمرو: إيها أيها الرجل، أتجبن عن خصمك، وتتهم نصيحك؟! وقال مجيباً له:

مـعــاوي إن نكـلت عــن الـبراز لك الويلات فانظر فـي المخـازي

مـعـاوي مــا اجـترمت إليك ذنباً وما أنا فـي الـتي حدثت بخـازي

ومــا ذنـبــي بــأن نـــادى عـلـي وكـبش القـــوم يـدعى لـلـــبراز

لـــو بـــارزته بـــارزت لـيــثاً حديـد النـاب يخطـف كـل بــازى

ويـــزعـــم أنني أضـــمرت غشـاً جزانـي بـالـذى أضمرت جـــازى

أضبـــع فـي الـعـجاجة يا ابن هند وعنــــد البــــاه كــــالتيس الحجازي؟!(2)

لكن ابن أعثم ذكر هذه القضية، بنحو آخر، فقال:

وإذا بعلي بن أبي طالب «عليه السلام» قد برز حتى وقف بين الصفين على فرس رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(1) صفين للمنقري ص275 وراجع: الفتوح لابن اعثم ج3 ص68 - 70 و (ط دار الأضواء) ج3 ص46 و 47

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص46.

ثم نادى: يا بن أبي هند![1] إني قد أقبلت إليك، أسألك أن تحقن هذه الدماء، وتبرز إلي وأبرز إليك، فيكون الأمر لمن غلب.

قال: فسكت معاوية ولم ينطق بشيء.

فقال له ابن عمر: هذا ما كنا فيه، فابرز الآن إلى علي «عليه السلام» كما زعمت.

قال: فما نطق معاوية، وجال علي «عليه السلام» حوله.

ثم حمل على ميمنة معاوية، فأزال الرجال.

ثم حمل على ميسرته، فطحنها وكسر بعضهم على بعض، وقتل منهم جماعة. ثم رجع إلى موضعه.

ونظر عبيد الله بن عمر إلى معاوية، فإذا هو قد أزبد وتغير.

وأنشأ يقول:

برزت إلى ابن ذي يزن سعيد — وتترك في العجاجة من دعاكا
فهل (لك) في أبي حسن علي — لعل الله يمكن من قفاكا
دعاك إلى البراز فكعت عنه — ولو بارزته تربت يداكا
وكنت أصم إذ ناداك عنها — وكان سكوته عنها مناكا
فإن الكبش قد طحنت رحاه — بخطوتها ولم تطحن رحاكا
فما أنصفت صحبك يا بن هند — أترهبه وتغضب من كفاكا

---

(1) لعل الصحيح: يا بن هند.

فـلا والله مـــا أضـــمرت خـيراً ولا أظــهـرت لي إلا جـفـاكا[1]

قال: فغضب معاوية من كلام عبيد الله بن عمر.

ثم قال لعمرو: أبا عبد الله! ألا تسمع كلام ابن عمر؟!

فقال عمرو: والله لقد صدق ابن عمر، ولا يجمل بك ألا تبارز علياً «عليه السلام» إذا دعاك إلى المبارزة.

فقال معاوية: أظنك قد طمعت فيها يا عمرو!

فقال عمرو: ما طمعت فيها، ولو طمعت فيها لكنت أهلا لها، ولكني أعلم أنه لا يجمل بك أن يكون ابن عمك يدعوك إلى البراز، فلم تبرز إليه،

قال: فتبسم معاوية من قول عمرو، وأنشأ يقول:

يا عمرو إنك قد قشرت لي الـعصا ....

إلى آخر الأبيات المتقدمة..[2].

ونقول:

علينا ملاحظة الأمور التالية:

---

(1) هذه الأبيات ذكرها المنقري أيضاً في كتاب صفين ص432 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص73.

(2) الفتوح لابن اعثم ج3 ص68 ـ 70 و (ط دار الأضواء) ج3 ص46 و 47.

لو صدق معاوية:

قد يحلو للبعض أن يسجل ملاحظة هنا، حول عرض أمير المؤمنين «عليه السلام» على معاوية أن يبارزه في الميدان، فأيهما قتل صاحبه كان الأمر له، فيقول:

أولاً: كيف يجعل استحقاق الإمامة مرهوناً بقوة البطش، وبالصدفة التي قد تودي بحياة الإمام الحقيقي، ولو لعثرة فرسه به؟!

ثانياً: هل يصح للإمام المنصوب من الله أن يتنازل عن الإمامة، أو أن يعرض التنازل عنها لغير أهلها؟!

ثالثاً: لقد كان علي «عليه السلام» واثقاً من قوته، ومن فروسيته، مطمئناً إلى النتيجة، ولم يكن الأمر بالنسبة لمعاوية كذلك.. فكان رفض معاوية لطلب أمير المؤمنين «عليه السلام» منطقياً وسليماً، لا سيما إذا كنا نعلم: أن نتيجة المبارزة إن كانت هي فوز أمير المؤمنين «عليه السلام»، فهي لا تعني إلا أنه فارس شجاع، ولا تعني أنه محق فيما يدّعيه من الإمامة.. فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يخاطر معاوية بنفسه؟!

ويدل على ذلك: أن بعض أنبياء الله، قد قتلوا على يد طواغيت عصرهم، ومنهم يحيى، والعديد من أنبياء بني إسرائيل.

فهل دلّ ذلك على أن قتلهم كان صواباً، وأن الحق كان مع أولئك الطواغيت؟!

وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسين «عليه السلام»، فإن قتل

يزيد له «عليه السلام» لا يجعل الحق ليزيد!

ونجيب:

بالنسبة للسؤال الأول والثاني، نقول:

أولاً: إنه لم يقل: إن الإمامة مرهونة بالصدفة، ولا بقوة البطش، بل قال له: أينا قتل صاحبه كان الأمر له.. والمقصود بالأمر، ليس هو الإمامة الإلهية، بل هو ما جاء معاوية يقاتل من أجله، وهو السلطة على الناس. وأين هذا من الإمامة المنصوصة؟!

ثانياً: إن تسلط الغالب على الناس يكون أمراً طبيعياً، بعد أن لم يعد خصمه موجوداً، وليس هذا جعلاً للإمامة، ولا للسلطة له، وإنما هو «عليه السلام» يتحدث عن أمر حاصل وواقع قهراً..

ثالثاً: إن علياً «عليه السلام» لم يخاطر بشيء، لأنه «عليه السلام» كان على يقين من النتيجة، وهي: أن معاوية سوف يرفض ذلك، ويفتضح أمره، ويكون ذلك من أسباب وضوح الحق، وإقامة الحجة على كثيرين. وإن لم يرفض، فإنه سيقتل على يده «عليه السلام» بلا ريب..

وأما بالنسبة للسؤال الثالث، فنقول:

أولاً: إن هذا الكلام قد أجراه أمير المؤمنين «عليه السلام» على سبيل الإلزام لمعاوية بمنطقه، فإنه إنما جاء بعساكره ليحقق الغلبة بها على أهل الحق، وليسلب بها أمر حرّمه الله عليه، لكونه من الطلقاء. فإذا تم له ما أراد، فسيعلن نفسه خليفة للأمة، وسيصبح صاحب

قرارها، ومالك أمرها، انطلاقاً من الغلبة التي حققها.

وهذا ما فعله مع الإمام الحسن «عليه السلام»، بعد أن اضطر تحت وطأة الحرب، التي ظهر أنها ستنتهي بإبادة خيار الأمة وصلحائها ـ اضطر ـ لتسليم الأمر له، وفق شروط معينة، ذكرناها وذكرنا ما ترمي إليه في كتابنا: «عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني».

وهذا ما صرح به معاوية أيضاً: حين قال للناس وهو في النخيلة: إني ـ والله ـ ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا. إنكم لتفعلون ذلك. وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم.

قال شريك في حديثه: هذا هو التهتك(1).

ثانياً: إن معاوية هو من الفريق الذي يدعي أن الله تعالى يجبر الناس على أفعالهم ويوجدها بالرغم عنهم..

فقد روي عنه: أنه احتج بالجبر الإلهي، لتبرير عهده بالخلافة

---

(1) راجع: مقاتل الطالبيين ص70 و (ط المكتبة الحيدرية) ص45 و 46 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص109 وراجع: الإرشاد للمفيد ص171 و (ط دار المفيد) ج2 ص14 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص46 وشرح الأخبار ج2 ص533 وبحار الأنوار ج44 ص49 و 53 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص251 .

لولده يزيد الخَمور والفَجور..[1].

وبها برّر أيضاً منع الناس من الحصول على حقوقهم المالية من بيت مال المسلمين[2].

ومن المعلوم: أن معاوية وبني أمية وأتباعهم، يقولون: إن الله تعالى لا يفعل إلا الحسن والجميل، وما فيه خير وصلاح، ونجاح وفلاح.. فإذا اختار سبحانه ـ كما يقول معاوية وأتباعه ـ قتل علي «عليه السلام» وتولي معاوية للأمر، فهذا هو الحسَن الجميل، الذي يريده الله.. وإذا اختار قتل معاوية، فالأمر كذلك أيضاً..

فما معنى أن يمتنع معاوية من مبارزة علي «عليه السلام»؟!

ولا يجري هذا الكلام على مذهب الشيعة، لأن الشيعة وأهل البيت «عليهم السلام» لا يقولون بالجبر الإلهي، ولا ينفون التحسين والتقبيح العقليين.. كما أنهم يصرحون: بأن اختيار الإنسان قد يكون أحياناً من مقدمات الإرادة الإلهية للفعل، بمعنى أن الله تعالى لا يريد هذا الفعل إلا إذا أراده الإنسان نفسه. وقد تحدثنا عن ذلك في مورد آخر..

---

(1) راجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص158 و (تحقيق الشيري) ج1 ص205 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج4 ص239.

(2) بحار الأنوار ج31 ص274 وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص266.

وفي جميع الأحوال، نقول:

لا مبرّر لامتناع معاوية من مبارزة علي «عليه السلام» عند القائلين بأن الله تعالى يجبر الإنسان على الفعل، وانه لا أثر لإرادة البشر في الفعل أصلاً، بل الله تعالى هو الذي يريد الفعل، وهو الذي يوجده، وليس للبشر فيه أي أثر..

لقد أنصفك الرجل:

وتقدم: أن عمرو بن العاص، نصح معاوية بأن يبارز علياً «عليه السلام»، باعتبار أن نكوله عن مبارزته سيصبح سُبَّة عليه. فاعتبر ذلك معاوية غشاً من عمرو بن العاص، ومتهماً إياه بأنه قد طمع بالخلافة..

ونقول:

أولاً: إن عمرو بن العاص كان يعلم أن معاوية لا يجرؤ على مبارزة علي «عليه السلام»، ولعله أراد بمشورته هذه:

ألف: أن يعبث بمعاوية..

ب: لعله أراد بالإضافة إلى ذلك: أن يظهر جبن معاوية في ساحات القتال.. وأن ما يهمه هو حفظ نفسه، ولو بقيمة قتل الآخرين.

ج: إنه إنما يريد أن يصل إلى مبتغاه ولو على أجساد وآلام الآخرين حتى عمرو بن العاص نفسه، حيث بدا من خلال سير الأمور، أنه يزج برجالات أهل الشام، وبغيرهم من أعيان البلاد

والعباد، ويخاطر بهم جميعاً، وهذا ما صرّح به لعمرو، حيث قال له: «أتراني أبرز إليه (أي إلى علي «عليه السلام») ودوني عك، والأشعريون، وجذام»؟!

هـ: لعله أراد أيضاً: أن يرى هو، ويرى الناس ضعف معاوية، وهروبه من مواجهة علي «عليه السلام» ليكسر من عنجهيته، وغروره، وزهوه..

ثانياً: إن عمرواً، كان يعلم أن معاوية سوف يرضى بكل سُبَّة عليه في مقابل حفظ نفسه، ويشاركه في هذا ابن العاص نفسه أيضاً، وكثيرون آخرون، قد رضوا بأن يدفعوا سيف علي «عليه السلام» بفضيحة كشف عوراتهم في ساحة القتال تحت نظر أفراد الجيشين، الذين قدموا من كل كورة وحي، وسيعود اكثرهم إلى بلادهم، لتكون هذه الفضيحة هي حديثهم الممتع، ونادرتهم البديعة..

ثالثاً: وربما كان معاوية محقاً في اتهامه لابن العاص، بأنه طمع بالخلافة من بعده.

ولكن التروي في هذا الأمر يعطي: أن ذلك غير منطقي، فإن قتل معاوية على يد علي «عليه السلام» سوف يجعل قتل عمرو بن العاص، والقضاء على حركته أسهل وأيسر.. ولن يدعه علي «عليه السلام» يسرح ويمرح كما يحلو له.. بل سوف يعاجله، قبل أن يبلع ريقه، بما لا يتوقعه، ولا يطيقه..

رابعاً: لقد فضح علي «عليه السلام» معاوية بهذا العرض الذي فاجأه

به. ولم يستطع معاوية حتى أن يجد كلمة واحدة يحفظ بها ماء وجهه، ولو صورياً.

وفهم أهل الشام وأهل العراق أن معاوية يتاجر بدمائهم، وأنه أجبن مما كانوا يظنون، وان اقواله لا تتوافق مع أفعاله.. ولا مع ما يدعي أنه يدين ويعتقد به، ولا يمارسه في حياته العملية..

وظهر لهم البون الشاسع بين رجل الحق والصدق، وبين رجل الإدعاء للباطل، وصاحب الدعاوى الفارغة، وإذ قد قامت الحجة على الناس، فإن عملوا بما علموا، فلأنفسهم نظروا، وإن أصروا على الزيغ ومحاربة الحق وأهله، فإنما على نفسها تجني براقش..

فاتضح أن ما جرى في هذه الحادثة من مفردات قد أسهم في إقامة الحجة، وبيان الحق، وتمييزه عن الباطل، لكي لا يكون للناس حجة من بعد كل هذا البيان، الذي كان يتوالى في مختلف المواضع والمواقع، حتى لم يبق عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة.

فرس رسول الله ﷺ والإعلام الحربي:

وقد صرح ابن أعثم بأن أمير المؤمنين «عليه السلام»، حين برز إلى معاوية قد ركب فرس رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا يعطي: أن الإعلام العقائدي القوي، ومخاطبة الوجدان، ودغدغة المشاعر الإيمانية.. يجب ان يرافق العملية الحربية، لا أن يتوقف عندها. ويتحول إلى إعلام لا ينظر إلا بعين واحدة، ولا يهتم

إلا بالتغطية للعمليات العسكرية، لا يتعداها.. فإن هذا خطا فادح ومميت.

وعلى هذا الأساس، وفي هذا الإتجاه، نفهم ركوب علي «عليه السلام» فرس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين أراد أن يطلب من معاوية مبارزته. فإن ركوبه «عليه السلام» هذا الفرس، يدل الناس على موقع علي «عليه السلام» من الرسول، وأنه وصيه واخوه، ووارثه، وباب مدينة علمه، والأقرب من كل أحد من مصدر الهدايات الغيبية والإلهية. كما أنه يدل على موقعه «عليه السلام» من هذا الدين ومكانته فيه..

وحين يطرح «عليه السلام» اسم معاوية كمبارز له، لكي يكون الأمر لمن غلب، فإنه يذكّر الناس بأن معاوية قد جاء لحربه، ويسعى لقتله بهذه الجيوش الهائلة، ويريد الإستئثار بالأمر لنفسه، فإذا نظروا في موقع معاوية من الرسول «صلى الله عليه وآله»، فسيرون أنه كان محارباً له في أكثر عمره، ثم لمّا لم يجد سبيلاً لمواصلة الحرب استسلم تحت وطأة الخوف، ورضي أن يكون من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة.. وها هو يحارب وصي الرسول «صلى الله عليه وآله» وصهره، وأخاه.. ووارثه.. إلخ

فهل هناك إعلام أشد تأثيراً في النفوس من هذا الإعلام؟!

إن الإعلام لا يجب أن يكون دائما بالأقوال، بل قد يكون بالأفعال، بل بالأشكال والصور والمظاهر أيضاً.

حقد ابن عمر على معاوية:

قد أظهر النص المتقدم: أن هذه الحادثة، قد جرت قبل قتل عبيد الله بن عمر وقد بينت أبيات عبيد الله مدى حقده على معاوية، وحرصه على الإيقاع به، وتصغير أمره مع أنه قد جاء لنصرته، وليقاتل تحت رايته خير أهل الأرض، وسيد الأوصياء. فإن ذلك يدل على أن معاوية وابن عمر قد أصبحا من مصاديق الآية المباركة التي تقول عن أهل الباطل: **(لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)**[1].

ولكن ليت شعري ما سبب هذا الحقد بين معاوية وابن عمر؟!

ويمكن أن نجيب:

بأن من الجائز أن يكون عبيد الله، قد أحس مما جرى لمعاوية مع علي «عليه السلام»، ومن حوادث أخرى، ولا سيما قوله لابن العاص: أتراني أبرز إليه ودوني عك، والأشعريون، وجذام؟!: أن معاوية يريد أن يحقق مبتغاه، ويصل إلى ما يتمناه، ولا يهمه بعد ذلك من مات ومن عاش..

ولعله أحس أيضاً، بأن معاوية يتمنى قتله هو بالذات ليتخذ من قتله ذريعة للتشنيع على علي «عليه السلام» وتحريض الناس ضده،

---

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

فلذلك صار ابن عمر ينظر إلى معاوية نظر التيس إلى جازره. وهو لا يجد حيلة للتخلص من شبا مديته..

الفصل السابع:

حديث المقطع العامري..

مبارزة العبد عار!:

وروى المنقري:

عن عمر قال: حدثني فضيل بن خديج قال: خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكندى، ثم الطمحى [ثم قال له: من أنت أيها الرجل؟!

فقال: رجل من عك، فحمل عليه الكندي، وهو يقول:

لقد علمت عك بصفين أننا — إذا ما تلاقى القوم نطعنها شزرا

ونحمل رايات القتال لحقها — ونوردها بيضاً ونصدرها حمرا]

فتجاولا ساعة، ثم إن عبد الرحمن حمل على الشامي، فطعنه في نقرة نحره فصرعه.

ثم نزل إليه، فسلبه درعه وسلاحه، فإذا هو عبد أسود، فقال: يا

لله، لقد أخطرت نفسي لعبد أسود(1).

قال: وخرج رجل من عك ليسأل المبارزة، فخرج إليه قيس بن فهدان الكنانى، ثم البدني، فما لبث العكى أن طعنه فقتله، فقال قيس:

[وعند ابن أعثم: أن القائل هو عبد الرحمن بن يحيى الكندي:]

لقد عـــلمت عك بصفين أننا الـــخ................(2)

شهامة بني عامر:

وحمل عبد الله بن الطفيل البكائى على صفوف أهل الشام، فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم يقال له: قيس بن نهد الحنظلي اليربوعي ـ وهو ممن لحق بمعاوية من أهل العراق ـ فوضع الرمح بين كتفي عبد الله، فاعترضه يزيد بن معاوية البكائى، ابن عم عبد الله بن الطفيل، فوضع الرمح بين كتفي التميمي، وقال: والله لئن طعنته لأطعننك.

قال: عليك عهد الله، لئن رفعت السنان عن ظهر صاحبك، لترفعنه عني.

قال: نعم لك العهد والميثاق بذلك.

---

(1) صفين للمنقري ص276 و 277 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص21 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص222 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص306 .

(2) الفتوح لابن أعثم ج3 ص51 و (ط دار الأضواء) ج3 ص36.

فرفع السنان [عن] عبد الله بن طفيل، ورفع يزيد الرمح عن التميمي، فوقف التميمي فقال [ليزيد]: من أنت؟!

قال: أحد بنى عامر.

قال: جعلني الله فداكم، أينما لقيناكم وجدناكم كراما، والله إنى لآخر أحد عشر رجلاً من بنى تميم قتلتموهم اليوم.

فلما تراجع الناس عن صفين عتب يزيد على عبد الله بن الطفيل في بعض ما يعتب الرجل على ابن عمه فقال:

ألـم تـرنى حاميت عنك مناصحاً بصـفين إذ خـلاك كـل حمـيم
ونـهنهت عنـك الحنظلي وقد أتى عـلى سـابح ذى ميعـة وهزيم(1).

المقطع العامري:

ثم خرج ابن مقيدة الحمار الأسدى، [وكان ذا بأس وشجاعة] وهو مع أهل الشام، وكان في الناس ردف بشر بن عصمة، وهو الثاني في الناس، فنادى: ألا من مبارز؟! فأحجم الناس عنه.

فقام المقطع العامري وكان شيخاً كبيراً، فقال له علي: اقعد، إنك شيخ كبير، وليس معه من رهطه أحد غيره، ما كنت لأقدمك. فجلس.

ثم إنه نادى ابن مقيدة الحمار: ألا من مبارز؟! الثانية.

---

(1) صفين للمنقري ص277.

فقام المقطع، فأجلسه علي «عليه السلام» أيضاً.

ثم نادى الثالثة: ألا من مبارز؟!

فقام المقطع، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لا تردني، إما أن يقتلنى فأتعجل الجنة، وأستريح من الحياة الدنيا في الكبر والهرم، أو أقتله فأريحك منه.

فقال له علي «عليه السلام» : ما اسمك؟!

قال: أنا المقطع، قد كنت أدعى هشيماً فأصابتني جراحة فسميت مقطعا منها.

فقال له: اخرج [إليه، وأقدم عليه]، اللهم انصره ! فحمل عليه المقطع، فأجهش ابن مقيده الحمار، وكان ذكيا مجربا، فلم يجد شيئاً خيراً من الهرب، فهرب حتى مر بمضرب معاوية والمقطع على أثره، فجاز معاوية، فناداه معاوية: لقد شمص بك العراقى.

قال: لقد فعل ! ثم رجع المقطع حتى وقف في موقفه(1).

فلما كان عام الجماعة [و] بايع الناس معاوية سأل عن المقطع العامري حتى نزل عليه، فدخل عليه فإذا هو شيخ كبير، فلما رآه قال: أوه، لولا أنك في هذا الحال ما أفلتني.

قال: نشدتك الله إلا قتلتنى وأرحتني من بؤس الحياة، وأدنيتني إلى

(1) صفين للمنقري ص277 و 278.

لقاء الله.

قال: إنى لا أقتلك، وإن لي إليك لحاجة.

قال: فما حاجتك؟! قال: جئت لأواخيك.

قال: إنا وإياكم قد افترقنا في الله، أما أنا فأكون على حالي حتى يجمع الله بيننا في الآخرة.

قال: فزوجني ابنتك.

قال: قد منعتك ما هو أهون علي من ذلك.

قال: فاقبل منى صلة.

قال: فلا حاجة لى في ما قبلك.

فتركه فلم يقبل منه شيئاً(1).

طي في مواجهة جيوش معاوية:

قال: فاقتتل الناس قتالاً شديداً فعبت لطيء جموع أهل الشام، فجاءهم حمزة بن مالك [الهمداني] فقال: من، أنتم، لله أبوكم !

فقال عبد الله بن خليفة الطائى: نحن طي السهل وطي الجبل، وطي الجبل الممنوع بالنحل، ونحن حماة الجبلين، ما بين العذيب إلى العين، طي الرماح، وطي البطاح، [وطي الصفاح] وفرسان الصباح.

فقال له: بخ بخ ما أحسن ثناءك على قومك!

---

(1) صفين للمنقري ص278 و 279.

فقال:

إن كـنـت لم تشعر بنجدة معشر فـاقـدم علينـا ويـل غيـرك تشعر

ثم اقتتلوا وأنشأ يقول:

يـا طي، فدى لكم طارفى وتلادى قـاتـلـوا علـى الـدين والأحساب

ثم أنشأ يقول:

يـا طـيء الـجبال والسهل معـا إنـا إذا داع دعـا مضـطجعا
نـدب بـالسـيـف دبيباً أروعـا فـنـنزل الـمسـتلئم المقـنعا
ونـقـتـل الـمنازل السميدعا

وقال بشر بن العشوش الطائى [ثم الملقطى]:

يـا طـيء السـهول والـجبـال ألا انهضـوا بـالبيض والعـوالى
وبـالـكمـاة منـكـم الأبـطـال فـقـارعـوا أئـمـة الضـلال
السـالكيـن سبـل الـجـهـال

[وثبت القوم بعضهم لبعض، وعبد الله بن خليفة الطائي يقاتل أهل الشام في من معه من قبائل طيء أشد القتال]

قال: ففقئت عينه، فقال:

ألا يـاليـت عينى هذه مثل هذه ولـم أمـش بـين الـناس إلا بقائـد

ويـا ليت رجلى ثَمَّ طنت بنصفها ويـا ليـت كفـى ثَـمَّ طاحـت

بســــــــــــــــــــــــــــــــــــــاعدي

ويــا ليتــنى لـم أبق بعد مطرَّف وســعد وبعــد المســتنير بــن خــالـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــد

فــوارس لم تغذ الحـواضن مثلهم إذا هـــي أبـــدت عـــن خِـــدَام الخرائد(1)

وقتل نهيك بن عزيز من بنى الحارث بن عدى، وعمرو بن يزيد من بنى ذهل، وسعد بن عمر من بنى بداً.

وخرج قيس بن يزيد الكندى ـ وهو ممن فر إلى معاوية من علي «عليه السلام» ـ فخرج إليه من أصحاب علي «عليه السلام» [قيس بن عمرو بن عمير بن] يزيد، أبو العمرطة، فلما دنا منه عرفه، فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه.

وروى نصر، عن عمر قال: حدثنى رجل عن أبى الصلت التيمي، قال أشياخ من محارب: إنه كان رجل منهم يقال له عنتر بن عبيد بن خالد، وكان من أشجع الناس يوم صفين.

[وحسب قول ابن أعثم: اشتد الحرب بين الفريقين، وجعل أهل

---

(1) صفين للمنقري ص279 و 280 والفتوح لابن أعثم ج3 ص52 و 53 (ط دار الأضواء) ج3 ص37 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص21 و 22 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص224 والكامل في التاريخ ج3 ص306 و 307.

الشام يزدادون، ويعينون أصحابهم. وكذلك أهل العراق.

قال: ونظر رجل من أصحاب علي «عليه السلام» يقال له: خنثر بن عبيدة إلخ..]

فلما رأى أصحابه منهزمين أخذ ينادى: يا معشر قيس، أطاعة الشيطان آثر عندكم من طاعة الله؟!! [ألا إن] الفرار فيه معصية الله وسخطه، والصبر فيه طاعة الله ورضوانه.

[أفتختارون سخط الله على رضوانه، ومعصيته على طاعته]. [الله الله، عباد الله]

فإنما الراحة بعد الموت لمن مات محتسباً لنفسه.

وقال:

لاوألـت نفـس امرئ ولـت دبـر أنــا الـــذى لا أنثنــى ولا أفـــر
ولا يـرى مــع المعازيل الغــدر [لكــن مــع القــوم المصـــاليت الصبر][1]

فقاتل حتى ارتث.

ثم إنه بعد ذلك خرج في الخمسمائة الذين خرجوا مع فروة بن

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص285 و 286 والفتوح لابن أعثم ج3 ص53 و 54 و(ط دار الأضواء) ج3 ص37 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص224 و225 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص22.

نوفل الأشجعي، فنزلوا بالدسكرة والبندنيجين(1).

وقال ابن أعثم:

ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل «رحمه الله»، وقتل معه جماعة من أصحاب علي «عليه السلام»، وقطعت رجل علقمة بن قيس، ثم انهزم أهل الشام عن أهل العراق، وذلك في وقت المساء، فأنشأ ثعلبة بن عقبة من أهل الشام يقول:

لقينا رجـــالاً للعــراق أعــزة كأسد الشري عند حـز الغلاصم
فلــم أر فرســاناً أشــد بديــهة وأمنــع مــنهم فــي اختــلاط الملاحـــم
غداة غدت أهل العـراق كأنهـم ليــوث تلاقــي فــي فجــاج المخـــارم
إذا قلت قد ولـوا أنـابت كتـيبة ململمــة فــي البـيض ألــوى العمـــائم
وقالوا لنا: هذا علي فبايعوا فقلنـا ألا لا بالــسيوف الصـــوارم
وثـرنـا إليهم بالسيوف وبالقــنـا تدافعــهم فرســاننا بالتزاحم(2)

ونسب المنقري هذه الأبيات إلى عقبة بن سلمة أخي بني رقاش، وذكر فيها تل الجماجم، الذي كان بصفين..

---

(1) صفين للمنقري ص286.
(2) الفتوح لابن أعثم ج3 ص54 و 55 و (ط دار الأضواء) ج3 ص37 و 38.

وقال المنقري أيضاً:

ثم إن النخع قاتلت قتالاً شديداً، فأصيب منهم يومئذ بكر بن هوذة، وحنان بن هوذة، وشعيب بن نعيم من بنى بكر النخع، وربيعة بن مالك بن وهبيل، وأبي بن قيس أخو علقمة [بن قيس الفقيه]، وقطعت رجل علقمة بن قيس، فكان يقول: ما أحب أن رجلى أصح ما كانت، لما أرجو بها من حسن الثواب من ربى.

ولقد كنت أحب أن أبصر في نومى أخى وبعض إخوانى، فرأيت أخى في النوم، فقلت له: يا أخى، ماذا قدمتم عليه؟**!**

فقال: التقينا نحن والقوم فاحتججنا عند الله عز وجل، فحججناهم.

فما سررت بشيء مذ عقلت كسروري بتلك الرؤيا(1).

ونقول:

إننا نشير هنا إلى الأمور التالية:

أخطرت نفسي لعبد أسود:

تقدم: أن أحدهم قتل شخصاً، ثم تبين له أنه عبد أسود. والعبد الأسود المقتول كان من أهل الشام، والذي قتله، ثم فوجئ بكونه عبداً أسوداً.

(1) صفين للمنقري ص287 وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص22 و 23.

وقد أوضح قوله: يا لله! أخطرت نفسي لعبد أسود، أنه يتعامل مع الناس على أساس عنصري، وبمنطق يرفضه أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويرفضه الشرع، والدين، والوجدان الإنساني، والعقل السليم..

وقد تقدم: أن علياً «عليه السلام» بارز حريثاً، وهو عبد لمعاوية. وبارز وقاتل، وقتل أشتاتاً من الناس، ولم يفرِّق بين أعداء الله، ولم يصنفهم إلى رفيع ووضيع، ولا إلى قرشي وغيره، ولا إلى أبيض وأسود، ولا إلى عربي وأعجمي، لأنه يرى أن كفرهم هو أعظم خزي لهم، وأن محاربتهم لله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» تسقطهم إلى أحط الدرجات، وتجعلهم في أسفل الدركات..

سن التقاعد في الجهاد:

اعتاد الناس على إعفاء من تقدم في السن من العمل، وتخصيص راتب له، يستفيد منه في تلبية حاجاته المعيشية..

ولكننا حين نراجع قائمة القادة، وننظر في لائحة أسماء الفرسان المرموقين، والشهداء العظماء في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي حروب أمير المؤمنين «عليه السلام» مع الناكثين والقاسطين والمارقين، نرى أن كثيرين منهم، ليس فقط قد تجاوزوا سن الكهولة إلى الشيخوخة، بل فيهم الكثيرون من الطاعنين في السن، من أمثال الأشتر، وعمار بن ياسر، والمقطع العامري، وغيرهم..

وهكذا كان الحال بالنسبة لأصحاب الإمام الحسين في كربلاء.

ومن يراجع تفاصيل ما كان يجري يلمس مدى حرص هؤلاء على الشهادة، وأن لديهم شدة ظاهرة، ونكاية وأثراً باهراً في الأعداء، وحماساً واندفاعاً وإصراراً يغبطهم عليه أعظم الأبطال، وأشدّاء الرجال.

وليكن المقطع العامري أحد الشواهد الحاضرة على ذلك، والتي يمكن التعويل عليها في هذا الباب..

والذي يحسن لفت النظر إليه هنا هو:

أن الله تعالى حين أوجب الجهاد، فإنه أوجبه على كل مسلم بالغ وقادر، ولم يستثن منه إلا أصحاب الأعذار، الذين يكون عذرهم سبباً لعجزهم، فيعفيهم الله تعالى من مباشرة الحرب والقتال والنزال. أما سائر مجالات الجهاد التي يمكن أن يمارسوا دوراً فيها، ولا يوجد عذر يضعفهم عنها، فلا مانع من مشاركته فيها. بل قد يعفى الشاب كما لو كان وحيداً لأمه وأبيه، أو لأحدهما.. ومن ذلك: قول الرسول «صلى الله عليه وآله» لشاب: ارجع فكن مع والدتك، فوالذي بعثني بالحق [نبياً]، لأنسها بك ليلة خير من جهادك في سبيل الله سنة**(1)**.

---

(1) الكافي ج2 ص163 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص21 و 22 و(الإسلامية) ج11 ص13 وبحار الأنوار ج71 ص59.

والسبب في إعفاء ذوي الأعذار: أنه تعالى لا يريد أن يكون المؤمن لقمة سائغة لسيوف الأعداء، فتتقوى به معنوياتهم، وتزداد جرأتهم على الله ورسوله، كما أن إلحاق الأذى بالمؤمن العاجز، أو الضعيف، قد يصبح سبباً في الفشل والأذى الروحي لعامة أهل الإيمان..

والخلاصة: أنه لا معنى لاستثناء المسنين من الإنخراط في صفوف المقاتلين، والإقتصار على العناصر الفتية والشابة، بل المطلوب هو أن يفتح باب الجهاد لكل قادر، ما دام لا يعاني من نقص، أو لم تبلغ درجة الوهن والعجز حداً تقعده عن القيام بواجباته..

لأن وجود أهل السن والروية، والبصيرة والتدبير، والعقل والحكمة، والحنكة والتجربة بين الجند، يعطي سائر الجيش ثباتاً، وبصيرة، وروية، وطمأنينة وسكينة، هو بأمس الحاجة إليها..

وقد لمسنا في النص المتقدم حرص الرجل المسمى بالمقطَّع على مبارزة ذلك الفارس الذي جبن الناس عن مواجهته.. بالرغم من أن علياً «عليه السلام» عبّر عن رغبته في أن يتولى بعض العناصر الشابة هذه المهمة، فلم يستجب أحد من الذين حضروا في ذلك المجلس، ووجه إليهم علي «عليه السلام» الخطاب..

فكان هذا تطبيقاً عملياً، وتصديقاً للقول بالفعل لهذا المفهوم الذي ذكرناه.

عام الجماعة هو عام الفرقة:

وتقدم ذكر عام الجماعة في بعض الروايات، ونقول:

لقد دلّسوا على الناس حين أطلقوا على سنة اغتصاب معاوية أمر الأمة، وإبعاد الإمام الحسن «عليه السلام» عن المقام الذي جعله الله تعالى له، اسم عام الجماعة.

وهي سنة المحادة لله ورسوله من خلال مخالفة أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث أمر بقتل معاوية، وقوله «صلى الله عليه وآله»: إذا رأيتم معاوية على منبري فاضربوا رأسه (فاقتلوه)[1]. وأمر بنصرة علي وأهل بيته «عليهم السلام» ضد البغاة المحاربين لهم.

---

(1) مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص305 و 318 وخاتمة المستدرك ج1 ص53 و 54 وشرح الأخبار ج2 ص166 و 530 والمسترشد للطبري ص533 والتعجب للكراجكي ص104 والملاحم والفتن لابن طاووس ص230 و 231 و 329 وكتاب الأربعين للشيرازي ص629 وبحار الأنوار ج33 ص186 وج33 ص191 و 196 و 203 و 209 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص465 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص32 وج15 ص176 وتفسير القرآن للصنعاني ج1 ص24 والدرجات الرفيعة ص398 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص106 و 113 و 122 والعلل لابن حنبل ج1 ص406 والكامل لابن عدي ج2 ص146 و 209 وج5 ص98 و 101 و 103 و 200 و 201 و 314

مع أنها سنة تسلط معاوية، الذي أذل أهل الإسلام، وفرَّق المسلمين، وأذهب ريحهم، وسلَّط أهل الباطل على أهل الحق، واستبدل حكم القرآن بحكم الشيطان، تحت وطأة السيف والقهر والجبر..

المقطع يطلب من معاوية أن يقتله:

وتقدم: أن معاوية نزل على المقطع العامري بعد أن اغتصب الأمر من الإمام الحسن «عليه السلام»، وكان ينوي أن يقتله، فلما رآه شيخاً فانياً أدرك أن قتله لن ينفعه، بل هو سوف يعود عليه بالضرر الكبير، وبالفضيحة والعار، فصرف النظر عن قتله..

وقد صرّح معاوية بذلك، فقد قال له حين رأى حاله، وهو شيخ كبير: «أوّه، لولا أنك في هذا الحال لما أفلتني».

وج6 ص422 وج7 ص83 وتاريخ بغداد ج12 ص178 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص156 و 157 وسير أعلام النبلاء ج3 ص149 وج6 ص105 وميزان الإعتدال ج1 ص572 وج2 ص380 و 613 وج3 ص277 والأنساب للسمعاني ج3 ص95 وتاريخ الأمم والملوك ج8 ص186 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص312 وج9 ص240 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص141 و 142 وإمتاع الأسماع ج14 ص369 وصفين للمنقري ص216 و 221 وتنبيه الغافلين ص104 و 111.

وكأنه كان يظن أنه أعني المقطَّع كان على درجة من القوة والفتوة. ويبدو أنه كان قد خطط ليستدرجه في الكلام بما يؤدي إلى البطش به.. فلما رآه على تلك الحال من الهرم، لم يجد سبيلاً إلى ذلك. ولكنه عبر عمّا كان أضمره له. ربما ليخيف بذلك غيره ممن كان يخشى أن يتحركوا ضده..

ولكن ما لفت النظر: أن المقطَّع ناشده الله أن يقتله ويريحه.

فكيف نفسر ذلك منه؟!

وهل يمكن أن يقدم على الإلقاء بيده إلى التهلكة، مع أن الله قد نهى عن ذلك؟!

أم أن يأسه، وتعبه من الحياة، قد جرّه إلى ذلك.. مع أن الله تعالى قد ذمّ من ييأس من روح الله تعالى. وقال: **(يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)**(1).

ونجيب:

أولاً: قد يقال: ربما يكون المقطع رجلاً صالحاً في نفسه، ولكنه لا دليل لدينا على أنه كان يملك ثقافة واسعة في الشؤون الدينية. فلعله لم يكن يعلم مثلاً: أن تعريض النفس للخطر بهذه الطريقة حرام شرعاً..

---

(1) الآية 87 من سورة يوسف.

ثانياً: لعل المقطع أدرك أن قتل معاوية له، وهو بهذه السن المتقدمة، سينتهي بفضيحة هائلة لمعاوية، وسيسقط القناع عن وجهه. وتيقن أن قتله سيكون أعظم نفعاً للإسلام، وللأمة من بقائه.. ولعله على نحو التحدي لمعاوية وجواب لتهديده له بالموت، وإظهار أنه مصر على ولائه، ومطمئن إلى حسن عاقبته بسبب إصراره على الولاء لأمير المؤمنين «عليه السلام» والبراءة من أعدائه، ومنهم معاوية.

ثالثاً: لعله شعر أنه مقتول على يد معاوية على كل حال، سراً، أو جهراً، فاختار أن يقتله جهراً، لكي لا يذهب دمه هدراً، بل يكون فيه بعض النفع للإسلام مهما كان ضئيلاً.

لا مؤاخاة، ولا تزويج، ولا قبول صلة:

1 - وقد حاول معاوية أن يمارس عملية جسِّ النبض مع المقطع. بعرضه عليه أن يؤاخيه..

ولعله أراد أن يعرف إن كان المقطع مرعوباً منه أولاً، فإن كان مرعوباً، فإنه سوف يبادر بلهفة لقبول ما عرضه عليه من مؤاخاته. وإلا فإنه سوف يرفض ذلك. وهذا ما حصل..

2 - إن كلام معاوية مع المقطع قد تضمن كذباً صريحاً، وتناقضاً ظاهراً، فهو في نفس اللحظة التي يقول للمقطع: أوّه، لولا أنك في هذا الحال ما أفلتني..

يعود ليقول له مباشرة: لا أقتلك، جئت لأواخيك.

3 ـ ولو أن المقطَّع قبل بمؤاخاة معاوية، بعد ما سمعه منه من تأسفه على إفلاته منه، فإن معاوية سوف يراه غاشّاً مضمراً الشرّ له.. أو خائفاً مخادعاً يريد أن يدفع شرّه عن نفسه.

4 ـ لما فشل معاوية في مهمته هذه، تقدم إلى المقطع بعرض آخر، وهو أن يزوجه المقطع ابنته، ظناً منه أن شوكته وسلطانه يفرض على المقطع القبول بهذا العرض..

ولكنه فوجئ برفض المقطع لطلبه، الأمر الذي جعله يتيقن من أن المقطع ليس ممن يمكن إخضاعه بالترهيب..

5 ـ فلجأ إلى الخيار الثالث والأخير، وهو التطميع، وشراء ذمته بالمال.. وجاءه الرد بالرفض القاطع أيضاً..

وبذلك يكون المقطع قد قدّم نموذجاً صالحاً للتربية العلوية للروح، وللنفس الإنسانية على معاني الشيم، والإباء، والكرم.. وعلى التزام الحق والصدق في القول وفي العمل..

الفصل الثامن:

علي × وربيعة: يستوثق من هذا.. ويمدح ذاك..

ابن المعمر يكاتب معاوية:

روى نصر، عن عمر، عن سويد بن حبة النضرى، عن الحضين بن
المنذر [الرقاشى] قال: إن ناساً كانوا أتوا علياً «عليه السلام» قبل الوقعة في هذا اليوم، فقالوا: إنا لا نرى خالد بن المعمر السدوسى إلا قد كاتب معاوية، وقد خشينا أن يتابعه.

فبعث إليه علي «عليه السلام»، وإلى رجال من أشرافهم، فحمد الله ربه تبارك وتعالى وأثنى عليه.

ثم قال: أما بعد، يا معشر ربيعة، فأنتم أنصارى، ومجيبو دعوتي، ومن أوثق حي في العرب في نفسي. ولقد بلغني أن معاوية قد كاتب صاحبكم خالد بن المعمر، وقد أتيت به، وقد جمعتكم له، لأشهدكم عليه، وتسمعوا أيضاً منى ومنه.

ثم أقبل عليه، فقال: «يا خالد بن المعمر، إن كان ما بلغني عنك حقاً، فإنى أُشهد الله ومن حضرني من المسلمين أنك آمن حتى تلحق

بالعراق، أو بالحجاز، أو أرض لا سلطان لمعاوية فيها.

وإن كنت مكذوباً عليك فأبر صدورنا بأيمان نطمئن إليها».

فحلف له بالله ما فعل.

وقال رجال منا كثير: والله لو نعلم أنه فعل لقتلناه.

وقال شقيق بن ثور [السدوسى]: ما وفق الله خالد بن المعمر حين نصر معاوية وأهل الشام على علي «عليه السلام» وربيعة.

فقال له زياد بن خصفة: يا أمير المؤمنين، استوثق من ابن المعمر بالأيمان لا يغدر.

فاستوثق منه، ثم انصرفنا(1).

ونقول:

قد تضمن هذا النص أموراً عديدة، يحسن التوقف عندها، ونذكر منها ما يلي:

تقرير المتهم في الملأ العام:

قد يتوهم البعض: أن علياً «عليه السلام» قد عامل خالد بن المعمر بقسوة بالغة حين جمع له الناس، وقرّره أمامهم بأمر لم يزد

---

(1) صفين للمنقري ص287 و 288 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص225 و226 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص23.

على كونه مجرّد تهمة، وقد فضحه بذلك، وشهّر به، قبل أن يثبت أنه ارتكب ذنباً..

وكان الأنسب هوالرفق به، والتستر عليه، ومعالجة الأمور معه بعيداً عن الأنظار..

ونجيب:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» مع الحق والحق مع علي. وهو مع القرآن، والقرآن معه أيضاً. كما ورد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»(1).

فلا يمكن أن يكون الحق، ولا القرآن خلاف الأولى، ولا خلاف الصواب. فالحق والصواب، والأولى والأصح، يُعرف بعلي «عليه السلام» ومن علي «عليه السلام»..

ثانياً: إن معالجة الأمر بالخفاء، ليست قاعدة سارية في جميع الموارد، بل هي قد تكون صواباً في قضية مع شخص، وخطأ في قضية أخرى مع شخص آخر، لأنها قد تشجع على مواصلة طريق الإنحراف، وتؤمن له غطاءً يتستر به، ويرى نفسه في مأمن من الرقابة، التي تربكه، وتحدّ من تحركاته..

هذا إن قلنا: إن ذنب خالد بن المعمر كان مستوراً، وإلا فإن ذنب خالد بن المعمر كان مستوراً، وإلا فإن ذنب خالد بن المعمر لم يكن

---

(1) تقدمت المصادر لذلك، فراجع.

من الذنوب التي بين العبد وربه، بل هو ذنب أعظم من ذلك، وله آثار سلبية خطيرة تنعكس على الدين وأهله.

ثالثاً: إن ما فعله أمير المؤمنين «عليه السلام»، لم يزد في فضيحة الرجل شيئاً، لأن أمر خالد كان قد افتضح، وشاع وذاع، وملأ الأسماع. وما فعله «عليه السلام» هو حصر الأمر في طائفة من الوجهاء العقلاء، الذين كانت كلمتهم مسموعة، وهم الذين يمسكون بالقرار في محيط قبيلة ربيعة، التي كان خالد منها..

فإذا استطاع «عليه السلام» أن يحصر الأمر فيهم، يكونون هم الذين يتحملون مسؤولية ما يكون من صاحبهم، فإنه يمكن السيطرة على قضية خالد بن معمر، وتحويلها إلى قضية فردية، محصورة بشخص بعينه، ولا يبقى لها أي تفاعلات تؤدي على شقّ الصف، وإثارة خلافات كبيرة وخطيرة..

وهذا هو الإجراء الحكيم، والتصرف الصحيح والسليم.. ولو أنه «عليه السلام» أهمل الأمر، وغض النظر، لتفاقمت الأمور، وفقدت الثقة، وزادت الخلافات، وانشقت الصفوف، وهذا ما لا يمكن غض النظر عنه.

ثناء علي × على ربيعة:

ويلاحظ: أن الثناء الذي اختص به «عليه السلام» ربيعة، لم يتضمن أية مبالغة في القول، ولا إغراقاً في التوصيف، بل وصفهم

بما يشاركهم به غيرهم.

فربيعة أنصاره، وكذلك غير ربيعة.

وربيعة مجيبوا دعوته. وكذلك الآخرون..

وهي أيضاً من أوثق حي في العرب في نفسه، وهذا يعني أن هناك أحياء أخرى تشاركهم في هذه الأوثقية، التي تكون ربيعة جزءاً منها، كما دلت عليه كلمة «من» المفيدة للتبعيض.

لا إحراج، ولا إخراج:

ورغم أن تهمة مكاتبة العدو خطيرة، ولا يمكن أن تحتمل، أو أن يتغاضى عنها، ولا سيما إذا كانت الحرب قائمة على قدم وساق. والشهداء يسقطون بالمئات، والألوف.

بل يتعامل الناس في مثل هذه الظروف مع أضعف الإحتمالات بحدّة وشدّة متناهية، لا سيما مع فورة العواطف وهيجانها، وقد بلغ التشنج أقصى مداه..

فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد واجه هذه القضية بكل هدوء وإغماض.. فهو قد أجرى محاكمة ميدانية قد اعتاد أن يرى الناس فيها المتهمين أجساداً بلا أرواح، وقد اسطلمتهم البليّة، ولم تبق منهم، ولم تزر.

ولكن علياً «عليه السلام» يخالف كل التوقعات، وتكون محاكمته الميدانية مثالاً للرفق، والتسامح، والعفو، كما سنرى..

ما جرى في المحاكمة الميدانية:

ونستطيع أن نجمل وقائع هذه المحاكمة الميدانية الفريدة والمجيدة على النحو التالي:

أولاً: إنه «عليه السلام» ليس فقط لم يتابع التحقيق في هذه القضية، بل هو قد صرف النظر عن التحقيق فيها بصورة تامة.. فلم يطلب شهوداً على الإثبات، ولا طلب، أو حاول أن يسأل المتهم عن دلائل براءته، أو عما يصلح أن يكون قرينة عليها..

ثانياً: إنه لم يحاكم خالد بن معمر غيابياً، ولا عقد مجلس مشورة مع الأشراف والأعيان في غياب المتهم.. بل بعث إلى المتهم في نفس الوقت الذي بعث فيه إلى أولئك الأشراف.

ثالثاً: إن الذين طلب منهم الحضور هم قوم المتهم، الذين يفترض فيهم أن يتعصبوا له، وأن يعطفوا عليه، ويكون ميلهم إليه، لا سيما إذا كانوا يرغبون في تبرئته، والذب عنه، لكي لا يلحقهم شيء من عار خيانته..

ولم يحضر أحداً من غيرهم، فمن قد لا يهتم لما يحل به، أو ربما دعاه التنافس القبلي للتحامل عليه..

رابعاً: إنه «عليه السلام» حين حضروا لديه، أخبرهم: أنه يثق بهم، وأنه يريد منهم أن يسمعوا منه ومن خالد بن المعمر.. أي أنه أعطى للمتهم فوق ما كان يتوقعه، وجعل نفس الميزة التي جعلها

لنفسه، ولم يميّز نفسه عنه، بل هو لم يقدمه لهم على أنه متهم، بل قدمه لهم على أساس أن المطلوب هو السماع منه، تماماً كما أن المطلوب هو سماعهم من علي «عليه السلام»..

خامساً: إنه «عليه السلام» لم يصرّح، ولم يلمح بأنه يريد إدانته، ولا إهانته، بل قال: أنه يريد أن يسمعهم كلامه، ويجهر لهم بتعهداته، ليشهدوا عليه بها حين يحتاج الأمر إلى ذلك..

خياران كلاهما لصالح المتهم:

1 - وكان علي «عليه السلام» هو المبادر لتقديم مضمون قرار جاء لصالح المتهم ماءة بالماءة.

وكون علي «عليه السلام» هو المبادر لاقتراح الحل، يعطي المتهم سكينة، وطمأنينة إلى أنه «عليه السلام» كان راضياً كل الرضا بمضمونه، ولا مجال لتوهم أن رضاه بما اقترحه عليه الآخرون لم يكن حقيقياً، فلعله رضي به مجاراة لهم مع عدم اقتناعه به، أو لأنه لم يرد أن يحرجهم، أو لغير ذلك من أسباب..

وقد تتضخم لديه هذه التوهمات إلى حد أنه لا يأمن على نفسه من العودة للمحاسبة حين تتبدل الأحوال، وتتغير الظروف..

2 - إنه «عليه السلام» أعلم خالداً بأن أمراً مَّا قد بلغه عنه، وأن هذا الأمر يحتاج إلى معالجة، ولم يصرح له بما بلغه..

3 - إنه «عليه السلام» لم يقل له، إنه قاطع بصحة ما بلغه عنه،

بل أورد كلامه عنه على سبيل التشكيك حين صدّره بكلمة: «إن» الشرطية، التي تستعمل في مقام الشك بحصول الشرط..

4 - إنه «عليه السلام» قد وضع أمر الصدق والكذب على عهدة خالد بن المعمر نفسه، ولم يدخل فيه أحداً، لا شهوداً، ولا غير ذلك..

5 - إنه «عليه السلام» قبل أن يطرح الحل، الذي يقترحه لصورة كون ما بلغه عن خالد حقاً، بادر إلى إعطاء التطمينات وتقديم الضمانات والتعهدات الملزمة له بالوفاء بما سوف يعد به..

6 - إن هذه الضمانات قد ارتكزت على أمر لا يمكن نقضه، ولا التهاون فيه منه «عليه السلام»، لأن النقض والتهاون يتناقض مع شخصية أمير المؤمنين «عليه السلام» في تكوينه الروحي، والإعتقادي، والديني، والإيماني، في مداه الأعمق، ويسلخ عن شخصيته هذه أكرم خصائصها، وأعظم العناصر المكونة لها، فلا يعود علي «عليه السلام» علياً، ولا يكون الإمام إماماً، ولا وصي النبي «صلى الله عليه وآله» وصياً..

فقد بادر «عليه السلام» على اشهاد الله سبحانه، وإشهاد من حضر ذلك المجلس من المسلمين على التزامه بالحل، الذي هو بصدد تقريره. وهل هناك من هو أشد تهيباً لله، وأشد التزاماً بنهجه، ووفاء بعهده، وفناء في محبته، وطلباً لرضاه، من علي بن أبي طالب «عليه السلام»؟! فإن تخليه «عليه السلام» عن هذه الأحوال، ليس إلا الإنسلاخ التام عن نفسه، وصيرورته موجوداً آخر لا يشبه علي بن

أبي طالب..

7 ـ وكان القرار الذي أصدره ـ وهو أكثر الناس تضرراً من خيانة خالد بن المعمر ـ أنه إن كان خالد قد كاتب معاوية فعلاً. فهو آمن حتى يلحق بالعراق، أو الحجاز، أو أرض لا سلطان لمعاوية فيها، حتى لو لم يكن لعلي «عليه السلام» سلطان عليها أيضاً.

وذلك لأنه «عليه السلام» لا يريد أن يمكن معاوية من استغلال هذه القضية لتقوية معنويات أصحابه، وإضعاف معنويات أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» بخالد بن المعمر..

ولأنه يريد أن يعتبر ما صدر عن خالد مجرد نزوة عابرة، تحتاج إلى الإصلاح من دون أن يعرضه لإغراءات معاوية ولأحابيله، التي سوف تزيد من بلاء خالد وشقائه في الدنيا والآخرة.

كما أنه يريد أن يحصر الأمر بخالد كشخص، ويخضعه للعلاج الصحيح والناجع، ولا يريد لقوم خالد بن معمر أن تكون لهم شراكة في هذا الأمر، لا من قريب ولا من بعيد، وأن لا يشعروا بالخزي والعار مما أقدم عليه صاحبهم..

8 ـ لقد كان هذا الخيار صائباً جداً، فإن إبقاء هذا الرجل الخائن في جيشه، قد يشجع بعض ضعفاء النفوس على الخيانة أيضاً.. وربما استفاد خالد نفسه من الفرصة، لإغواء من يقدر على إغوائه.

وربما اتفق معهم على الهرب إلى معاوية، فيكون قد أعطى

معاوية وأهل الشام جرعة قوة إعلامية مؤثرة. كما أنه يكون قد سدّد ضربة روحية قوية لقومه، ولجيش علي «عليه السلام» أيضاً..

9 ـ أما إن كان خالد بن معمر يرى نفسه بريئاً مما نسب إليه، فعليه أن لا يكتفي بمجرد ادعاء البراءة، وأن لا يتجاهل الشهادات التي تدينه، بل لا بد له من معالجة الأمر، وإزالة آثارها من النفوس بأيمان مؤكدة، توجب الطمأنينة ببراءته..

راية حضين:

وروى المنقري عن حضين بن المنذر، قال:

فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من الميمنة، فجاءنا علي «عليه السلام» حتى انتهى إلينا ومعه بنوه، فنادى بصوت عال جهير، كغير المكترث لما فيه الناس، وقال: لمن هذه الرايات؟!

قلنا: رايات ربيعة.

قال: بل هي رايات الله، عصم الله أهلها، وصبّرهم، وثبّت أقدامهم.

ثم قال لي [وأنا حامل راية ربيعة يومئذ]: يا فتى، ألا تدني رايتك هذه ذراعاً؟!

فقلت له: نعم والله، وعشرة أذرع.

ثم ملت بها [هكذا] فأدنيتها، فقال لي: حسبك، مكانك(1) .

وروى نصر، عن أبى عبد الرحمن قال: حدثنى المثنى بن صالح ـ من بنى قيس ابن ثعلبة ـ عن يحيى بن مطرف أبى الأشعث العجلي، شهد مع علي «عليه السلام» صفين، قال: لما نصبت الرايات اعترض علي الرايات، ثم انتهى إلى رايات ربيعة، فقال: لمن هذه الرايات؟!

فقلت: رايات ربيعة.

قال: بل هي رايات الله(2).

وروى نصر، عن عمرو بن شمر قال: أقبل الحضين بن المنذر ـ وهو يومئذ غلام ـ يزحف برايته.

قال السدي: وكانت حمراء.

فأعجب علياً «عليه السلام» زحفه وثباته، فقال:

لمن راية حمـــراء يخـــفق ظلـــها إذا قـــيل قدمها حضين تقدمـــا

ويدنو بها في الصـف حتى يديرها حمـام المـــنايا تقطـر المـوت والدمـــا

(1) صفين للمنقري ص288 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص226 والغارات للثقفي ج2 ص792 وبحار الأنوار ج32 ص478 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص23 والكامل في التاريخ ج3 ص299.

(2) صفين للمنقري ص288 وشرح الأخبار ج2 ص3 .

وعند ابن أعثم:

[يقدمها للموت حين يزيرها حياض المنايا تقطر الموت والدما]

تراه إذا ما كان يوم عظيمة أبى فيه إلا عزة وتكرما

جزى الله قوماً صابروا في لقائهم لدى البأس خيراً ما أعف وأكرما

وأحزم صبراً حين تدعى إلى الوغى إذا كان أصوات الكماة تغمغما

ربيعة أعني، إنهم أهل نجدة وبأس إذا لا قوا خميساً[(1)] عرمرما

وقد صبرت عك ولخم وحمير ومذحج حتى لم يفارق دم دما

ونادت جذام يال مذحج ويلكم جزى الله شراً أينا كان أظلما

أما تتقون الله في حرماتكم وما قرب الرحمن منها وعظما

أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا بأسيافنا حتى تولى وأحجما

وفر ينادى الزبأرقان وظالماً ونادى كلاعاً والكريب وأنعما

وعمراً وسفياناً وجهماً ومالكاً وحوشب والغاوي شريحاً

---

(1) الخميس: الجيش.

وأظلمــــــــــــــــــــــــــــــــــا

وكرز بن نبهان وعمرو بن جحدر وصبّاحـــاً القينـــى يدعـــوه أسلما(1)

وقال ابن أعثم:

ثم حمل عمرو (بن العاص) في نفر من أهل الشام، فقاتلوا ساعة، ورجعوا إلى مواقفهم.

ونظر علي «عليه السلام» إلى الصف الذي فيه عمرو، فإذا هو صف محكم بالخيل والرجالة، فدعا برجل من ربيعة, يقال له: الحضين بن المنذر، فدفع إليه راية سوداء، وضم إليه خمسمائة رجل من سادات ربيعة، وقال: تقدم يا حضين نحو هذا الصف في بني عمك، ولا تقصّر, ليكون نصيبك الأخص.

قال: فأخذ الراية، ثم قال: يا معشر ربيعة! اعلموا أن الموت اليوم خير من الفرار، فانظروا، ولا يلتفت منكم أحد واتبعوني، والميعاد بيني وبينكم، فسطاط معاوية.

قال، ثم تقدم الحضين وأصحابه بالراية، فلم يزل يطاعن في أعراض أهل الشام حتى خضب الراية بالدماء.

قال: وجعل معاوية يقول: لمن هذه الراية السوداء؟!

---

(1) صفين للمنقري ص289 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص37 و 38 و(ط دار الأضواء) ج3 ص28 والمناقب للخوارزمي ص230 .

فقالوا: للحضين بن المنذر في قومه من ربيعة.

قال: فتقدم معاوية بين يديه ثلاثمائة رجل من بني عك، ولخم, وحمير، وقدم علي «عليه السلام»، بين مائة رجل من أبطال مذحج، واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر بعضهم لبعض ساعة، وصاح علي «عليه السلام» بالحضين بن المنذر، أن قدم الراية يا حضين!

قال: فتقدم الحضين، وهو لم يصبر من غيظه، وتقدمت معه مذحج وربيعة، وكل رجل منهم يحتاج إلى كتيبة، فحملوا عليه حملة رجل واحد حتى وصلوا إلى فسطاط معاوية، وانكشفت عنه الناس.

قال: وصاح رجل من أصحاب معاوية: ويحكم يا أهل الكوفة! أما تتقون الله في الحرم؟! ويحكم! نحن بنو أعمامكم فاقصروا، فمع اليوم غد. فعندها أنشأ علي «عليه السلام»، يقول:

لمن راية سـوداء يـخـفق ظلّها ....

ثم ذكر الأبيات المتقدمة.

ثم قال: فلم يزل الحضين بن المنذر يقاتل هو وبنو عمه، حتى ضجّ منهم أهل الشام، ثم رجعوا إلى مواضعهم، وقد جرح منهم خلق كثير **(1)**.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص35 - 38 و (ط الهند) ج3 ص27 - 29.

لمن هذا الشعر في حضين؟!:

إن بعض المؤلفين يورد الأبيات المتقدمة في الثناء على راية حضين، قائلاً: إنها لأمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

ولكن كلام البلاذري يشير إلى أنها لشاعر آخر، وأن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد تمثل بها، فقد قال:

«وقال شقيق بن ثور السدوسي: يا معشر ربيعة، لا عذر لكم إن قتل علي ومنكم رجل حي.

فتمثل علي قول رجل منهم يوم الجمل:

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل: قدمها حضين تقدما»[2].

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص289 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص37 و 38 ومروج الذهب ج3 ص48 والعقد الفريد، العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم (ط 1) رقم 12 ص110 و (ط أخرى) ج4 ص29 وج5 ص283 وراجع ج3 ص362 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص393 و 396 وبغية الطلب لابن العديم ج6 ص2834 وديوان الإمام علي «عليه السلام» ص170 و (ط بولاق سنة 1251 هـ) ص65 وراجع: زهر الآداب ج1 ص45 والكامل ج3 ص299 و 300 وخزانة الأدب ج2 ص90.

(2) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي سنة 1416هـ) ج2 ص215.

وروى في موضع آخر: عن حضين بن المنذر: أن علياً «عليه السلام» أعطاه الراية يوم الجمل، وهو يومئذٍ فتى شاب.. إلى أن قال حضين: وفي ذلك يقول الشاعر:

لمن راية سوداء يخفق ظلها الخ.........................[1]

ومما يؤيد القول بأن الأبيات لعلي «عليه السلام»: أنها قد تضمنت ما دل على أنها إنما قيلت في صفين، لا في حرب الجمل، فقد جاء فيها قوله في هذه الأبيات نفسها:

أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا بأسيافنا حتى تولى وأحجما

وفر ينادى الزبرقان وظالماً ونادى كلاعاً والكريب وأنعما الخ..

فإن ذكر معاوية في الشعر يدل على أنه إنما قيل في حرب صفين، لا في حرب الجمل.

لكن ابن أبي الحديد المعتزلي يقول: «قلت: هكذا روى نصر بن مزاحم، وسائر الرواة رووا له «عليه السلام» الأبيات الستة الأولى، ورووا باقي الأبيات، من قوله: «وقد صبرت عك» للحضين بن المنذر صاحب الراية»[2].

---

(1) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي سنة 1416هـ) ج2 ص179.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص227.

ونجيب:

بأن ذلك لا يمكن قبوله من المعتزلي، فإن غير المنقري قد روى هذه الأبيات أيضاً، فهذا ابن أعثم المتوفى سنة 314 هـ قد روى عشر أبيات منها، ومنها قوله:

أذاقوا ابن هند طعنهم وضرابهم على حنق حتى تولى وأحجما(1)

ولم يأخذ ابن أعثم من المنقري، لأن الشعر المنقول عنهما متفاوت إلى حد كبير، فراجع وقارن.

يقول المنقري:

عن عمر، قال حدثنى الصلت بن يزيد بن أبى الصلت التيمى قال: سمعت أشياخ الحي من بني تيم الله بن ثعلبة يقولون: كانت راية ربيعة كوفيتها وبصريتها مع خالد بن المعمر [من أهل البصرة.

قال: وسمعتهم يقولون: إن خالد بن المعمر] وسعيد بن ثور السدوسى، اصطلحا أن يولّيا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحضين بن المنذر.

قالوا: وتنافسا في الراية، قالا: هذا فتى له حسب، ونجعلها له حتى نرى من رأينا.

ثم إن علياً «عليه السلام» أعطى الراية خالد بن المعمر، راية

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص28 و 29.

ربيعة كلها[1].

ونقول:

علينا أن نتذكر هنا الأمور التالية:

القائد في مواجهة المصاعب:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» حين انهزم الناس من الميمنة، جاء إلى ربيعة، وبدا كغير المكترث لما يجري.. ثم سأل عن الرايات إلخ..

ونلاحظ:

1 - إن تأثر الجنود بقائدهم، وخصوصاً في المفاجآت الصعبة، أمر لا يُنكر، ولا يصح الإستهانة به، أو التقليل من آثاره الروحية عليهم. فالقائد هو مصدر إلهامهم، وحيوية حركتهم، وهو الذي يعطيهم الأمل، كما أنه قد يزرع فيهم اليأس والفشل..

2 - وقد لاحظنا كيف أن الناس يتأثرون بالحالة التي رأوا عليها علياً «عليه السلام» حين جاءهم وقد هزم الناس في ميمنته، فلاحظوا أنه لم يظهر اكتراثاً بما يجري، وحيث إن ذلك غير متصوّر في حقه، فلا بد أن يكون إظهار عدم الإكتراث في سياق خطة لتهدئة النفوس، ثم تدبير الأمر بحكمة وأناة، وثبات جأش، وأن المطلوب هو إعلامهم بأن ثمّة طمأنينة تسكن داخله إلى أن الوضع تحت السيطرة، وأن ما

---

(1) صفين للمنقري ص290 والغارات للثقفي ج2 ص791 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص24.

جرى للميمنة، لا يعدو كونه فرّة سوف تعقبها كرّة..

3 - وبذلك يكون «عليه السلام» قد عالج كثيراً من السلبيات، وأعطى انطباعاً لمسار الأمور بنفس تظاهره هذا بعدم الإكتراث، ووفّر على نفسه جهداً بالغاً كان يحتاج إليه، لو أنه أظهر الإهتمام بالأمر. لأن نفس هذا الإظهار، سوف يضيف مزيداً من التعقيدات للأمور، حيث يؤدي إلى إثارة مشاعر الضعف لدى الكثيرين من جنوده، ويصيبهم بالخوف والإحباط، ويربك حركتهم، ويفقدهم الثقة بجدوى أي تدبير يتخذ، حيث سيكون موسوماً بسمة التسرّع والإرتجال بنظرهم..

رايات ربيعة رايات الله!!:

وكان سؤاله «عليه السلام» الأول عن الرايات لمن تكون، فلما قيل له: إنها رايات ربيعة بادر إلى منحها أوسمة رفيعة حباها بدعاءٍ ذي معنى، فكان هذا لفتة رائعة منه «عليه السلام».

فإنه قد أعطى بذلك الضوء الأخضر لربيعة، للمبادرة إلى تصحيح الوضع، وإعادة الأمور إلى نصابها، مصحوباً بجرعة معنوية فائقة التأثير في اندفاعها إلى أعظم التضحيات، وأسناها وأغلاها..

وقد تمثلت هذه الجرعة:

أولاً: بأنه «عليه السلام» قد اعتبر رايات ربيعة هي رايات الله

سبحانه.

وقد جاءت هذه الكلمة بنحو يشير إلى أن ربيعة نفسها، هي التي تتحمل عبء حفظ هذه الرايات مرفوعة وخفّاقة بالعز والكرامة..

وهذه كرامة عظيمة، ومسؤولية جسيمة لهذه القبيلة، ومصدر مباهاة، واعتزاز، وفخر، ومجد، وسؤدد لا يضاهى، ومجد لا يجارى لأمثالهم.. ولا يعد ذلك انتقاصاً من رايات بني هاشم وأهل البيت، فإن آل محمد «صلى الله عليه وآله» فليسوا محط نظره «عليه السلام» بكلامه هذا، لأنهم أهل بيت لا يقاس بهم أحد.

ثانياً: ولأجل ما قلناه آنفاً، احتاجت هذه القبيلة إلى الدعاء لها بالعصمة، لكي لا تزلّ قدمها أمام التحديات الكبرى، فتتوانى عن مواجهتها، وتستكين وتخلد إلى الراحة، وتحجم عن البذل والعطاء، والتضحية بالغالي والنفيس من أجل ذلك، فلا بد من تخطّيها. وتخليص الأمة من سيئاتها..

كما أن حاجتها تصبح ماسة إلى العصمة من أن يوسوس لها الشيطان بشيء من الغرور والعجب الممقوت عند الله، أو أن يزين لها الإستفادة من هذا الوسام الكبير والخطر في استجلاب المنافع الدنيوية الزائلة، والحصول على زخارفها الباطلة. ولذلك قال «عليه السلام»: «عصم الله أهلها».

ثالثاً: إن هذه المسؤوليات الكبيرة، وتلك العوادي والعواصف الكثيرة، والمزالق الخطيرة، تحتاج إلى أعظم الجهد، لتخطيها، وإلى

الصبر الشديد، والأكيد للتخلص منها.. ولذلك دعا «عليه السلام» لربيعة أيضاً بالصبر وثبات الأقدام، فقال: «وصبرهم، وثبت أقدامهم».

ألا تدني رايتك ذراعاً؟!:

وحول طلب علي «عليه السلام» من حضين بن المنذر، نقول:

1 - إنه عند حصول أي حدث كبير وخطير في الجيش، ولا سيما هزيمة بعض قطعاته، فإن المعنويات تصاب، والثبات يتزلزل.. فتصبح الأولوية الكبرى أمام القائد هي استعادة الثقة بالنفس، والعمل على العودة إلى الثبات في المواضع والمواقع..

ولا يتيسر ذلك بمجرد إيقاف حالة التقهقر، فإن ذلك قد يكون مؤقتاً، وربما فهم بعض من هو بعيد: أن هذا الثبات كان بسبب وجود عوائق جعلت التقهقر بطيئاً، لا لأجل توفر عناصر القوة للتقدم.. أما إذا ظهرت حركة تقدم وهجوم، مهما كانت ضئيلة وهزيلة باتجاه العدد في نفس الموقع الذي حصل التقهقر منه فإن المعادلة سوف تتغير بصورة كبيرة..

ولأجل ذلك، قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لحضين: ألا تدني رايتك هذه ذراعاً؟!.. فإن هذه الحركة البسيطة من شأنها أن تكبت العدو، وتشغله عن مواصلة هجومه على الفريق الأضعف، ليتدارك ضعفه في هذا الموقع.

كما أنها تعيد الثقة بالنفس لدى الأولياء، وتبعث الأمل في نفوسهم، وتزيل حالة الإحباط والفشل منهم..

2 ـ لاحظنا: أنه «عليه السلام» بعد أن قدّم حضين رايته يسيراً، وكان بصدد التقدّم بها أكثر من ذلك، أوقفه «عليه السلام»، وقال له: «حسبك، مكانك».

ولعل السبب في ذلك أن التقدم بالراية بصورة كبيرة، سوف يثير مخاوف العدو من زحف خطير يتهدده، ويدفعه إلى تجميع قواه، ومهاجمة تلك النقطة التي فيها الراية بصورة حادّة، قد لا تستطيع تلك الراية تحملها، لأن المفروض أنها ما زالت في طور الإعداد والإستعداد، والتكوُّن. فإذا حصل ذلك، وتراجعت تلك الراية عن موقعها هذا، فإن الأثر السلبي لهذا التراجع سيكون كبيراً جداً. وقد يستعصي على العلاج..

الراية حمراء أو سوداء:

وقد لاحظنا اضطراباً في الروايات حول لون راية حضين، هل هي سوداء كما يروي ابن أعثم، أو حمراء كما يروي المنقري. ونحن نرى أنها كانت سوداء، لأنها راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهي راية الحرب، وقد أعطاها علي «عليه السلام» لحضين بن المنذر.. وراية رسول الله «صلى الله عليه وآله» وراية علي «عليه السلام» في حروبه مع الضالين والمشركين كانت سوداء، حتى لقد قال الكميت «رحمه الله»:

وإلا فـــارفــعــوا الرايات ســوداً عــلـــى أهــل الضـلالة والتعدي

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في بعض المواضع في هذا الكتاب.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن تحقيق هذا الأمر موكول إلى فرصة أخرى..

علي × يمدح فتى من ربيعة:

1 ـ وقد ذكرت النصوص المتقدمة الشعر الذي أنشده أمير المؤمنين «عليه السلام» في مدح حضين بن المنذر وربيعة، وما أسعد حظ حضين بهذا الشعر، وحق لربيعة أن تفخر بثناء سيد الأوصياء عليها، وعلى رايتها، وعلى حاملها..

2 ـ ولم نجد ملكاً أو سلطاناً يقول الشعر في مدح فتى من رعيته، لأي عمل قام به مهما كان كبيراً وخطيراً، ولا شك في أن لهذا التصرف أثراً عظيماً في إذكاء روح التضحية لدى ربيعة خاصة، بل لدى عامة جيشه «عليه السلام»، فإن كل ذي عقل يحب أن يثنى عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل هذه من أغلى الأمنيات عنده.

إن هذا الثناء يعطي الناس انطباعاً عن أن جهدهم لا يضيع، وأن تضحياتهم لا تذهب هدراً، بل هي تضحيات لها قيمتها وأهميتها عند علي «عليه السلام»، بالذات..

كما أن ذلك يدلهم على أنهم ليسوا أرقاماً، ولا أدوات يراد

الإستفادة منها، ثم تلقى في سلة المهملات، بل هم أناس لهم كرامتهم وأهميتهم، ولهم قيمة كبرى في أنفسهم، وجهدهم مشكور، وعملهم مبرور، وذكرهم مأثور..

ولأجل ذلك بذلت ربيعة جهداً هائلاً حتى بلغوا في هجماتهم إلى فسطاط معاوية، وضج منهم أهل الشام، بالرغم من كل ما نالهم من إصابات وجراح..

الفصل التاسع:

أحداث في معركة صفين..

معاوية يحرض على القتال:

1 - قال المنقري: حتى إذا كان يوم الخميس التاسع من صفر، خطب الناس معاوية وحرضهم، وقال: إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وحضركم ما قد حضركم.

فإذا نهدتم إليهم إن شاء الله، فقدموا الدارع، وأخروا الحاسر، وصفوا الخيل مجنبين، وكونوا كقص الشارب، وأعيرونا جماجمكم ساعة، فإنما هو ظالم أو مظلوم.

وقد بلغ الحق مقطعه، والناس على تعبئة أخرى[1].

وروى المنقري عن عمر، قال:

حدثني رجل عن جابر، عن الشعبي، قال: قام معاوية يخطب

---

(1) صفين للمنقري ص295 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص231 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص60 و (ط دار الأضواء) ج3 ص40.

بصفين قبل الوقعة العظمى، فقال: الحمد لله الذى علا في دنوّه، ودنا في علوّه، وظهر وبطن، وارتفع فوق كل منظر، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، يقضى فيفصل، ويقدر فيغفر، ويفعل ما يشاء، إذا أراد أمراً أمضاه، وإذا عزم على أمر قضاه، لا يؤامر أحداً فيما يملك، ولا يسأل عما يفعل، وهم يسألون.

والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا.

ثم كان فيما قضى الله أن ساقتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض، ولف بيننا وبين أهل العراق، فنحن من الله بمنظر.

وقد قال سبحانه: (**..وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**)(1).

[وعند ابن أعثم: يا أهل الشام! أنتم تعلمون ما قد أصبنا به اليوم من إخواننا، وإنما تقاتلون غداً من قبل إخوانكم اليوم، فكونوا على إحدى ثلاث خصال].

انظروا يا معاشر أهل الشام، فإنما تلقون غداً أهل العراق، فكونوا على إحدى ثلاث أحوال:

إما أن تكونوا قوماً طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم، فأقبلوا من بلادهم حتى نزلوا في بيضتكم.

وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتكم وصهر نبيكم «صلى الله

---

(1) الآية 253 من سورة البقرة.

عليه وآله»، وإما أن تكونوا قوماً تذبون عن نسائكم وأبنائكم.

فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل.

أسأل الله لنا ولكم النصر، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق، وهو خير الفاتحين.

فقام ذو الكلاع، فقال: يا معاوية:

إنا لنحن الصبّر الكرام، لا ننثني عند الخصام، بنو الملوك العظام، ذوو النهى والأحلام، لا يقربون الآثام.

فلما سكت، قال له معاوية: صدقت(1).

فقال معاوية: ظني بكم هذا. ثم جعل يكمن الكمناء ولا يألو في ذلك جهداً، وبلغ ذلك علياً وأصحابه، فأنشأ قيس بن (سعد بن) عبادة يقول:

قلت لما بغى العدو علينا ... حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح النصـ ... ـر وبالأمس والحديث طويل
وله شكر ما مضى وعلى ذا ... إن هذا من شكره لقليل
وعلي إمامنا لا سواه ... في كتاب أتى به التنزيل
حين قال النبي من كنت مولا ... ه علي مولاه هذا دليل

---

(1) صفين للمنقري ص295 و 296 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص231 و 232 وراجع: الثقات لابن حبان ج2 ص289 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص60 و 61 و (ط دار الأضواء) ج3 ص41 .

أيمـا قــالـــه النبــي على الأمـ ـــة فـرض ولـيس قـال وقيـل
يـــا بـــن هنـد أين الفرار من المو ت وللمـوت فـي الفجـاج ذيـول
ولــواء النبــي يـخـفــق في كـ ـــف علـــي نصـــيره جبريـــل
ثم حـــامـت عليه من سلف الخـ ـــزرج قـــوم كـــأنهم إكليـــل
عند ذاك الـعيـان يـخلـفه الظـ ـــن ومـــا غيـــره هنـــاك سـبيل

قال: فانكسر معاوية بهذا الشعر، ثم قال: لئن أمكنني الله من حي الأنصار لأشفين نفسي به(1).

راية رسول الله ' مع حضين:

2 - وروى المنقري: عن عمر، عن الزبير بن مسلم، قال: سمعت حضين بن المنذر يقول: أعطاني علي «عليه السلام» الراية، ثم قال: سر على اسم الله يا حضين، واعلم أنه لا يخفق على رأسك راية أبداً مثلها.

إنها راية رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: وقد كان حريث بن جابر نازلا بين العسكرين في قبة له حمراء، وكان إذا التقى الناس للقتال أمدّهم بالشراب، من اللبن والسويق والماء، [ويطعمهم اللحم والثريد]، فمن شاء أكل أو شرب.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص61 و (ط دار الأضواء) ج3 ص41 و 42.

وفي ذلك يقول الشاعر:

ولـو كان بالدهنا حريث بن جابر لأصبـح بـحراً بالمفـازة جاريا(1)

إيضاحات:

نهد إليه: نهض ومضى على كل حال.

جنب الدابة: جعلها تسير إلى جنبه.

نزلوا في بيضتكم: البيضة حوزة كل شيء.

السَوِيق: بفتح السين، وكسر الواو: الناعم من طحين الحنطة والشعير.

الثريد: كسرة الخبز المبلولة بماء اللحم.

الدهناء: الفلاة.

المفازة: الفلاة لا ماء فيها.

معاوية ينذر قتل ربيعة وسبي نسائها:

3 - وقد كان معاوية نذر في سبى نساء ربيعة، وقتل المقاتلة، فقال في ذلك خالد بن المعمر:

تمنى ابـن حـرب نـذرة في نسائنا ودون الـذى ينـوى سـيوف

---

(1) صفين للمنقري ص300 و 301 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص240.

قواضـــب

ونمنــح ملكاً أنت حاولت خلعه بنــي هاشـم قـول امـرئ غيـر كــاذب

وقال أيضاً:

وفتنة مثل ظـــهر الليل مظلــمة لا يستبين لهــا أنـف ولا ذنـب
فرجتـها بكــتاب الله فانفرجت وقــد تحــير فيها سادة عـرب

وقال شبث بن ربعى:

وقـفنــا لـديهم يوم صفين بالقنا لـدن غدوة حتى هوت لغروب
[وأصبحــت الأبطال منا ومنهم وقامــت نســاء حولنــا بنحيــب
يرون رجــالاً كــالأسود عوابساً لهـن زئيـر فـي الوغـاء عجيـب
نـجالـدهم بـالبيض طوراً وبالقنا وكـل حســام كالشــهاب قضـيب
وكل همـام في الـحروب هميسع على كل محنوك السراة شيوب]
وولى ابـن حـرب والـرماح تنـوشه وقد أرضت الأسياف كل غضـوب
نــجالـدهم طوراً وطوراً نصدّهم على كل محنوك السراة شبوب
بكــل أسيل كالقراط، إذا بدت لوائحهــا بــين الكمــاة، لعـوب
نـجــالــد غسانا وتشقى بحربنا جذام ووتـر العبـد غيـر طلـوب
فلــم أر فـرســانا أشد حفيظة إذا غشــى الآفــاق نفـح جنـوب
أكــر وأحمى بالغطاريف والقنا وكـــل حديـــد الشـــفرتين قضوب(1)

---

(1) صفين للمنقري ص294 و 295 والفتوح لابن أعثم ج3 ص56 بتفاوت

وقال ابن الكوَّاء:

ألا من مبلغ كلباً ولخماً نصيحة ناصح فوق الشقيق
فإنكم وإخوتكم جميعاً كباز حاد عن وضح الطريق
وبعتم دينكم برضاء عبد أضل بها مصافحة الرقيق
وقمتم دوننا بالبيض صلتا بكل مصانع مثل الفنيق
وساروا بالكتائب حول بدر يضيء لدى الغبار من البريق

يعنى بالبدر علياً «عليه السلام»(1).

إيضاحات:

الذمار: الحوزة. والأهل. والحرم. وكل ما يلزمك الدفع عنه.

خامت عن القتال: نكصت، وجبنت.

برّحه الله: بتشديد الراء: رماه بالجهد والتعب، والأذى الشديد.

قضيب ـ الواردة في الشعر المتقدم ـ: السيف القاطع.

هميسع: القوي الذي لا يصرع. والطويل.

محبوك ـ بالباء ـ: المدمج.

السَراة ـ بالفتح ـ: الظُّهر، وارتفاع النهار. ومن الطريق أعلاه.

واختلاف. وقد أضفنا بعضها إلى بعض، فلاحظ ذلك.

(1) صفين للمنقري ص294 و 295.

واسم جمع من السري، وهو السيد الشريف السخي.

شيوب: جمع أشيب، وهو المبيض الرأس من الشيب.

أسيل: ما لان وطال، واستوى واسترسل.

قِراط: بكسر القاف: شعلة السراج.

الغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد.

قضوب: أي شديد القطع..

صلتاً: أصلت السيف، جرَّده من غمده. والصلت: السيف الصقيل الماضي.

المصانع: الفرس الذي لا يعطيك جميع ما عنده من السير.

الفنيق: الفحل المكرَّم.

أخرجوا هذا من بينكم:

4 - وروى المنقري: عن عمر، قال: حدثنى رجل من بكر بن وائل، عن محرز بن عبد الرحمن [العجلى]: أن خالد بن المعمر، قال: يا معشر ربيعة، إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منبته ومسقط رأسه، فجمعكم في هذا المكان جمعاً لم تجتمعوا مثله، منذ نشركم في الأرض، وإنكم إن تمسكوا أيديكم تنكلوا عن عدوكم، وتحولوا عن مصافكم، لا يرضى الرب فعلكم، ولا تعدموا معيراً، يقول: فضحت ربيعة الذمار، وخامت عن القتال، وأتيت من قبلها العرب.

فإياكم أن يتشاءم بكم المسلمون اليوم.

وإنكم إن تمضوا مقدمين، وتصبروا محتسبين فإن الإقدام منكم عادة، والصبر منكم سجيّة.

فاصبروا ونيتكم صادقة تؤجروا، فإن ثواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة، ولا يضيع الله أجر من أحسن عملا.

فقام إليه رجل من ربيعة، فقال: ضاع والله أمر ربيعة حين جعلت أمرها إليك، تأمرنا ألّا نحول ولا نزول حتى نقتل أنفسنا ونسفك دماءنا؟! ألا ترى إلى الناس قد انصرف جلّهم؟!

فقام إليه رجال من قومه، فتناولوه بقسيهم، ولكزوه بأيديهم.

فقال لهم خالد بن المعمر: أخرجوا هذا من بينكم، فإن هذا إن بقى أضرَّبكم، وإن خرج منكم لم ينقصكم، هذا الذى لا ينقص العدد، ولا يملأ البلد.

برحك الله من خطيب قوم! كيف جنبك الخير!

واشتد قتال ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر، حتى كثرت القتلى فيما بينهم، وحمل عبيد الله بن عمر، فقال: أنا الطيب ابن الطيب.

قالوا: أنت الخبيث ابن الطيب.

فقتل شمر بن الريان بن الحارث، وهو من أشد الناس بأساً.

ثم خرج نحو من خمسمائة فارس، أو أكثر من أصحاب علي «عليه السلام»، على رؤوسهم البيض، وهم غائصون في الحديد، لا

يرى منهم إلا الحدق، وخرج إليهم من أهل الشام نحوهم في العدو، فاقتتلوا بين الصفَّين والناس تحت راياتهم، فلم يرجع من هؤلاء، ولا من هؤلاء مخبر، لا عراقى ولا شامى، قتلوا جمعاً بين الصفَّين(1).

تل الجماجم:

5 - وفي حديث: فقال عقبة بن سلمة، أخو بنى رقاش من أهل الشام، وكان بصفين تل يلقى عليه جماجم الرجال [وكان يدعى تل الجماجم]، فقال:

ولم أر فرساناً أشد بديهة وأمنع منهم يوم تل الجماجم
غداة غدا أهل العراق كأنهم نعام تلاقى في فجاج المخارم
إذا قلت قد ولّوا أنابت كتيبة ململمة في البيض شمط المقادم
وقالوا لنا: هذا علي فبايعوا فقلنا ألا لا بالسيوف الصوارم
وثرنا إليهم بالسيوف وبالقنا تدافعهم فرساننا بالتزاحم(2)

ولكن هذه الأبيات تقدمت عن ابن أعثم. وقد نسبها إلى ثعلبة بن عقبة. ولا يهمنا التحقيق في هذا الأمر.

---

(1) صفين للمنقري ص292 و 293 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص229 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج3 ص55 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص24 و 25.

(2) صفين للمنقري ص293 و 294 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص230 .

إيضاحات:

المخارم: أفواه الفجاج، وهي الطريق الواسعة بين جبلين في قبل جبل.

الشمط: بياض الرأس يخالط سواده.

المقادم: المواضع المتقدمة من الرأس (ومن كل شيء).

كتيبة الخضرية الرقطاء:

6 ـ وبلغنا في حديث آخر: أن عبيد الله بن عمر بعثه معاوية في أربعة آلاف وثلثمائة ـ وهى كتيبة الخضرية الرقطاء، وكانوا قد أعلموا بالخضرة ـ ليأتوا علياً «عليه السلام» من ورائه.

قال أبو صادق:

فبلغ علياً «عليه السلام»: أن عبيد الله بن عمر، قد توجه ليأتيه من ورائه، فبعث إليهم أعدادهم، ليس منهم إلا تميمي.

واقتتل الناس من لدن اعتدال النهار إلى صلاة المغرب، ما كانت صلاة القوم إلا التكبير عند مواقيت الصلاة[1].

ونقول:

علينا ملاحظة ما يلي:

---

(1) صفين للمنقري ص330 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص13.

حتى الخطب والكلمات مسروقة:

وغني عن البيان: أن ما ينسب إلى معاوية، وإلى غيره من وكلمات خطب وكلمات بليغة لا يتناسب مع المستوى الفكري لمن ينسب إليهم.

وقد وجدنا أن كثيراً مما ينسب إليهم، إنما قاله أمير المؤمنين «عليه السلام». والكلمات المتقدمة في الرواية رقم [1] المنسوب إلى معاوية، التي قالها في تحريض أصحابه على القتال: لا تخرج عن هذا الخط.

فلاحظ على سبيل المثال:

قوله: قدموا الدارع، وأخروا الحاسر. فإنه من أقواله «عليه السلام».

وقوله: أعيرونا جماجمكم ساعة.. مأخوذ من قوله «عليه السلام» لولده محمد: أعر الله جمجمتك.

وقوله: وقد بلغ الحق مقطعه..

وقوله: الحمد لله الذي علا في دنوه، ودنا في علوه..

وغير ذلك من الكلمات المسروقة منه «عليه السلام» ..

أعيرونا جماجمكم ساعة:

ومن الأمور اللافتة للنظر قول معاوية لأهل الشام: أعيرونا جماجمكم ساعة.. الذي يريد أن يضاهي به قول أمير المؤمنين «عليه

السلام» لابنه: أعر الله جمجمتك.. وقد غفل عن أن من يعيرالله جمجمته، فإن الله تعالى يهبه الحياة الدائمة، لأنه يكون من الشهداء، الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون.. ولكن من يعير معاوية جمجمته، هل يعرف كيف سيردها إليه معاوية؟! وهو إنما أراد هذه الجماعة لتكون سلّماً إلى أهوائه وأغراضه الدنيئة، حيث يحارب بها الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، ويسعى لطمس دين الله بها.

فهل يردُّها معاوية إلى أصحابها في الدنيا أم في الآخرة، حيث العذاب الأليم والخزي المقيم..

من الباغي؟!:

تقدم في الرواية رقم [1]: أن معاوية زعم لأهل الشام أن علياً «عليه السلام» كان باغياً عليهم، وكان دليله على ذلك مجيئه «عليه السلام» بجيشه من العراق إلى بلاد الشام.

ونقول:

1 - هل نسي معاوية: أنه هو الذي أعلن الحرب على أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

أو نسي أيضاً: أنه هو الذي بادر إلى المسير نحو علي «عليه السلام» في العراق. وأن علياً «عليه السلام» إنما سار إليه، بعد أن كتب إليه معاوية بمسيره إليه للحرب؟!

ولكنه لما بلغ صفين خشي من التوغل في بلاد قد تطبق عليه من

كل جانب. فتلوَّم في ذلك الموضع، حتى وصل إليه علي «عليه السلام» وكانت فيه حرب صفين؟!

وهل نسي معاوية أيضاً: أن علياً «عليه السلام» كان ولا يزال يقدم النصيحة تلو النصيحة، ويتبع الحجة بالحجة عليه، وعلى أهل الشام، ويحرجهم بما لا محيص له ولهم عنه، ولا مفر لهم منه مما ورد في الكتاب والسنة، وأحكام الشرع والعقل والدين، وإجماع الصحابة بما فيهم البدريون والعقبيون، وأهل بيعة الرضوان، وبالمواعظ البليغة، والنصائح الرائعة؟! وبغير ذلك؟! ولكن:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وهل نسي معاوية: أنه خارج على إمام زمانه، الذي نصبه الرسول «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله سبحانه وتعالى، وأجمع عليه المهاجرون والأنصار بما فيهم البدريون؟!

وهل نسي معاوية: أنه ينسب إلى إمامه الباطل، ويتهمه بما هو منه بريء، ويدعي بأنه يطلب بدم عثمان، وليس هو ولي دمه، بل كان هو من الممالئين على قتله.. إلى غير ذلك مما أشرنا إليه في العديد من المواضع في هذا الكتاب؟!!

2 ـ أما طلب أهل الشام بدم خليفتهم، فهو أغرب وأعجب، فإن أولياء دم عثمان كانوا أحياء يرزقون، وليس أهل الشام أولياء دم عثمان.

كما أن أهل الشام لم يشهدوا قتله، ولم يثبت لهم أن علياً «عليه

السلام» قد قتله، أو شارك في قتله.. كما أن عامة الصحابة كانوا مع علي «عليه السلام»، فلماذا لا يسألونهم، ليعرفوا منهم إن كان علي «عليه السلام» قد شارك في قتل عثمان، أم لم يشارك..

وإذا كان عثمان خليفتهم، فهو خليفة على أهل الحجاز والعراق وسواهما أيضاً، فلما يطلب أهل الشام بدمه من أهل العراق والحجاز. ولماذا لا يطلب بدمه الحجازيون والعراقيون من أهل الشام. ولماذا تركوا أيضاً أهل مصر واليمن وسواهم..

3 - وأما كون عثمان صهر نبيهم، فقد عرفنا أنه ليس صهره على الحقيقة، وإنما هو قد تزوج بمن تربين في بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، ولسن من بناته لصلبه..

وعلى فرض كونهن من بناته على الحقيقة، فإن علياً «عليه السلام» أيضاً صهر نبيهم أيضاً على ابنته أيضاً، فلماذا يقاتلون علياً «عليه السلام»، ولو قدروا على قتله لقتلوه؟!

فهل يقتلون صهر نبيهم للأخذ بثأر صهره الآخر؟!

على أن من الواضح: أنه لا مجال للقياس بين الصهرين، ولا بين البنات، لأن فاطمة «عليها السلام» التي هي زوجة علي «عليه السلام» هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.. وزوجات عثمان لسن كذلك..

وعلي «عليه السلام» أيضاً وصي الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأخوه، وباب مدينة علمه، وليس كذلك عثمان.

4 ـ وهل الأخذ بثأر عثمان يجيز لهم قتل عشرات الألوف من أهل القبلة؟!

5 ـ ومع غض النظر عن ذلك كله، فلماذا لا يسألون عن سبب قتل عثمان، وعن قاتله الحقيقي، ثم يطالبون بالقصاص منه بعد ثبوت الجرم عليه؟!

6 ـ أما قول معاوية لأهل الشام: إنهم بقتالهم علياً «عليه السلام» يذبُّون عن نسائهم وأبنائهم، فهو أغرب وأعجب..

فمتى كان علي «عليه السلام» يسمح بالإعتداء على النساء والأبناء، وهو الولي التقي، والإمام الزكي، وصهر الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأخوه وباب مدينة علمه ووصيه؟!

راية رسول الله ’ مع حضين:

وتقدم في الرواية رقم [2]: إعطاء علي «عليه السلام» الراية لحضين بن المنذر، وقوله «عليه السلام» له: سر على اسم الله يا حضين، واعلم أن لا يخفق على رأسك راية أبداً مثلها. إنها راية رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ونقول:

لاحظوا الأمور التالية:

1 ـ إن إحضار علي «عليه السلام» راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة إلى العراق، ثم إلى صفين.. يدل على أنه

«عليه السلام» كان عارفاً بما سيكون، وقد أعد العدّة لمواجهته.. ويبدو أن إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» إياه «عليه السلام» بأنه سيحارب الناكثين، والقاسطين، والمارقين.. وبكثير مما سيجري له «عليه السلام» معهم، وكان يخبر الناس به بصورة منتظمة، وبلا انقطاع.. وكان هو المستند الأساس في موقفه «عليه السلام»..

2 - إن راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت معروفة عند الناس، ولا سيما الصحابة، الذين كان معه «عليه السلام» منهم المئات، فلم يكن قوله «عليه السلام»: إنها راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» مجرّد ادِّعاء غير قابل للإثبات إلا من خلاله «عليه السلام»..

3 - إن وجود هذه الراية معه، يدل دلالة ظاهرة لكل أحد على موقعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه وصيه، وأخوه، ووارثه، والقائم مقامه من بعده..

4 - إن إعطاء الراية لحضين، وإخباره بأنه لا يخفق على رأسه راية أبداً مثلها. لا بد أن يترك أثره العظيم في نفسه، وفي نفوس الناس من مختلف القبائل، وسوف تتناقله الأفواه بكل إكبار وثناء عاطر.. ولا بد أن تنظر القبائل إلى ربيعة نظرة احترام وإجلال، تختلف كثيراً عن نظرتها لها قبل هذا الحدث الكبير..

5 - أضف إلى ذلك: هذا التعظيم من أمير المؤمنين «عليه السلام» للراية، وتأكيده على أهمية حملها. فإن لذلك الكثير من التأثير الروحي،

والنفسي.

6 - وقد ظهرت أهمية وأثر هذه الراية في الحديث الذي تقدم في فصل: «أحداث أخرى: نصوص وآثار»، من أن أبا عرفاء، جبلة بن عطية الذهلي، طلب من حضين أن يسمح له بحملها ساعة واحدة، لأنه يريد أن يقاتل بها قتال الباذل نفسه للشهادة، فإذا نال الشهادة تحتها، عادت إلى حضين، وهكذا كان..

المطعم المجاني بين المعسكرين:

وتقدم في الرواية رقم [2]: أن حريث بن جابر، كان نازلاً بين العسكرين في قبة له حمراء يسقي الناس حين القتال: اللبن والسَويق (وهوالدقيق المقلوّ) والماء، ويطعمهم اللحم والثريد، فمن شاء أكل، ومن شاء شرب..

ونقول:

1 - يقال: إن حريث بن جابر الجعفي (الحنفي) هو الذي قتل عبيد الله بن عمر(1).

وروى ابن أبي الحديد المعتزلي: أن معاوية كتب إلى زياد في

---

(1) صفين للمنقري ص300 والأخبار الطوال ص178 والدر النظيم ص363 وبحار الأنوار ج32 ص480 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص234 و 236 وتاريخ مدينة دمشق ج38 ص72 وأنساب الأشراف للبلاذري ص325 وعن مروج الذهب للمسعودي ج2 ص127.

أمره بعد عام الجماعة ـ وحريث عامل لزياد على همدان ـ : أما بعد، فاعزل حريث بن جابر عن عمله، فما ذكرت مواقفه بصفين إلا كانت حزازة في صدري.

فكتب إليه زياد: إن حريثاً بلغ من الشرف مبلغاً لا تزيده الولاية، ولا ينقصه العزل[1].

وعده الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب علي «عليه السلام»[2].

وذكرت لهذا الرجل مواقف طاعة، وتأييد لأمير المؤمنين «عليه السلام» يشكر عليها، ولعلها هي التي آلمت معاوية، فأراد أن يؤذيه بعزله عن العمل، الذي تولاه من قبل زياد.

2 ـ إننا لا نرى أن هذا التدبير (أعني بذل الطعام والشراب مجاناً للعسكر حال القتال) كان بعيداً عن رأي أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل هو من بنات أفكاره، لا سيما وأن تلبية حاجات العسكر من الماء والشراب، والسَويق واللحم، والثريد، واللبن، خصوصاً في حال القتال كان يحتاج إلى ميزانية هائلة، وإلى تهيأة مقادير كبيرة جداً من الوسائل، التي يحتاج إليها هذا العمل، خصوصاً إذا كان هذا العسكر يعد بعشرات الألوف.

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص241.

(2) رجال الشيخ الطوسي ص61 رقم [26].

هذا عدا عن الحاجة إلى فريق كبير جداً من العاملين في إعداد ذلك، وتقديمه للطالبين بسرعة، وفاعلية، إذ ليس هذا مما يقوم به فرد واحد، أو أفراد.

وليس ثمَّة ما يدل على أن حريث بن جابر كان يملك من المال والرجال، ما يكفي لسد حاجات العسكر كله من هذه الأمور. ولا كان معروفاً بالكرم والسخاء، والبذل والعطاء، لا قبل، ولا بعد صفين، ولم يذكر في جملة أجواد العرب، لا من قريب، ولا من بعيد.

ولو كان هذا العطاء من ماله، لذكره الناس على رأس القائمة في أجواد العرب قبل ابن جعفر، وابن عباس، وحاتم الطائي، وزيد الخير، بل وقبل الخلفاء والأمراء، الذين نقل الناس عنهم بعض السخاء بالأموال، وإن كان سخاءً بأموال الأمة، الذي يجب أن يعد سخاء خيانة، لا سخاء كرم وكرامة، وأمانة..

على أن هذا الأمر، لو كان مجرّد مبادرة شخصية من حريث بن جابر، لأثنى عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، أو أي من القادة الكبار، أو أهل الشأن.. ولذكره المؤرخون على أنه فضيلة من فضائله.. ولرواه بعض أهل العسكر المستفيدين من بذله وعطائه.. وكل ذلك يدلنا على أن هذا العمل كان إجراءً عسكرياً، فرضته القيادة العليا، وهيأت له الإمكانات المادية، والفريق العامل، وكان حريث، هو المتولي للتنفيذ والإجراء.

3 - إن في هذا الإجراء إيحاء إيجابياً يكرس الطمأنينة إلى توفر

الحاجات الضرورية، وأنه ليس ثمّة أي نقص يمكن أن يطرأ في هذا المجال، لأن القيادات قد وفرت كل ما يمكن اعتباره حاجة أساسية، ووضعت ذلك أمام أعين الناس، ومن دون قيود وحدود، وفي قبة حمراء متميزة بلونها هذا، وفي أكثر المواضع حساسية، حيث يراها المقاتلون ويقصدونها حتى في لحظات الشدة..

4 - إن التركيز كان على توفير حاجات أساسية جداً للمقاتل في لحظات الشدّة، وهي الماء، واللبن والسَويق، الذي يخفف من تأثير الجو الحار على المقاتلين، بالإضافة إلى الثريد واللحم، الذي قد يشعر المقاتل بحاجته إليه لاسترجاع بعض القوة، التي فقدها بسبب ما بذله من جهد، لا سيما أولئك الذين يكونون في حركة دائمة، وربما سريعة، ويبذلون كل ما لديهم في مقارعة العدو..

نعم.. لقد كانت إقامة هذه الخيمة ضرورية، وأمر لا غنى عنه، ولو لأجل تلبية الحاجة النفسية، وتكريس الشعور بالإشباع، وعدم النقص.. فلا تنشغل النفس بأوهام تصدّها عن مواصلة بذل الجهد، ولا تقلق على مستقبلها، ولا تتأثر بالمخاوف الكاذبة، والوساوس غير الواقعية حول قدرتها على الإستمرار، والصمود في ظل فقدان حاجات أساسية تتطلبها في اللحظات الحساسة..

لا نذر في معصية الله:

وذكرت الرواية المتقدمة في أول الفصل برقم [3]: أن معاوية نذر سبي نساء ربيعة، وقتل المقاتلة..

ولا ريب في أن سبي المسلمات من أعظم الجرائم والموبقات، فكيف بقتل المدافعين عن الحق والدين، بقيادة سيد الأوصياء، وقائد الغر المحجلين؟!..

يضاف إلى ذلك: أنه لا نذر في معصية الله، وهل هناك معصية أعظم من هذه المعصية؟! ألا يدل هذا النذر على عظيم جرأة معاوية على الله؟! وعلى أنه ليس أهلاً لشيء مما يرشّح نفسه له؟!

بل هو لا يصلح إلا للكون في مواضع الخزي والمهانة، حيث لا يرى إلا غضب الله تعالى، ونقماته، وإلا العذاب الأليم، والذل المقيم..

علي × البدر المضيء:

وتقدم في الرواية رقم [3] أيضاً: أن ابن الكواء وقد وصف علياً «عليه السلام» بالبدر، ولكنه ليس كسائر البُدُر، بل هو البدر الذي يضيء لدى الغبار من البريق..

ونقول:

1 - قد تكرّر وصف علي «عليه السلام» بما يؤدي هذا المعنى. ولكن اللافت أن يأتي هذا الوصف من مثل ابن الكواء، الذي كان خارجياً ملعوناً..

الأمر الذي يدل على أن هذه الصفة كانت ظاهرة فيه «عليه السلام»، إلى الحد الذي لا يرى أحد، حتى العدو حرجاً في الجهر بها..

إلا أن يقال: إن انحراف ابن الكواء قد ظهر أو حصل بعد التحكيم..

2 - إن الذي يراجع ما ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب، حول أوصاف علي «عليه السلام» يظهر له مدى حرص أتباع الفريق المناويء له «عليه السلام» على إظهاره بصورة تنفر منها الطباع، وتمجها الأسماع..

ولكن النصوص الكثيرة الأخرى، قد أوضحت زيف هذه

الفصل العاشر:

فشل خطط معاوية..

من خطط معاوية الفاشلة:

قال [نصر: وحدثنا عمر بن سعد قال]: ولما تعاظمت الأمور على معاوية [قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب] دعا عمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

فقال لهم: إنه قد غمّني رجال من أصحاب علي، منهم سعيد بن قيس في همدان، والأشتر في قومه، والمرقال، وعدي بن حاتم، وقيس بن سعد في الأنصار، وقد وقتكم يمانيتكم بأنفسها [أياما كثيرة] حتى لقد استحييت لكم، وأنتم عدتهم من قريش: وقد أردت أن يعلم الناس أنكم أهل غناء، وقد عبأت لكل رجل منهم رجلا منكم، فاجعلوا ذلك إلي.

فقالوا: ذلك إليك.

قال: فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غدا، وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة المرقال، وأنت يا بسر لقيس بن سعد، وأنت يا عبيد الله

للأشتر النخعي، وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيئ ـ يعني عدي بن حاتم ـ ثم ليرد كل رجل منكم عن حماة الخيل.

فجعلها نوائب في خمسة أيام ، لكل رجل منهم يوم.

1 - فأصبح معاوية [في غده] فلم يدع فارساً إلا حشده، ثم قصد لهمدان [بنفسه]، وتقدم الخيل، وهو يقول:

لا عيش إلا فلق قحف الهام　　من أرحب وشاكر وشبام
لن تمنع الحرمة بعد العام　　بين قتيل وجريح دام
سأملك العراق بالشام　　أنعى ابن عفان مدى الأيام

فطعن في أعراض الخيل ملياً.

ثم إن همدان تنادت بشعارها، وأقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية، واشتد القتال، وحجز بينهم الليل، فذكرت همدان أن معاوية فاتها ركضاً(1).

لكن ابن أعثم ذكر أبيات معاوية هكذا:

لا عيش إلا فلق قحف الهام　　من أرحب وشاكر ويام
قوم هم أعداء أهل الشام　　كم من كريم بطل همام
كم من قتيل وجريح دامي　　كذاك حرب السادة الكرام

وأضاف ابن أعثم قوله:

قال: فخرج إليه سعيد بن قيس الهمذاني وهو يقول:

---

(1) صفين للمنقري ص 426 و 427.

لا هـم رب الـحـل والاحـــرام لا تجــــعل الملـك لأهـل الشــام

فالـــــعـــام عام ليس كالأعوام واليـــوم يـــوم ليـــس كالأيام
والنـاس مــرمي بــهــم ورامـــي

قال: ثم حمل سعيد بن قيس ليطعنه، وركض معاوية حتى لحق بعسكره، فانفلت ولم يصبه بشيء، فجعل سعيد يرتجز، ويقول: إلخ..][(1)]

يا لــهــف نــفـسي فاتني معاوية فــوق طِمَــرٍّ كالعقـــاب هاويـــه
والـــراقـــصـــات لا يعود ثانيه إلا عــلى ذات خـــصيـل طاويه
إن يعـد اليـــوم فـكــفي عاليه

فانصرف معاوية ولم يعمل شيئاً[(2)].

2 - وإن عمرو بن العاص غدا في اليوم الثاني في حماة الخيل، فقصد المرقال، ومع المرقال، لواء علي الأعظم، في حماة الناس، وكان عمرو من فرسان قريش، فتقدم وهو يقول:

لا عــيش إن لـم ألـق يوما هاشما ذاك الـذي أجشـمني المجاشـما
ذاك الــذي أقـــام لي الـمـآتـمــا ذاك الـذي يشتم عرضـي ظالمـا
ذاك الـــذي إن ينـــج مني سـالما يكـــن شـجــا حتـى الممـات

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص44 و 45.

(2) صفين للمنقري ص427.

لازما

فطعن في أعراض الخيل مزبدا، فحمل هاشم وهو يقول:

لا عيـــش إن لـم ألق يومي عمرا ذاك الــذي أحــدث فينــا الغــدرا
[ذاك الــذي أعــذرت فيه القدرا ذاك الذي مـا زال ينـوي الغدرا]
أو يــحــدث الله لأمـــر أمـــرا لا تجزعي يا نفس صبرا صبرا
ضــربــا هـذا ذيك وطعنا شزرا يـا ليت ما تجني [تحتي] يكون قبرا

فطاعن عمراً حتى رجع، [وقال ابن أعثم: واختلفا بطعنتين، فطعنه هاشم بطعنة جرحه منها جراحة منكرة. فرجع عمرو إلى معاوية وجراحته تشخب دماً]. واشتد القتال، وانصرف الفريقان[بعد شدة القتال]، ولم يسر معاوية ذلك(1).

3 ـ وإن بسر بن أرطاة غدا في اليوم الثالث في حماة الخيل، فلقي قيس ابن سعد في كماة الأنصار، فاشتدت الحرب بينهما، وبرز قيس [على فرس أشقر، حاسر الرأس، ورجلاه تخطان الأرض] كأنه فنيق مقرم، وهو يقول:

أنــا ابــن ســعـد زانــه عبـاده والخزرجيـــون رجـــال ســـاده
ليــس فــراري في الــوغى بـعاده إن الفــــرار للفتـــى قـــلاده

---

(1) صفين للمنقري ص427 و 428 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص43 و 44.

يـا رب أنــت لقـنـي الشـهادة [شـــهادة تتبعهـــا ســـعادة]
والقتـل خيــر مــن عناق غادة [نفـــس عُنـــي[1] بـــالحيض والولادة]

حتى متى تـثـنـى لــي الوسادة

وطاعن خيل بسر، وبرز له بسر بعد ملي، وهو يقول:

أنــا ابــن أرطــاة عــظيم القدر مــردد فــي غـــالب بــن فهــر
ليـس الفـرار مــن طبـاع بسر أن يرجــع اليــوم بغيــر وتــر
وقـد قـضـيت في عدوي نذري يـــا ليـت شـعري مـا بقـي مـن عمري

ويطعن بسر قيسا، فيضربه قيس بالسيف فرده على عقبيه، [فضربه ضربة أثخنه منها]، ورجع القوم جميعا ولقيس الفضل[2].

4 ـ وإن عبيد الله بن عمر تقدم في اليوم الرابع، ولم يترك فارساً مذكوراً، وجمع من استطاع، فقال له معاوية: إنك تلقى أفاعي أهل العراق، فارفق واتئد.

فلقيه الأشتر أمام الخيل مزبدًّاً ـ وكان الأشتر إذا أراد القتال ازبدَّ ـ وهو يقول:

---

(1) بالبناء للمفعول.

(2) صفين للمنقري ص428 و 429 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص42 و 43.

في كل يـوم هـامـتـي مـقيـره بالضـرب أبغـي منـة مـؤخره
والـدرع خيـر مـن بـرود حبـره يــا رب جـنبني سـبيل الكـفرة
واجـعـل وفـاتي بأكف الفجرة لا تـعـــدل الـدنـيـــا جميعـــا وبره
ولا بـعـوضـاً في ثـواب البــررة

وشد على الخيل خيل الشام فردها، فاستحيا عبيد الله، فبرز أمام الخيل ـ وكان فارساً [شجاعاً] ـ وهو يقول:

أنعــى ابــن عفــان وأرجــو ربي ذاك الـذي يخرجنــي مـن ذنبـي
ذاك الــذي يكشـف عني كـربي إن ابـن عفـان عظـيم الخطـب
يأبى لــه حبـي بكـــل قـلبـي إلا طـعـانـي دونـــه وضـربـي
حسـبي الذي أنويه حسبي حسبي

فحمل عليه الأشتر فطعنه، واشتد الأمر، وانصرف القوم وللأشتر الفضل، فغم ذلك معاوية(1).

ولكن ابن أعثم أورد القضية بنحو آخر، فقد ذكر أنه: «خرج الأشتر، فجعل يجول في الميدان، ويقول:

أرجـو إلـهي وأخــاف ذنـبــي ولـيس شـيء مثـل عفـو ربـي
قـل لابـن هنـد بغضكم في قلبي أعظــم مــن أحد ورب الحجب

---

(1) صفين للمنقري ص428 و 429 و 430 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص513 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص71.

قال: فخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وهو يقول:

أنـعي ابـن عفـان وأرجـو ربي ذاك الـذي يخرجنـي مـن ذنبـي
إن ابـن عـفـان عظيم الخطب أعظـم مـن أحـد ورب الحجـب
إلا طـعـاني دونـه وضـربـي حـسبي الـذي أنـوي بـه وحسبي

ثم دنا الأشتر، وليس يعرفه»[1] إلخ..

ثم ذكر أنه لما عرفه طلب منه أن يسمح له بالرجوع، وتوسل إليه في ذلك، حتى أجازه، فرجع إلى معاوية مذعوراً.. وقد ذكرنا القصة في موضع آخر.

5 - وإن عبد الرحمن بن خالد غدا في اليوم الخامس، وكان أرجاهم عند معاوية أن ينال حاجته، فقوّاه معاوية بالخيل والسلاح، وكان معاوية يعدّه ولدا، فلقيه عدي بن حاتم في حماة مذحج وقضاعة، فبرز عبد الرحمن أمام الخيل، وهو يقول:

قـل لعـدي ذهـب الـوعيـد أنـا ابـن سـيف الله لا مزيـد
وخـالـد يـزيـنـه الـولـيـد ذاك الـذي هـو فـيكم الوحيـد
قـد ذقتـم الحرب فزيدوا زيدوا فمـا لـنـا ولا لـكـم محيد
عـن يـومـنـا ويومكم فعودوا

ثم حمل فطعن الناس، وقصده عدي بن حاتم [وسدد إليه الرمح]

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص45.

وهو يقول:

أرجـو إلـهي وأخـاف ذنـبـي ولـيس شـيء مثـل عفـو ربـي
يـا ابـن الـوليد بغضكم في قلبي كـالـهـضب بـل فـوق قنـان الهضب

فلما كاد أن يخالطه بالرمح توارى عبد الرحمن في العجاج، واستتر بأسنة أصحابه، واختلط القوم، ورجع عبد الرحمن إلى معاوية مقهوراً، وانكسر معاوية(1).

ولكن ابن أعثم نسب البيتين الأخيرين للأشتر، لا لعدي بن حاتم، كما تقدم.

وقال أيضاً: إن عبد الرحمن برز إلى الميدان، وهو ينشد الأبيات:

قـل لـعـدي ذهـب الـوعيـد إلـــــــخ..

فخرج إليه الأشتر، وهو يرتجز ويقول:

في كـل يـوم هـامتي مـوقـرة بالضـرب أبغـي منـة مـؤخرة إلخ..

[قال ثم حمل عليه الأشتر، فضربه ضربة فلق البيضة، وأسرع السيف إلى رأسه.

فرجع عبد الرحمان إلى معاوية، وهو يقول: مالنا ولعثمان بن

---

(1) صفين للمنقري ص430 و 431 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص43 و 44.

عفان لا يزال دمه يغلي، حتى لا يبقى منا أحد.

فقال معاوية: يا بن أخي! ما أسرع ما ضجرت، وهل يصيبك إلا ما أصاب الفتيان إذا لعبوا بك، إنما تقاتل عن دينك ونفسك.

قال: فلم لا تخرج أنت يا معاوية؟!.

فقال معاوية: أنا والله أخرج يا ابن أخي].

ثم ذكر خروج معاوية إلى همدان، وهو يقول:

لا عيش إلا فلق قحف الهام إلخ..

فخرج إليه سعيد بن قيس، وهو يقول:

اللهم رب الحل والاحرام إلخ..

ثم ذكر هروب معاوية منه.. ورجوع سعيد بن قيس المتقدم(1).

وإن أيمن بن خريم الأسدي، لما بلغه ما لقي معاوية وأصحابه شمت، وكان أنسك رجل من أهل الشام وأشعره، وكان في ناحية معتزلاً، فقال في ذلك:

معاوي إن الأمر لله وحده وإنك لا تستطيع ضرا ولا نفعا
عبأت رجالا من قريش لمعشر يمانية لا تستطيع لها دفعا
فكيف رأيت الأمر إذ جد جده لقد زادك الرأي الذي جئته جدعا
تعبي لقيس أو عدي بن حاتم والاشتر يا للناس أغمارك

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص43 و 44.

الجـــــــــــــــــــــــــــــدعا

تـعبئ للمـرقـال عـمـرا وإنــه للـيث لقى من دون غابتـه ضبعا

وإن سـعيـدا إذ بـرزت لرمحه لفـارس همـدان الـذي يشـعب الصـــــــــــــــــــــــــــــدعا

مـلي بـضـرب الـدارعين بسيفه إذا الخيـل أبـدت مـن سـنابكها نقعـــــــــــــــــــــــــــــــا

رجـعـت فلم تظفر بشيء أردته سـوى فـرس أعيـت وأبـت بهـا ظلعـــــــــــــــــــــــــــــــا

فدعـهم فـلا والله لا تستـطيعهـم مـجاهــرة فـــاعمل لقهــرهم خدعا

قال: وإن معاوية أظهر لعمرو شماتة [وجعل يقرعه ويوبخه] وقال: لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس في همدان وقررتم [وفررتم]، وإنك لجبان.

فغضب عمرو، ثم قال: والله لو كان علياً «عليه السلام» ما قحمت عليه يا معاوية، فهلّا برزت إلى علي إذ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعم!!

وقال عمرو في ذلك: [ونسبها ابن أعثم إلى عبيد الله بن عمر]:

تسيـر إلى ابـن ذي يـزن سـعيـد وتتـرك فـي العجاجـة من دعاكـا

فهـل لك في أبي حـسن علـي لعــل الله يمكــن مــن قفاكـــا

دعــاك إلى النــزال فـلـم تجبه ولـــو نازلتـــه تربـــت يـــداكا

وكنــــت أصـــم ، إذ ناداك عنها　　وكـــان ســـكوته عنهـــا مناكـــا
فـــآب الكبش قد طـحنت رحاه　　بنجدتـــه ولـــم تطحـــن رحاكـــا
فما أنصـفت صحبك يا ابن هند　　أتفرقـــه وتغضـــب مـــن كفاكـــا
فـــلا والله مـــا أضـــمرت خيرا　　ولا أظـــهرت لي إلا هـــواكـــا

[قال]: وإن القرشيين استحيوا مما صنعوا، وشمتت بهم اليمانية [من أهل الشام] .

فقال معاوية: يا معشر قريش، والله لقد قربكم لقاء القوم من الفتح، ولكن لا مرد لأمر الله، [ومم تستحيون؟!]، إنما لقيتم كباش أهل العراق، وقتلتم، وقتل منكم، وما لكم علي من حجة، لقد عبأت نفسي لسيدهم سعيد بن قيس. فانقطعوا عن معاوية أياماً، فقال معاوية في ذلك:

لعمري لقد أنصفت والنصف عادة　　وعـــاين طعنـــا فـــي العجـــاج المعـــــــــــــــــــــــــاين
ولـولا رجـائي أن تبوءوا بنهـزة　　وأن تغسلوا عارا وعته الكنـائن
لنـــاديـــت للـهيجا رجالا سواكم　　ولكنمـا تحمـى الملـوك البطـائن
أتـــدرون مـن لاقيتم فل جيشكم　　لقيتم جيوشا أصحرتها العرائن
لـــقيـتم صناديد العراق ومن بهم　　إذا جاشـــت الهيجـــاء تحمـــى الظعـــــــــــــــــــــــائن
ومـا كان منكم فارس دون فارس　　ولـــكنـــه مـــا قـــدر الله كـــائـــن

قال: فلما سمع القوم ما قال معاوية أتوه فاعتذروا له، واستقاموا

له على ما يحب(1).

ونقول:

لا بأس بالنظر فيما يلي من مطالب:

إيضاحات سريعة:

طِمَرّ: بكسر الطاء، وتشديد الراء: الفرس الجواد، المتحفِّز للوثب، والطُّمَرُّ: الغرة والجهل.

الراقصات: الرقص ضرب من الخبب (أحد أنواع السير) والراقصات التي ترقص في سيرها.

الخصيل: الذَّنَبَ.

المَجَاشِم: المشقّات، والأثقال..

الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم، ونحوه. مما يمنع من البلع.

هذا ذيك: ألهذا القطع: وهذا ذيك، أي قطعاً بعد قطع.

شزراً: الطعن عن يمين وشمال.

فنيق: الفحل المكرم.

مقرم: البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل..

---

(1) صفين للمنقري ص 426 - 433 وراجع: الفتوح (ط دار الأضواء) ج3 ص103.

وقيرة: قيَّر الزق طلاه بالقار (وهو المسمى بالزفت).

حبِرة: بفتح الحاء، وكسر الباء: ضرب من برود اليمن. ورداء أسود تلبسه نساء مصر.

قنان الهضب: أعاليها. وقنة شيء: أعلاه.

الجدع: القطع. وبضم الجيم، جمع أجدع.

الأغمار: جمع غمر: وهو من لا تجربة له.

يشعب الصدع: يجمعه ويضمه، لكي يزيله.

الأظلع: الذي يغمز في شية، والمائل، والمتهم. والظلاع: داء في قوائم الدابة.

النصف بالكسر: الإنصاف.

النهزة: الفرصة.

الكنائن: ما يستر به الشيء، ويحفظ.

أصحرتها: أبرزتها.

العرائن: جمع عرينه. وهي مأوى الأسد، كالعرين.

العشائرية أردتهم:

قد عرفنا: أن الإسلام أراد للقرابة النسبية أن تكون مصدر خير وصلاح، وسبباً في التعاون للتغلب على الصعاب، والتكامل مع الآخرين والتلاقي معهم. أي أنه أراد للمجتمع الإنساني أن يبني نفسه بطريقة مترابطة إلى حد التمازج، فبدأ بالأسرة التي تتحول إلى قبيلة،

والقبيلة تصير قوماً، والقوم يصبح شعباً، والشعب أمة متعاونة متكافلة، تجمعها الأخوّة في الله، ويهيمن عليها ويرعاها، ويدير شؤونها أب حنون عطوف حريص عليها. وهو النبي «صلى الله عليه وآله»، أو الإمام«عليه السلام».

ولذلك كان علي «عليه السلام» يلقي بنفسه بين السيوف، ويواجه الحتوف دفاعاً عن جندي من جنوده، ويقدم أهل بيته، وأبنائه، وخاصته، والخلّص من أصحابه.. ليقي بهم من يمكن وقايته من عامة الناس. وكان يمدح جنده، ويثني عليهم، كما كان يبكيهم، ويرثيهم، ويرعى أيتامهم، ويكفل عوائلهم، ويحفظهم في ذرياتهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً..

وهذه هي سيرة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، الذي كان في مقدّم الصفوف، وقد قدّم العديد من الأخيار الأبرار، والكبار الكبار من أهل بيته، مثل عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله، وأسد رسوله، وعبيدة بن الحارث، وجعفر الطيار، وغيرهم من الأصحاب والأقارب، والأحباب..

ولكن أعداء هذا الخط، ومناوئيه، كانوا يتخذون من القرابة والعشيرة وسيلة لتمزيق الأمة، وتشتيت كلمتها، وإلقاء بأسها بينها، لأن اجتماعها يخيفهم، ووحدة كلمتها ترعبهم. فهم يريدون الناس حولهم، وفي خدمتهم، ولكنهم لا يرونهم كباراً، بل صغاراً في عددهم، وفي هممهم، وفي شعورهم بالكرامة الإيمانية والإنسانية، ويريدونهم

متفقين على خدمتهم، مختلفين فيما بينهم.

فكانت العشيرة عند علي وأهل بيته «عليهم السلام» مدماكاً في بناء الأمة الشامخ، ولبنة في صرحه العظيم، يمدها ذلك البناء بقوته، وتمده بالكبرياء، والعظمة، والكرامة ومضاعفة القوة، والعطاء لتلك اللبنة سوف يتضاعف بعدد لبنات ذلك البناء، لتشكل بمجموعها قوة هائلة، ويصير المجموع كله كالبنيان المرصوص، الذي لا تهزه الرياح العواصف، لأن قدرة الله تحميه، وعين الله ترعاه. ويد الله تنصره على قاعدة: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)**(1).

أما الذي صنعه معاوية هنا: فما هو إلا تطبيق أرعن للمضمون الجاهلي للعشائرية القبيحة، التي لا تنهض من فضيحة إلا إلى فضيحة..

فإنه بادر فجمع من عدا اليمانية، وخصوصاً قريشاً، وصار يحرّضهم على القتال على أساس التنافس مع اليمانية..

فمعاوية يحاول أن يجعل لدى قريش وغيرها الدافع للحرب بالاستناد إلى تنافسها مع اليمانية.

أما علي «عليه السلام»، فلم يطلب من ربيعة أن تنافس قبيلة همدان ولا طلب من همدان أن تنافس ربيعة، بل جاءه أعيان ربيعة،

---

(1) الآية 6 من سورة محمد.

وطلبو منه أن يفسح لهم المجال لخوض الحرب، رغبة منهم في الجهاد، ونيل رضا الله تعالى..

ولعل هدفهم لم يكن هو الإستطالة على همدان، وتحجيم طموحها، والخدشة في كبريائها.. بل كان هدفهم أيضاً: أن يدفعوا عن أنفسهم الظنون والأوهام: بأنهم يحبون السلامة. ولا يرغبون بالجهاد نصرة للدين.. ودفع الشبهات عن النفس أمر مشروع، بل هو محبوب، ومرغوب، لأن الله تعالى يريد للمؤمن أن يكون عزيزاً منيعاً طيب السمعة، معروفاً بحرصه على أداء واجباته على أكمل وجه وأتمه. ولا يريد أن ينظر إليه بعين النقص، ولا أن تقتحمه العيون استصغاراً، أو أن تتقاذفه الأوهام والظنون احتقاراً..

فأين الثريا وأين الثرى؟! وأين معاوية من علي؟!

معاوية وقتل ابن عمر:

ولنا أن نحتمل قوياً: أن هذه مسرحية صنعها معاوية لأهداف كبيرة وخطيرة، فهو من الذين يرون أن الغاية تبرر الوسيلة، فلا مانع من أن يستفيد من القبائلية والعشائرية للوصول إلى مآربه، مهما كانت تلك المآرب حقيرة ووضيعة..

والحقيقة هي: أننا نشتمّ من حركته هذه، رائحة التآمر منه، حتى على بعض أصحابه، فهو يرى أن أية نتيجة حصلت له إضافة إلى ذلك، سيكون مسروراً بها..

ويبدو لنا من تقسيمه للقادة عنده لمواجهة قادة علي «عليه السلام» الذين أتحف به أصحابه حين جمعهم: أنه يريد لعبيد الله بن عمر أن يقتل. وكان يعرف أن قتله لن يكون مضموناً، إلا إذا لقي علياً «عليه السلام»، أو لقي الأشتر النخعي رضوان الله تعالى عليه..

وكان يعلم أنه لو وضعه في مقابل أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه لن يقدم عبيد الله، بل سوف يتحاشاه، ويبتعد عنه، لأنه يعرفه حق المعرفة، ولا يرى عاراً في فراره منه، أو نكوله عنه.

وأما الأشتر، فعبيد الله لا يعرفه كمعرفته بعلي «عليه السلام» كما أن فراره منه سوف يكون محرجاً له..

وسبب رغبة معاوية في قتل ابن عمر أمران:

أحدهما: أنه يريد أن يتخلص من رجل ثقيل الظل عليه، لم يلجأ إليه حبا به، أو إخلاصاً له، وإنما لجأ إليه فراراً من سيف علي «عليه السلام».. وقد كان هذا الرجل ـ وهو عبيد الله بن عمر ـ يستطيل على معاوية، ويسمعه من الكلام الجارح ما يؤذيه، وكان معاوية يداريه، لأنه كان بحاجة إليه..

الثاني: إن قتل عبيد الله بن عمر سوف يحرك مشاعر الكثيرين من أهل الشام ضد أمير المؤمنين «عليه السلام»، وربما يكون سبباً في وقوع البلبلة والخلاف بين أهل العراق أيضاً، وهذا هو الأهم عند معاوية، بل ما كان يرمي إليه..

ولكنه لما فشلت خطته هنا، ونجا عبيد الله بن عمر من براثن

الأسد.. عاد في مرة لاحقة، وطلب من عبيد الله بن عمر، وأصر عليه إيما إصرار أن يتولى مسؤولية الهجوم الكبير. وهو الهجوم الذي كان فيه حتفه كما سنرى.. ولكنه لم يستطع أن يوظف قتله في التشنيع على علي أمير المؤمنين «عليه السلام» لكثير من الأسباب..

غير أننا نلفت النظر هنا إلى ما يلي:

أولاً: أنه أخر دور عبيد الله بن عمر إلى اليوم الرابع، وهو ما قبل اليوم الأخير للتعمية على مقصوده الحقيقي.. ثم أمعن في التعمية حين جعل لنفسه يوماً يتولى فيه قيادة الهجوم..

ثانياً: إنه اختار لنفسه مواجهة سعيد بن قيس.. لأنه مطمئن إلى النجاة معه، وذلك لأنه هو الرجل الأول في أهل الشام، وكل الأبطال يريدون أن يكونوا معه، وتحت لوائه، وأن يبذلوا كل جهدهم أمام ناظريه، لينالوا الحظوة عنده.

ولكنه مني بهزيمة نكراء مع سعيد، واضطر إلى الهرب ركضاً، كما ذكرته النصوص المتقدمة. وقد خلد سعيد هذه الهزيمة بالرجز الذي أنشده:

يا لهف نفسي فاتني معاوية فوق طمر كالعقاب هاوية
والراقصات لا يعود ثانية إلا على ذات خصيل طاوية

إن يـعـد اليـوم فكفي عالية[1].

ثالثاً: إن معاوية قد دأب على التصريح بأنه لا يحتاج إلى المخاطرة بنفسه مع وجود القبائل التي معه، مثل قبيلة عك وحمير، وسواهما. وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب..

بل لقد صرّح معاوية بذلك في الأبيات الأخيرة المتقدمة في نفس هذا النص، الذي نحن بصدد الحديث عنه، حيث قال:

ولـولا رجائي أن تبوءوا بنهزة وأن تغسلوا عاراً وعته الكنائن
لناديت للهيجا رجالاً سواكم ولكنما تحمي الملوك البطائن

رابعاً: إن ملاحظة الكلمات والأشعار والأرجاز في هذا النص تظهر المنحى الذي ينحو إليه الفريقان، فترى في كلمات وأشعار، وخطب وأرجاز أصحاب معاوية العنجهية، والإستكبار، والقبائلية، والعجرفة.

وترى في كلمات وخطب وأشعار وأرجاز أصحاب علي «عليه السلام» الرقة، والشرف، والكرامة، والدين، وحب لقاء الله، والعزوف عن الدنيا.

وصدق القول المعروف: «الناس على دين ملوكهم».

وصدق الشاعر حيث يقول:

---

(1) صفين للمنقري ص427.

يكفيكم [وحسبكم] هذا التفاوت بيننا وكـل إنـاء بمـا فيـه ينضح

أنا ابن سيف الله:

تقدم: أن عبد الرحمان بن خالد بن الوليد قال في رجزه: «أنا ابن سيف الله». وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» وفي هذا الكتاب: أن مناوئي على «عليه السلام» قد استولوا على هذا اللقب، ومنحوه لخالد بن الوليد. كما استولوا على الكثير الكثير مما يعود له «عليه السلام».

وربما كان الهدف هو تأكيد مقولة أبي بكر في خالد: «لا أشيم سيفاً سلّه الله على أعدائه» حين طالبه عمر بمعاقبة خالد على قتله مالك بن نويرة، وزناه بإمرأته في نفس الليلة..

ويبدو أن هذه المكافأة قد منحت له في وقت مبكر، كما يدل عليه كلام ولده عبد الرحمان المتقدم.

ما لنا ولعثمان بن عفان!:

1 - تقدم قول عبد الرحمان بن خالد بن الوليد لمعاوية: حين ذاق طعم سيف الأشتر، وكاد أن يقضي عليه: «ما لنا ولعثمان بن عفان، لا يزال دمه يغلي حتى لا يبقى منا أحد».

وفي هذا دلالة على أن حربهم لأمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن فيها أية رائحة للحق، أو للدين، ولو بمستوى التوهم.. فلم تكن دفاعاً عن حق اعتقدوه، ولا عن قضية آمنوا بها، وإنما هو شعار

أطلقوه، ثم تحمسوا له، حتى خيّل لهم أنه حقيقة، أو ما يشبهها، ثم لما حقت الحقائق وجدوا أنفسهم في خواء وهباء، ولا يمسكون بأيديهم سوى السراب، أو الهواء، فحالهم كحال الذي عبث به الصبية، فأراد أن يدفعهم عن نفسه، فقال لهم: إذهبوا إلى بيت فلان، ففيه وليمة، فلما توجهوا إليه تبعهم، بل صار في مقدمتهم رجاء أن ينال من تلك الوليمة التي اخترعها لهم..

نعم، هذا هو حال معاوية، مع عبد الرحمان بن خالد. حين عبر عبد الرحمان عن شعوره بالخواء والهباء، فرد عليه معاوية بأنه يقاتل عن دينه ونفسه، مع أن معاوية نفسه هو من رؤوس مخترعي، ومروّجي، ومستغلي فكرة التجني على أمير المؤمنين «عليه السلام»، والإفتراء عليه، والطلب بدم عثمان من غير قاتله، من دون أي مبرر شرعي سوى طلب الدنيا بذلك. وقد اشترى من عمرو بن العاص دينه من أجل ذلك عن سابق علم ومعرفة وإصرار..

وأين هذا من حال أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» الذين رغبوا بوعد الله سبحانه، وصدقوا نبيه ووصيه، وآمنوا بكتابه، وكانوا مع الصادقين..

2 ـ وقد أحرج عبد الرحمان بن خالد معاوية، بقوله له: فلم لا تخرج أنت إليه يا معاوية، فإن القضية إن كانت ـ حسب زعم معاوية ـ دفاعاً عن الدين، وهو واجب شرعي، وعن النفس، وهو واجب عقلي، فلا يختص بشخص دون شخص، فما معنى أن يطلب معاوية

أمراً يعفي نفسه منه.

وقد قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلّا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا كيما يصح به وأنت سقيم
لو كان قولك صادقاً لعملته فإذا انتفعت به فانت حكيم

وتتأكد صحة هذا السؤال وأهميته وأثره السلبي على معاوية، إذا كان أهل الشام قد سمعوه، ورأوا نكول معاوية عن القتال.. ثم رأوا في مقابل ذلك علياً «عليه السلام» وجميع خيار الأمة معه يلقون بأنفسهم في المهالك، ويتهافتون على الحرب، باذلين أنفسهم في سبيل الله، بكل رضا وسكينة، وربما بكل سرور أيضاً..

أما معاوية، فيصرّح: بأنه ملك، يريد من الناس وخصوصاً بطانته: أن يحموه، ويدفعوا عنه، ويريد من القبائل أن تموت دونه، ومن أجله.

شيطان في صورة ناسك:

وتقدم زعمهم: أن أيمن بن خريم كان أنسك أهل الشام وأشعرهم.. وقد شمت بمعاوية، وقال شعراً في هذا الذي جرى..

وقد نظرنا في أمر هذا الرجل، فوجدنا ما يلي:

إن هذا الرجل ليس ناسكاً، فضلاً عن أن يكون أنسك أهل الشام، وإنما هو شيطان يتظاهر بالنسك ليخدع الناس، فإن الناسك هو الذي

لا يهتم للدنيا، بل هو يدعها لأهلها، ويعكف على طلب الآخرة. ويجهد نفسه في عبادة ربه، وطلب رضاه. ويتوخى مواضع ومواقع هذا الرضا، ويبذل مهجته، وكل ما لديه في سبيل الوصول إليه، والحصول عليه..

وأعظم ناسك في هذه الأمة هو علي «عليه السلام» وأبناؤه، وخيار أصحابه. الذين بذلوا كل غال ونفيس، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

أما الهاربون من المواجهة الذين يدّعون النسك لأنفسهم، فهم كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: لم ينصروا الحق، ولم يخذلوا الباطل..

بل إنهم قد أسهموا في تأمين غطاء للباطل، وتمكينه من أن يقدم نفسه على أنه هو الحق، ولم يعرفوه للناس، ولا ميزوه لهم، وهذه خدمة جليلة، وتسهيل سبيل للباطل، وإفساح بالمجال، لأن تدخل الشبهة به على البسطاء من الناس..

كما أن هذا الإعتزال يثير الشبهة على الحق نفسه، ويبهم أمره على كثير من الناس البسطاء، ويعطي لأهل الباطل قدرة على التحرك والمناورة بباطلهم..

وهذا المدعي للنسك إنما يريد أن يفوز بدنياه، مقابل تخلّيه عن دينه وآخرته، وها هو لا يكتفي بالتعتيم على الحق وأهله، وبالمساهمة في تمكين أهل الباطل من التسويق له، بل هو يعطي النصائح لأهل

الباطل، ويدلهم على ما يدحضوا به الحق..

ويقول لهم: إن هذا الجهد العسكري الذي تبذلونه لن يوصلكم إلى ما تريدون، كما أن الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه سوف يؤدي إلى ظهور الحق، وسقوط الباطل.. فليس لكم وسيلة سوى استعمال الخدع الشيطانية، والأحابيل الإبليسية، ولذلك قال أيمن بن خريم، وهو الشيطان في صورة ناسك:

فدعهم فلا والله لا تستطيعهم مجاهرة فاعمل لقهرهم خدعا

وقد قال عنه ابن قتيبة: «كان مع بني مروان يسامرهم، ويؤاكلهم»[1].

بل لقد ذكروا: أن معاوية كان قد جعل لأيمن بن خريم فلسطين على أن يبايعه على قتال علي «عليه السلام»، فبعث أيمن إليه:

«ولست مقاتلاً رجلاً يصلِّي على سلطان آخر من قريش»[2].

فهو لم يمتنع عن قتال علي لأن علياً «عليه السلام» على الحق، بل لأنه يصلِّي، وهو من قريش، ولا يقاتل رجلاً يجمع هاتين

(1) المعارف لابن قتيبة ص148.

(2) صفين للمنقري ص503 و 504 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص232 والدرجات الرفيعة ص115 والأخبار الطوال ص194.

الصفتين. فحال علي «عليه السلام» عنده حال معاوية، وهما بمنزلة واحدة..

والذي نراه: أنه كان يعلم أن معاوية كما يعطيه فلسطين، سيكون قادراً على أخذها منه، أو على عدم الوفاء له بما وعده..

كما أنه يخاف أن لا يسلم من سيف علي «عليه السلام».

شماتة معاوية بابن العاص:

وقد قال تعالى في محكم كتابه عن أهل الباطل: **(لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)[1]**.

وقد ظهر مصداق هذه الآية هنا أيضاً، فإن المفروض هو: أن القضية التي يقاتل عليها ومن أجلها عمرو بن العاص ومعاوية كانت واحدة. وأن فشل ابن العاص فشل لمعاوية ولخطته.. وضعف لأمره.. فما معنى أن يشمت معاوية بعمرو؟! لولا أن الله سبحانه وهو العالم بالخفيات والأسرار أخبرنا عن حال أهل الباطل. وأنهم لا يفكرون بمصلحة الجماعة، وإنما بمصلحتهم كأفراد وأشخاص بأعيانهم. وهم لا يطيقون أن ينازعهم حتى أبناؤهم وآباؤهم على دنياهم، بل يبادرون إلى قمعهم، وإن اقتضى الأمر إلى قتلهم على قاعدة قول هارون

---

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

الرشيد: والله لو نازعتني أنت هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، فإن الملك عقيم[1].

وقال موسى بن عيسى، عندما رأى عبادة الحسين بن علي وأصحابه، في وقعة فخ: «..هم والله، أكرم عند الله، وأحق بما في أيدينا منا، ولكن الملك عقيم. ولو أن صاحب هذا القبر (يعني النبي «صلى الله عليه وآله»)، نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف..»[2].

والمنصور أيضاً قد قرر هذه القاعدة بالذات، حينما اعترض عليه سليمان بن مهران الأعمش على قتله أولاد علي «عليه السلام»[3].

وهذا الدرس قد أخذه الكل عن عبد الملك بن مروان، وقد أخذه عبد الملك من سلفه، معاوية[4]. كما أن معاوية قد أخذه عن غيره، فراجع المصادر[5].

---

(1) عيون أخبار الرضا ج1 ص91 وينابيع المودة ص383 وبحار الأنوار ج48 ص131 وشرح ميمية أبي فراس ص73.

(2) مقاتل الطالبيين ص453 وثمرات الأعواد ص199 و200 وشرح ميمية أبي فراس ص74.

(3) مناقب الخوارزمي ص208.

(4) راجع: الأمالي للصدوق ص133.

(5) راجع: الفضائل لشاذان ص124 والهداية الكبرى ص171 ومدينة المعاجز ج2 ص16.

ومن المصادر التي نسبت هذا القول إلى حكام بني أمية:

الأمالي للصدوق ص132 وبحار الأنوار ج 33 ص50 وشجرة طوبى ج2 ص241 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص296 والطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص227 وتاريخ بغداد ج13 ص108 وتاريخ مدينة دمشق ج58 ص235 و 240 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص10 والكامل في التاريخ ج4 ص328 والبداية والنهاية ج8 ص348 و 353 والسيرة الحلبية ج1 ص287 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص81 عن (مخطوط) در بحر المناقب لابن حسنويه ص60.

ومن المصادر التي نسبت هذا القول إلى الحكام من بني العباس نذكر:

الأمالي للصدوق ص525 وعيون أخبار الرضا ج2 ص84 و 86 وروضة الواعظين ص124 ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج2 ص597 ومقاتل الطالبيين ص301 وعيون المعجزات ص80 والإحتجاج للطبرسي ج2 ص165 و 166 والروضة لشاذان ص94 والفضائل لشاذان ص122 وحلية الأبرار ج2 ص151 ومدينة المعاجز ج1 ص313 وج3 ص287 وج5 ص241 وج6 ص334 و 338 وبحار الأنوار ج31 ص86 وج37 ص93 وج47 ص202 وج48 ص129 و 131 وج83 ص299 وج91 ص298 وشجرة طوبى ج1 ص169 وجامع أحاديث الشيعة ج17 ص350 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص492 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص30 وتهذيب المقال ج2 ص422 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص162 و163 وتاريخ مدينة دمشق ج7 ص172 والكامل في التاريخ ج8 ص588 وج11 ص315 وتاريخ الإسلام للذهبي ج16 ص74 والبداية والنهاية ج11 ص301 وأعيان الشيعة ج2 ص8 وج4 ص332 وج5 ص72 وج6 ص100 وبشارة المصطفى ص189 و 217 والمناقب للخوارزمي

كما أن عبد الملك عندما قتل مصعب بن الزبير بكى، وقال: «لقد كان أحب الناس إلي، وأشدهم مودة لي، ولكن الملك عقيم، ليس أحد يريده من ولد، ولا والد إلا كان السيف»(1).

كما أن الأمين العباسي، عندما لم يعد له نجاة من براثن أخيه المأمون، يتذكر هذه القاعدة، فيقول: «هيهات، الملك عقيم، لا رحم له..»(2).

وبعدما تقدم نقول:

لعل سبب حقد معاوية على عمرو بن العاص هو أن عمرواً اضطر معاوية لإعطائه مصر طعمة. وكان تخلي معاوية عن مصر هو الغصة التي يعاني منها، بالرغم من أنه لم يكن قد حصل عليها

ص293 وينابيع المودة ج3 ص165 وغاية المرام ج6 ص298 و 301 و 306 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص22 عن المناقب للخوارزمي (ط تبريز) ص191 وج12 ص309 عن فصل الخطاب لمحمد خواجة بارساي البخاري على ما في ينابيع المودة (ط اسلامبول) ص383 وج15 ص335 عن المناقب لابن المغازلي (ط طهران) ص143 وج31 ص283 عن توضيح الدلائل للسيد شهاب الدين أحمد بن عبد الله الحسيني الشيرازي الشافعي (نسخة مكتبة الملي بفارس) ص191.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص296 والطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص168 والبداية والنهاية ج8 ص316.

(2) تتمة المنتهى ص185 وعن مروج الذهب ج3 ص413.

بعد..

وقد تقدم في هذا الكتاب بعض ما يشير إلى ذلك..

يعيره بما وقع هو فيه:

ونذكر من مظاهر العلاقة بين معاوية وعمرو بن العاص:

1 ـ أن معاوية يعيِّر عمرواً بالفرار من هاشم المرقال، بالرغم من أن عمرواً قد واجه هاشماً، ورجع إلى معاوية وجرحه يشخب دماً كما تقدم..

أما معاوية، فإنه اختار فرسان أهل الشام، وذهب لمواجهة كتيبة سعيد بن قيس، فلما بصر به سعيد من بعيد، وقصده، هرب منه معاوية، ونجا بنفسه، وأفلت ركضاً، فكان سعيد يتلهف على فواته من يده، وذلك في رجزه الذي أنشده..

إذن، فمعاوية هو الذي يجب أن يعيّر بالفرار، وأن يشمت به الشامتون، ويلومه اللائمون.

ولكن مشكلة عمرو أنه كان أمام سطوة سلطان يريد أن يغطي على ما صدر منه بالبطش بمن هو أضعف منه. ولو كان أخاه، وشريكه في الربح والخسارة.

فمعاوية يتعامل مع عمرو هنا على قاعدة: رمتني بدائها وانسلت.

2 ـ لقد أجاب عمرو معاوية على ما عيره به معاوية بما تقدم.. وهو جواب لم يجد عند معاوية ما يدفعه به، فحول الأمر إلى اتهام

عام ينال جميع قادته من قريش وينسبهم فيه إلى التساهل، والتراخي، والجبن، وعدم الجدية.. ربما ليزيدهم حماسة إلى القتال. ولكي يمتص شماتة اليمانية بهم. ويعيد الأمور إلى نصابها.

ملاحظتان أخيرتان:

بقيت لنا هنا ملاحظتان وهما:

1 - لما استقامت لمعاوية الأمور بعث إلى قادته بالشعر الذي تقدم، وأزال عتبهم عليه، واسترضاهم به. ولم يكن لهم خيار سوى العودة إليه. وهكذا كان..

2 - وأما الشعر الذي نسب أخيراً إلى ابن العاص. وقال ابن أعثم إنه لعبيد الله بن عمر، فربما كان لأحدهما، وتمثل به الآخر، وذكر الناس به، وهذا ليس بعزيز في مثل هذه الأحوال..

كمين تخشاه ربيعة علي ×:

روى [نصر: حدثنا عمرو بن شمر، عن الشعبى قال: عبأ معاوية تلك الليلة أربعة آلاف وثلثمائة، من فارس وراجل، معلمين بالخضرة، وأمرهم أن يأتوا علياً «عليه السلام» من ورائه، ففطنت لهم همدان، فواجهوهم وصمدوا إليهم، فباتوا تلك الليلة يتحارسون، وعلى «عليه السلام» قد أفضى به ذهابه ومجيئه إلى رايات ربيعة، فوقف بينها وهو لا يعلم، ويظن أنه في عسكر الأشعث.

فلما أصبح لم ير الأشعث، ولا أصحابه]، وإذا سعيد بن قيس

[الهمداني] على مركزه، فلحقه رجل من ربيعة، يقال له: (نفر)، فقال له: ألست الزاعم، لئن لم تنته ربيعة لتكونن ربيعة ربيعة، وهمدان همدان؟! فما أغنت عنك همدان البارحة؟!

فنظر إليه على «عليه السلام» نظر منكر.

[ونادى منادى علي «عليه السلام»: أن استعدوا للقتال، واغدوا عليه، وانهدوا إلى عدوكم]، فلما أصبحوا نهدوا للقتال غير ربيعة، لم تتحرك.

فبعث إليهم على «عليه السلام»: أن انهدوا إلى عدوكم، فأبوا.

فبعث إليهم أبا ثروان، فقال: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» يقرئكم السلام، ويقول: يا معشر ربيعة ما يمنعكم أن تنهدوا وقد نهد الناس؟!

قالوا: كيف ننهد وهذه الخيل من وراء ظهرنا؟! قل لأمير المؤمنين «عليه السلام» فليأمر همدان، أو غيرها بمناجزتهم لننهد.

فرجع أبو ثروان إلى على «عليه السلام» فأخبره، فبعث إليهم الأشتر فقال:

يا معشر ربيعة، ما منعكم أن تنهدوا [وقد نهد الناس] ـ وكان جهير الصوت ـ وأنتم أصحاب كذا، وأصحاب كذا؟! فجعل يعدّد أيامهم.

فقالوا: لسنا نفعل حتى ننظر ما تصنع هذه الخيل التى خلف

ظهورنا، وهى أربعة آلاف.

قل لأمير المؤمنين «عليه السلام» فليبعث إليهم من يكفيه أمرهم، وراية ربيعة يومئذ مع حضين بن المنذر.

فقال لهم الأشتر: فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول لكم: اكفونيها. إنكم لو بعثتم إليهم طائفة منكم لتركوكم في هذه الفلاة، وفرّوا كاليعافير. فوجهت حينئذ ربيعة إليهم تيم الله، والنمر بن قاسط، وعنزة.

قالوا: فمشينا إليهم مستلئمين مقنعين في الحديد، وكانت عامه قتال صفين مشياً، فلما أتيناهم هربوا، وانتشروا انتشار الجراد.

قال: فذكرت قول الأشتر: (وفرّوا كاليعافير).

فرجعنا إلى أصحابنا وقد نشب القتال بينهم وبين أهل الشام، وقد اقتطع أهل الشام طائفة من أهل العراق بعضها من ربيعة، فأحاطوا بها، فلم نصل إليها حتى حملنا على أهل الشام، فعلوناهم بالأسياف حتى انفرجوا لنا، وأفضينا إلى أصحابنا [فاستنقذناهم]، وعرفناهم تحت النقع بسيماهم وعلامتهم(1).

(واليعافير: تيوس الظباء. وولد البقرة الوحشية، والظباء مطلقاً).

(1) صفين للمنقري ص330 - 332.

العلامة والشعار:

وكانت علامة أهل العراق بصفين الصوف الأبيض، قد جعلوه في رؤوسهم وعلى أكتافهم.

وشعارهم: «يا الله، يا أحد، يا صمد، يا رب محمد، يا رحمن يا رحيم».

وكان علامة أهل الشام خرقاً صفراً قد جعلوها على رؤوسهم وأكتافهم.

وكان شعارهم «نحن عباد الله حقاً حقاً، يا لثارات عثمان».

وكانت رايات أهل العراق سوداً، وحمراً، ودكناً، وبيضاً، ومعصفرة وموردة، والألوية مضروبة دكن وسود.

قال: فاجتلدوا بالسيوف، وعمد الحديد.

قال: فما تحاجزوا، حتى حجز بيننا سواد الليل.

قال: وما نرى رجلاً منا، ولا منهم مولياً(1).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

ربيعة ربيعة، وهمدان همدان:

يبدو أن أمراً قد حدث جعل ربيعة تتخذ موقفاً من همدان. ولعله

---

(1) صفين للمنقري ص332.

منافسة ربيعة لهمدان في الحرب، فإن المنافسة قد تتمادى ببعض الناس إلى الحد الذي تسبب فيه إرباكاً، أو مشكلة.. الأمر الذي دعا علياً «عليه السلام» إلى تهديد ربيعة بقوله: «لئن لم تنته ربيعة لتكونن ربيعة ربيعة وهمدان همدان».

ونقول:

1 ـ لا شك في أن هذا الرجل الذي يقال له نفر.. قد ارتكب خطأً جسيماً بإساءته الأدب مع إمامه بهذا الخطاب النابي، الذي استهله بقوله: «ألست الزاعم». ثم قوله: ـ وكأنه يظهر شماتة ـ: «فما أغنت عنك همدان البارحة».. وتتأكد هذه الإساءة من خلال تعمّد هذا الرجل أن يلحق بالإمام، ليقول له هذه المقالة، فلم تكن كلمة عفوية استفزه إليها موقف رآه، أو كلام سمعه، لم يملك معه أن قال ما قال..

2 ـ لقد اكتفى «عليه السلام» بنظرة المنكِر إلى ذلك الرجل، ولكن ليت شعري، لو أن هذه الإساءة قد حصلت مع أي حاكم آخر من أهل الدنيا، فهل تراه سيكتفي بهذا، أم هو سوف يمتشق سيفه، ثم يلاحق هذا الرجل، ليشفي غليل صدره منه؟!

3 ـ يلاحظ: أن مضمون التهديد الذي أطلقه «عليه السلام» لربيعة لا يتضمن أية إشارة صريحة إلى أي موقف، أو تصرف عقابي منه تجاه ربيعة، أو غيرها. بل هو قد توعد بأمر سوف يحصل بنفسه وتلقائياً، لا بفعل أحد من الناس، وهو أن تكون ربيعة ربيعة، وهمدان همدان..

4 - ويبدو لنا أنه «عليه السلام» يريد إيكال كل قبيلة إلى نفسها، وإلى جهدها، حيث سوف تؤدي مواقف ربيعة إلى امتناع همدان عن مساعدتها، وكذلك العكس. والظروف الحربية الراهنة تجعل من سلوك هذا الطريق أمراً خطيراً، لأن استقلالية كل من القبيلتين عن الأخرى، سوف تحرمها من معونة أختها لها في كثير من الشؤون.. حتى الشؤون القتالية، وتحتم على كل واحدة أن تولي جميع شؤونها بنفسها.

ولكن هذا المعترض لم يفهم الأمر فيما يبدو بهذه الطريقة، بل فهمه على أنه انحياز لقبيلة همدان ضد ربيعة، ولعله لأجل هذا الخطأ في الفهم نظر إليه علي «عليه السلام» نظر منكر..

5 - واللافت: أن واقع الحال في تلك الساعة بالذات قد أيد صحة ما قاله أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإن الأربعة آلاف وثلاث مئة مقاتل الذين أرسلهم معاوية ليأتوا علياً «عليه السلام» من ورائه، قد صادف كونهم خلف ربيعة، فأحرجوها، وجعلوها تشعر بالخطر، وقيدو حركتها، بل منعوها من التحرك..

وتبين لهم أنهم أصبحوا عاجزين عن تلبية نداء أمير المؤمنين «عليه السلام» بالنهوض لعدوهم، وجعلهم يشعرون بمسيس الحاجة إلى مساعدة قبيلة همدان لفك أسرهم، وإطلاق حركتهم. فاندفعوا ليطلبوا هم من أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يأمر همدان، أو غيرها بمناجزة تلك الكتيبة، ليتمكنوا من الحركة..

6 ـ والأمر الأغرب والأعجب أن أمير المؤمنين «عليه السلام» ليس فقط لم يستجب لطلب ربيعة ذاك، بل هو قد أمرها بأن تتولى هي صد تلك الكتيبة، فلما أرادت تنفيذ أمره بدت لها أمور عديدة هي في غاية الأهمية من أكثر من جهة.

فقد طلبوا منه «عليه السلام» أن يرسل من يكفيهم أمر ذلك الكمين، أو تلك الكتيبة، ولكنه «عليه السلام» أرسل يقول لهم: «اكفونيها» أي أنه قد رد الأمر إليهم وعليهم، ثم بيَّن لهم طريقة الكفاية التي أمرهم بها، فقال:

«إنكم لو بعثتم إليهم طائفة منكم، لتركوكم في هذه الفلاة، وفروا كاليعافير».

كمين معاوية يفرون كاليعافير:

وقد تبين عملياً لقبيلة ربيعة وغيرها، ما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» قد أوضح لربيعة أنها عجزت عن مواجهة أمر هو في غاية السهولة والبساطة، وقد منعها هذا الأمر بالذات عن الحركة..

2 ـ إنها أدركت عملياً أنها لا غنى لها عن معونة همدان وغيرها.. بل اضطرت إلى تقديم طلب صريح له بأن يرسل همدان لمعونتها..

3 ـ إنه عرفها أن العدو قد يلجأ إلى المظاهر الضخمة والكبيرة

في حجمها للتهويل على عدوه، وربما بهدف تبديد قوته، وإشغال قواته في العديد من الإتجاهات، ليتمكن من تسديد ضربته في موقع معين.. مع أن حركته في حقيقتها لا تعدو كونها مجرد انتفاخات فارغة.

4 ـ إن على القائد أن يميز بين هذه الحالة، وبين الحالات التي تكون فيها للعدو قوة حقيقية ومؤثرة، وأن تكون لكل حالة عنده الحل المناسب لها على أرض الواقع، وأن لا ينخدع بالأحجام والمقادير والمظاهر..

5 ـ يلاحظ أنه «عليه السلام» قد عالج هذه القوة الكبيرة بأمر يسير، وكأنه عالجها بنفخة يسيرة، فتلاشت تلك القوة الكبيرة..

6 ـ إنه «عليه السلام» تعمد أن يكون العلاج من داخل قبيلة ربيعة، ولم يسمح لهمدان، ولا لغيرها بتولي ذلك.. لأن ذلك معناه تحقيق هدف العدو في تبديد قواته. وتشتيتها..

وربما لأنه أراد أيضاً: أن يحفظ ماء الوجه لربيعة مقابل عدوها الحقيقي. وأمام سائر القبائل من همدان وسواها أيضاً..

7 ـ إنه «عليه السلام» قد أعطى درساً لمقاتليه، يقضي بعدم الإنبهار بالمظاهر، والأحجام والأشكال والمقادير.. بل ينظر إلى ما تختزنه تلك الأحجام من طاقات. ومدى فعالية تلك الطاقة في نفسها، وبملاحظة ظروفها الحاكمة عليها..

8 ـ إن أربعة آلاف مقاتل إذا كانت منقطعة، أو بعيدة عن المدد،

وكانت في معرض المحاصرة، فإنها لا تستطيع أن تحقق غرضاً إلا من خلال المباغتة لعدوها.. فإذا انكشف أمرها له، ولو بأن تقصدها طائفة صغيرة منه، فإنها لا تملك إلا الفرار بالبيداء، وبذل كل جهدها للعودة إلى مواقعها الأولى بسلام..

ولذا لاحظنا: أن أولئك الأربعة آلاف وثلاث مئة مقاتل قد بادروا إلى الفرار في البيداء بلا خطة ولا نظام بمجرد أن رأوا طائفة من مقاتلي ربيعة توجهت نحوهم، وعرفوا انكشاف أمرهم.

9 ـ ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد أشار إلى حالة الفرار هذه، وأنها تفقد الخطة والنظام معاً، بقوله «عليه السلام»: «كاليعافير»، فإنها حين يواجهها العدو تهيم في البيداء، بصورة عشوائية، وبدون ضابطة..

الباب السادس

قتل القادة الكبار..

الفصل الأول: أبو نوح.. وذو الكلاع..

الفصل الثاني: وقفات مع نصوص الفصل السابق..

الفصل الثالث: قتل عبيد الله بن عمر..

الفصل الرابع: هذا هو ابن بديل..

الفصل الأول:

أبو نوح.. وذو الكلاع..

هكذا بدأ حديث أبي نوح:

ذكر ابن أعثم: أنه كان مع أمير المؤمنين «عليه السلام» يومئذ رجل من حمير يكنّى بأبي نوح، وكان مفوهاً متكلماً، وكان له فضل وقدر، وطاعة في الناس، فقال لعلي «عليه السلام»: يا أمير المؤمنين! أتأذن لي في كلام ذي الكلاع؟! فإنه رجل من قومي، وهو سيد عند أهل الشام، فلعلي أشكّكه فيما هو فيه!

فقال له علي «عليه السلام»: يا أبا نوح! إن ردّ مثل ذي الكلاع شديد عند أهل الشام، فإن أحببت لقاءه فالقه بالجميل، وإياك والكتب.

قال: فبعث أبو نوح إلى ذي الكلاع: أني أريد لقاءك، فأخرج إلي أكلمك.

قال: فجاء ذو الكلاع إلى معاوية، فقال: إن أبا نوح يريد كلامي ولست مكلمه إلا بإذنك، فما ترى في كلامه؟! أكلمه، أم لا ؟!

فقال معاوية: وما تريد إلى كلامه؟! فوالله ما نشك في هداك، ولا

في ضلالته، ولا في حقك، ولا في باطله.

فقال ذو الكلاع: على ذلك، ائذن لي في كلامه!

فقال معاوية: ذاك إليك.

وفشا أمر أبي نوح وذي الكلاع في الناس، فأنشأ رجل من أصحاب علي «عليه السلام»، يقول:

أَذْكِرْ أخا كلع أمراً سيُعْقِبُهُ شكاً وشيكاً فبادره أبا نوح
حتى نشككه في دين صاحبه والشك منه قريب شبه تصريح
أما الرجوع فإني لست آمله إلا وبعض دماء القوم مسفوح
من يحصب ورعين أو ذوي كلع وأصبح الشمر ذي الرأي المراجيح
كم ساعد قد أبان السيف مرفقها ورأس أشوس وسط القوم مطروح
قال ابن هند له قولا فأطمعه إن المطامع باب غير مفتوح
بادره من قبل أن ينشب أظافره من ابن هند بتشبيع وتجليح
وامنحه نصحك إما كنت ناصحه ما كان نصح أبي نوح بمشروح
إن خالف اليوم أهل الشام ذو كلع لا يمس بالشام قرن غير منطوح

قال : وأقبل (أبو) نوح حتى وقف بين الجمعين، وخرج ذو

الكلاع حتى وقف قبالته.

فقال أبو نوح: يا ذا الكلاع! إنه ليس في هذين الجمعين أحد أولى بنصيحتك مني، إن معاوية بن أبي سفيان أخطأ وأخطأتم معه في خصال كثيرة، لخطأة واحدة، أنه من الطلقاء، الذين لا تحل لهم الخلافة، فأخطأ بادعائه إياها، وأخطأتم باتباعه.

وأخطأ في الطلب بدم عثمان، وأخطأتم معه، لأن غيره أولى بطلب دم عثمان منه.

وأخطأ أنه رمى علياً «عليه السلام» بدم عثمان، وأخطأتم بتصديقكم إياه، ونصركم له. وهذا الأمر قد شهدناه، وغبتم عنه.

فاتق الله ويحك يا ذا الكلاع! فإن عثمان بن عفان أبيح له قوم فقتلوه بدعوى ادعوا عليه، والله الحاكم في ذلك يوم القيامة.

وقد بايعت الناس علياً «عليه السلام» برضاء منه ومنهم، لأنه لم يك للناس بد من إمام يقوم بأمرهم، وليس لأهل الشام مع المهاجرين والأنصار أمر.

فإن قلت: إن علياً «عليه السلام» ليس بخير من معاوية، ولا بأحق منه بهذا الأمر، فهات رجلاً من قريش ممن ترضى دينه، حتى يعدل بينهم في شيء من الدين والشرف، والسابقة في الاسلام!.

فقال له ذو الكلاع: إنني قد سمعت كلامك أبا نوح! ولم يخف علي منه شيء، ولكن هل فيكم عمار بن ياسر؟!

فقال أبو نوح: نعم هو فينا.

قال: فهل يتهيأ لك أن تجمع بينه وبين عمرو بن العاص، فيتكلمان وأنا أسمع؟!.

فقال أبو نوح: نعم.

ثم ولَّى إلى عسكره، فصار إلى عمار، وطلب إليه، وسأله أن يلقى عمرو بن العاص.

قال: فخرج عمار في ثلاثين رجلا من المهاجرين والأنصار، ليس فيهم رجل إلا وقد شهد بدراً مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» غير رجلين عمرو بن الحمق الخزاعي، ومالك بن الحارث الأشتر.

قال: وقام الصباح الحميري إلى معاوية، فقال له: إني أرى لك أن لا تأذن لذي الكلاع أن يلقى أبا نوح، فإنه قد طمع فيه، وأخاف أن يشكّكه في دينه.

فقال معاوية: إني قد نهيته، فلم ينته عن ذلك، وهو رجل من سادات حمير، وأنا أرجو أن لا يخدع.

قال: فأنشأ رجل من أصحاب معاوية في ذلك يقول:

إني رأيت أبا نوح له طمع — في ذي الكلاع فلا يقرب أبا نوح

إني أخاف عليه من بوادره — كيد العراق وقرنا غير منطوح

إن يرجع اليوم للعقبين ذو كلع — يرجع له الشام من شك وتصريح

مـا قول عمرو وشر القول أكـذبـه إلا هشـيم ذراه عاصـف الـريح
لا بارك الله فـي عـمرو وخطبـتـه إن التــي رامهــا فُجْـرٌ وتجلـيح
لو شــاء قـــال لـــه قـولا يشككه حتـــى يظـــن ســـحوق النخـــل كالشيح(1)

حديث أبي نوح برواية المنقري:

وروى نصر: عن عمر، حدثني صديق أبي، عن الإفريقي بن أنعم، قال: كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية، وإنهم لحديثو عهد بها، فالتقوا في الإسلام، وفيهم بقايا تلك الحمية، وعند بعضهم بصيرة الدين والإسلام، فتصابروا واستحيوا من الفرار، حتى كادت الحرب تبيدهم، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء عسكر هؤلاء، فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم.

فلما أصبحوا ـ وذلك يوم الثلاثاء ـ خرج الناس إلى مصافهم، فقال أبو نوح: فكنت في الخيل يوم صفين في خيل علي «عليه السلام» وهو واقف بين جماعة من همدان وحمير، وغيرهم من أفناء قحطان، وإذا أنا برجل من أهل الشام، يقول: من دلّ على الحميري أبي نوح؟!

فقلنا: هذا الحميري، فأيهم تريد؟!

قال: أريد الكلاعي أبا نوح.

قال: قلت: قد وجدته، فمن أنت؟!

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص72 ـ 74.

قال: أنا ذو الكلاع، سر إلي.

فقلت له: معاذ الله أن أسير إليك إلا في كتيبة.

قال ذو الكلاع: [بلى] فسر، فلك ذمة الله، وذمة رسوله «صلى الله عليه وآله»، وذمة ذى الكلاع حتى ترجع إلى خيلك، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه.

فسر دون خيلك حتى أسير إليك.

فسار أبو نوح وسار ذو الكلاع حتى التقيا، فقال ذو الكلاع: إنما دعوتك أحدثك حديثا حدثناه عمرو بن العاص [قديما] في إمارة عمر بن الخطاب.

قال أبو نوح: وما هو؟!

قال ذو الكلاع: حدثنا عمرو بن العاص أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «يلتقى أهل الشام وأهل العراق وفي إحدى الكتيبتين الحق، وإمام الهدى، ومعه عمار بن ياسر».

قال أبو نوح: لعمر الله إنه لفينا.

قال: أجاد هو في قتالنا؟!

قال أبو نوح: نعم ورب الكعبة، لهو أشد على قتالكم منى، ولوددت أنكم خلق واحد، فذبحته وبدأت بك قبلهم، وأنت ابن عمى.

قال ذو الكلاع: ويلك، علام تتمنى ذلك منا؟! والله ما قطعتك فيما بينى وبينك، وإن رحمك لقريبة، وما يسرنى أن أقتلك.

قال أبو نوح: إن الله قطع بالإسلام أرحاماً قريبة، ووصل به أرحاماً متباعدة، وإني لقاتلك أنت وأصحابك، ونحن على الحق وأنتم على الباطل، مقيمون مع أئمة الكفر، ورؤوس الأحزاب.

فقال له ذو الكلاع: [فهل تستطيع أن تأتي معي في صف أهل الشام، فـ] أنا جار لك من ذلك ألّا تقتل، ولا تسلب، ولا تكره على بيعة، ولا تحبس عن جندك، وإنما هي كلمة تبلغها عمرو بن العاص، لعل الله أن يصلح بذلك بين هذين الجندين، ويضع الحرب والسلاح.

فقال أبو نوح: إني أخاف غدراتك، وغدرات أصحابك.

فقال له ذو الكلاع: أنا لك بما قلت زعيم.

فقال أبو نوح: اللهم إنك ترى ما أعطاني ذو الكلاع، وانت تعلم ما في نفسي، فاعصمني واختر لي، وانصرني وادفع عني(1).

قال المنقري وابن أعثم:

ثم سار مع ذي الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص، وهو عند معاوية وحوله الناس، وعبد الله بن عمرو يحرض الناس على الحرب، فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يا أبا عبد الله، هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر لا يكذبك؟!

قال عمرو: ومن هو؟!

قال: ابن عمي هذا، وهو من أهل الكوفة.

---

(1) صفين للمنقري ص332 - 334.

فقال عمرو: إني لأرى عليك سيما أبي تراب «عليه السلام».

قال أبو نوح: عليَّ سيما محمد «صلى الله عليه وآله» وأصحابه، وعليك سيما أبي جهل، وسيما فرعون.

فقام أبو الأعور، فسل سيفه، ثم قال: لا أرى هذا الكذاب اللئيم يشاتمنا بين أظهرنا، وعليه سيما أبي تراب.

فقال ذو الكلاع: أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأخطمن أنفك بالسيف.

ابن عمي وجاري، عقدت له بذمتي، وجئت به إليكما ليخبركما عما تماريتم فيه.

[فسكت أبو الأعور].

قال له عمرو بن العاص: اذكرك بالله يا أبا نوح إلا ما صدقتنا، ولم تكذبنا، أفيكم عمار بن ياسر؟!

فقال له أبو نوح:

ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرني لم تسألني عنه، فإنا معنا من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدّة غيره، وكلّهم جاد على قتالكم.

قال عمرو: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إن

عماراً تقتله الفئة الباغية(1)، وإنه ليس ينبغى لعمار أن يفارق الحق، ولن تأكل النار منه شيئاً.

فقال أبو نوح: لا إله إلا الله والله أكبر، والله إنه لفينا، جاد على قتالكم.

فقال عمرو: والله إنه لجاد على قتالنا؟!

قال: نعم والله الذى لا إله إلا هو، [و] لقد حدثنى يوم الجمل أنّا سنظهر عليهم، ولقد حدثنى أمس أن لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على حق، وأنهم على باطل، و [لـ] كانت قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار.

فقال له عمرو: فهل تستطيع أن تجمع بينى وبينه؟!

قال: نعم.[وها هو واقف في ثلاثين رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب]

فلما أراد أن يبلغه أصحابه ركب عمرو بن العاص، وابناه،

(1) الحديث روي من طرق مختلفة في: تاريخ الأمم والملوك ج6 ص22 - 23 ودلائل البيهقي ج2 ص552 وبعضه أخرجه مسلم في الفتن ج4 ص233 والبخاري في الصلاة من فتح الباري ج1 ص541 والإمام أحمد في مسنده ج3 ص22 و 91 وج6 ص289 وج4 ص197 و 199 ونقل ابن كثير في البداية والنهاية ج7 ص299 وما بعدها الحديث بأسانيد مختلفة ومن طرق متعددة.

وعتبة بن أبى سفيان، وذو الكلاع، وأبو الأعور السلمى، وحوشب، والوليد بن [عقبة بن] أبى معيط، فانطلقوا حتى أتوا خيولهم.

وسار أبو نوح ومعه شرحبيل بن ذى الكلاع حتى انتهيا إلى أصحابه، فذهب أبو نوح إلى عمار، فوجده قاعداً مع أصحاب له، منهم ابنا بديل وهاشم، والأشتر، وجارية بن المثني، وخالد بن المعمر، وعبد الله بن حجل، وعبد الله بن العباس.

وقال أبو نوح: إنه دعاني ذو الكلاع وهو ذو رحم، فقال: أخبرني عن عمار بن ياسر، أفيكم هو؟!

قلت: لم تسأل؟!

قال: أخبرني عمرو بن العاص في إمرة عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «يلتقى أهل الشام وأهل العراق وعمار في أهل الحق، يقتله (كذا) الفئة الباغية».

فقلت: إن عماراً فينا.

فسألني: أجادّ هو على قتالنا؟!

فقلت: نعم والله، أجدّ منى، ولوددت أنكم خلق، واحد فذبحتكم وبدأت بك يا ذا الكلاع.

فضحك عمار، وقال: هل يسرّك ذلك؟!

قال: قلت نعم.

قال أبو نوح: أخبرني [الساعة] عمرو ابن العاص أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول:«عمار يقتله (كذا) الفئة الباغية».

قال عمار: أقررته بذلك؟!

قال: نعم أقررته فأقر.

فقال عمار: صدق، وليضرنه ما سمع، ولا ينفعه.

ثم قال أبو نوح لعمار ـ ونحن اثنا عشر رجلا ـ: فإنه يريد أن يلقاك.

فقال عمار لأصحابه: اركبوا.

فركبوا وساروا(1).

عوف وأبو الأعور:

ثم بعثنا إليهم فارساً من عبد القيس يسمى عوف بن بشر، [وعند ابن أعثم: فأقبل عمرو بن العاص حتى وقف قريباً من أصحاب علي «عليه السلام»، ومعه نفر من أصحاب معاوية.

قال: ونظر إليهم عمار، فأرسل إليهم برجل من عبد القيس، يقال

---

(1) صفين للمنقري ص335 و336 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص74 و75.

له: عوف بن بشر إلخ..].

فذهب حتى كان قريباً من القوم. ثم نادى: أين عمرو بن العاص؟!

قالوا: هاهنا. فأخبره بمكان عمار وخيله.

قال عمرو: قل له فليسر إلينا.

قال عوف: إنه يخاف غدراتك.

[وعند ابن أعثم: قال عمرو: فسر إلينا حتى نكلمك.

فقال: أنا أخاف غدراتك].

فقال له عمرو: ما أجرأك على وأنت على هذه الحال!

فقال له عوف: جرأنى عليك [الله، و] بصيرتي فيك وفي أصحابك، فإن شئت نابذتك [الآن] على سواء، وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك، وأنت كنت غادراً(1).

فقال له عمرو: ألا أبعث إليك بفارس يواقفك؟!

فقال له عوف: ما أنا بالمستوحش، فابعث بأشقى أصحابك.

قال عمرو: فأيكم يسير إليه؟!

فسار إليه أبو الأعور، فلما تواقفا تعارفا، فقال عوف لأبى الأعور: إنى لأعرف الجسد وأنكر القلب، إنى لا أراك مؤمناً، وإنك لمن أهل النار.

---

(1) صفين للمنقري ص334 و335.

[وعند ابن أعثم: إني لأرى رجلاً لا أشك أنه من أهل النار إن كان مصراً على ما أرى]

فقال أبو الأعور: لقد أعطيت لساناً يكبك الله به على وجهك في نار جهنم.

فقال عوف: كلا والله إني أتكلم أنا بالحق، وتكلم أنت بالباطل، وإني أدعوك إلى الهدى، وأقاتل أهل الضلالة، وأفر من النار، وأنت بنعمة الله ضال، تنطق بالكذب، وتقاتل على ضلالة، وتشترى العقاب بالمغفرة، والضلالة بالهدى.

انظروا إلى وجوهنا ووجوهكم، وسيمانا وسيماكم، واسمعوا إلى دعوتنا ودعوتكم، فليس أحد منا إلا [و] هو أولى بمحمد «صلى الله عليه وآله»، وأقرب إليه قرابة منكم.

قال له أبو الأعور: [لقد] أكثرت الكلام وذهب النهار.

[ويحك] ادع أصحابك، وأدعو أصحابي. فأنا جار لك حتى تأتى موقفك الذى أنت فيه الساعة، فإنى لست أبدؤك بغدر، ولا أجترئ على غدر، حتى تأتى أنت وأصحابك، وحتى تقفوا.

فإذا علمت كم هم جئت من أصحابي بعددهم.

فإن شاء أصحابك فليقلوا وإن شاءوا فليكثروا(1).

---

(1) صفين للمنقري ص336 و337 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص75.

عمار.. وابن العاص:

قال المنقري:

فسار أبو الأعور في مائة فارس حتى إذا كان حيث كنا بالمرة الأولى وقفوا وسار في عشرة بعمرو، [وتقدم عمرو في أجلّاء عسكره]، وسار عمار في اثنى عشر فارساً حتى اختلفت أعناق الخيل: خيل عمرو وخيل عمار، ورجع عوف بن بشر في خيله، وفيها الأشعث بن قيس.

ونزل عمار والذين معه، فاحتبوا بحمائل سيوفهم، فتشهد عمرو بن العاص.

فقال له عمار بن ياسر(1): اسكت وقد [فقد] تركتها في حياة محمد «صلى الله عليه وآله» وبعد موته، ونحن أحق بها منك، فاخطب بخطبة الجاهلية، وقل قول من كان في الاسلام دنياً ذليلاً، وفي الضلال رأساً محارباً، فإنك ممن قاتل النبي «صلى الله عليه وآله» في حياته وبعد موته، وفتن أمته من بعده، وأنت الأبتر ابن الأبتر شانئ محمد «صلى الله عليه وآله»، وشانئ أهل بيته.

قال : فغضب عمرو ثم قال : أما إن فيك لهناة، ولو شئت أن أقول لقلت.

---

(1) صفين للمنقري ص337.

فقال عمار: وما عسى أن تقول ابن عمي![1] إني كنت ضالاً فهداني الله، ووضيعاً فرفعني الله، وذليلاً فأعزني الله، فإن كنت تزعم هذا فقد صدقت، وإن أنت تزعم أني خنت الله ورسوله يوماً واحداً، أو تولينا غير الله يوما واحداً، فقد كذبت.

ولكن هلم إلى ما نحن فيه الآن، فإن شئت كانت خصومة، فيدفع حقنا باطلك، وإن شئت كانت خطب، فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك، وتكفرك قبل القيام من مجلسك، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تكذبني.

هل تعلم أن عثمان بن عفان كان عليه الناس بين خاذل له، ومحرّض عليه، وما فيهم من نصره بيده، ولا نهى عنه بلسانه، وقد حصر أربعين يوماً في جوف داره، ليس له جمعة، ولا جماعة. وتظن ما كان فيه قبل أن يقتل ما كان من طلحة والزبير، وعائشة بنت أبي بكر حين منعها أرزاقها، فقالت فيه ما قالت، وحرضت على قتله. فلما قتل خرجت، فطلبت بدمه بغير حق، ولا حكم من الله تعالى في يدها.

ثم إن صاحبك هذا معاوية قد طلب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أن يترك له ما في يده، فأبى علي «عليه السلام» ذلك، فانظر في هذا، ثم سلّط الحق على نفسك، فاحكم لك وعليك.

---

(1) الظاهر أن الصحيح: أن تقول عني.

قال: فقال عمرو: صدقت أبا اليقظان! قد كان ذلك كما ذكرت في أمر عائشة وطلحة والزبير.

وأما معاوية، فله أن يطلب بدم عثمان، لأنه رجل من بني أمية، وعثمان من بني أمية، وليس لهذا جئت[1]، إذا رسّل هذا الأمر[2] الذي قد شجر بيننا وبينكم.

ويتابع المنقري، وابن أعثم:

[إنما جئت] لأني رأيتك أطوع هذا العسكر فأذكر [أذكرك] الله إلا كففت سلاحهم، وحقنت دماءهم، وحرضت على ذلك.

ويحك أبا اليقظان! على ماذا تقاتلنا؟!

ألسنا نعبد الله واحد؟! ألسنا نصلى إلى قبلتكم، وندعو بدعوتكم، ونقرأ كتابكم، ونؤمن بنبيكم؟!

فقال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك، القبلة والله لي ولأصحابي، ولنا الدين والقرآن، وعبادة الرحمن، ولنا النبي والكتاب من دونك ودون أصحابك، وإن الله تبارك وتعالى قد جعلك ضالاً مضلاً، وأنت لا تعلم أهاد أنت أم ضال. وجعلك أعمى.

وسأخبرك علام قاتلتك عليه أنت وأصحابك، ولقد أمرني رسول

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص76 و 77 وراجع: صفين للمنقري ص337.

(2) رسّل الأمر: سهله.

الله «صلى الله عليه وآله» أن أقاتل الناكثين فقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم، وأما المارقون فلا أدري أدركهم أم لا.

أيها الأبتر ! ألست تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله؟!(1). فأنا مولى لله ولرسوله، وعلي مولاي من بعده، وأنت فلا مولى لك.

فقال عمرو بن العاص: ويحك أبا اليقظان! لم تشتمني ولست أشتمك؟!(2).

قال المنقري:

قال عمار: وبم تشتمني، أتستطيع أن تقول: إنى عصيت الله ورسوله يوما قط؟!

قال له عمرو: إن فيك لمسبات سوى ذلك.

فقال عمار: إن الكريم من أكرمه الله، كنت وضيعا فرفعني الله،

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده بمختلف أسانيده وطرقه ج1 ص119 و 152 وج4 ص281 و 368 و 372 وج5 ص347 و 366 و 419 ونقله ابن كثير أيضاً من عدة طرق في البداية والنهاية ج7 ص383.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص76 و 77 وصفين ص337 و 338 وبحار الأنوار ج33 ص30 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص21.

ومملوكا فأعتقني الله، وضعيفا فقواني الله، وفقيرا فأغناني الله.

وقال له عمرو، فما ترى في قتل عثمان؟!

قال: فتح لكم باب كل سوء(1).

وقال ابن أعثم:

فما ترى في قتل عثمان؟!

فقال عمار: قد أخبرتك كيف قتل عثمان.

فقال عمرو: فعلي قتله.

فقال عمار: بل الله قتله [وعلي «عليه السلام» معه].

قال عمرو: فهل كنت فيمن قتله؟!

قال عمار: أنا مع من قتله، وأنا اليوم أقاتل لمن قتله، لأنه أراد أن يقتل الدين فقتل.

[وعند المنقري: كنت مع من قتله، وأنا اليوم أقاتل معهم].

فقال عمرو: يا أهل الشام! إنه قد اعترف بقتل عثمان إمامكم.

فقال عمار: قد قالها فرعون لقومه (الا تستمعون) [ألا تسمعون] (2) أخبرني يا ابن النابغة! هل أقررت أني أنا الذي قتلت

---

(1) صفين للمنقري ص 338.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 3 ص77 وراجع: صفين للمنقري ص 338.

عثمان حتى تُشهِد علي أهل الشام؟!

فقال عمرو، يا هذا! إنه كان من أمر عثمان ما كان، وأنتم الذين وضعتم سيوفكم على عواتقكم، وتحربتم[1] علينا مثل لهب النيران، حتى ظننا أن صاحبكم لا بقية عنده. فإن تنصفونا من أنفسكم، فادفعوا إلينا قتلة صاحبنا، وارجعوا من حيث جئتم، ودعوا لنا ما في أيدينا. وإن أبيتم ذلك، فإن دون ما تطلبون منا والله خرط القتاد.

قال: ثم تبسم عمار، ثم قال: كلامك هذا يا ابن النابغة! يا دعي يا ابن الدعي! يا بن جزَّار قريش! يا من ضرب على خمسة بسهامهم، كل يدّعيك حتى قاربك شرهم!

أفي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» تغتمز؟! أما والله! لقد علمت قريش قاطبة أن علياً «عليه السلام» لا يجلس[2] له عُلَى، ولا يقعقع له بالشنان، ولا يغمز غمز التين[3].

عودة خيبة، وعودة ظفر:

قال: فقام أهل الشام، فركبوا خيولهم ولهم زجل، فصاروا إلى معاوية، فقال لهم معاوية: ما وراءكم؟!

---

(1) لعل الصحيح: تحزبتم.
(2) لعل الصحيح: يجاس.
(3) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص78 وراجع: صفين للمنقري ص338.

فقالوا: وراءنا والله! إننا قد سمعنا من عمار بن ياسر كلاماً يقطر الدم، ووالله لقد أخرس عمرو بن العاص حتى ما قدر له على الجواب.

فقال معاوية: هلكت العرب بعد هذا، ورب الكعبة.

قال: ورجع عمار في أصحابه إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فأخبره بالذي دار بينه وبين عمرو بن العاص، فأنشأ رجل من أصحاب علي «عليه السلام» يقول:

مـا زلت يا عمرو قبل اليوم مبتدراً تبغـي الخصـومة جهـراً غيـر سـرار

حتى رأيـت أبـا اليقظان منتصباً لله در أبـي اليقظـان عمـار

مـا زال يـقرع منك العظم منتقباً مـخ العظـام بحـق غيـر إنكـار

حـتى رمى بك في بحـر له لجج يـرمي بـك الموج في لـج من النـار

وحسب نص المنقري:

حتى رمى بـك في بحر له حدب تهوي بك الموج ها فاذهب إلى النار

ونسب المنقري هذه الأبيات للجرشي(1).

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص78 وصفين للمنقري ص338 و 344.

العنسي يخرج إلى علي:

فخرج عبد الله بن عمر العنسى، وكان من عباد أهل زمانه، ليلاً فأصبح في عسكر على «عليه السلام»، فحدث الناس بقول عمرو في عمار(1).

لم جمعت بين الرجلين؟!:

قال: ومشى عبد الله بن سويد [الحميرى] سيد جرش إلى ذى الكلاع فقال له: لم جمعت بين الرجلين؟!

قال: لحديث سمعته من عمرو، وذكر أنه سمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يقول لعمار بن ياسر: «يقتلك الفئة الباغية»(2).

لا أقاتل علياً × بعد اليوم:

قال: وقد كان مع معاوية رجل من حمير، يقال له: الحصين بن مالك. وكان يكاتب علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ويدله على عورات معاوية، وكان له صديق من أصحاب معاوية، يقال له: الحارث بن عوف السكسكي. فلما كان ذلك اليوم قال الحصين بن مالك للحارث بن عوف: يا حارث! إنه قد آتاك الله ما أردت، هذا

---

(1) صفين للمنقري ص343.

(2) صفين للمنقري ص343.

عمرو وعمار، وأبو نوح وذو الكلاع قد التقوا، فهل لك أن تسمع من كلامهم؟!

فقال الحارث بن عوف: إنما هو حق وباطل، وفي يدي من الله هدى، فسر بنا يا حصين.

قال: فجاء الحصين والحارث، حتى سمعا كلام عمرو وعمار، فلما سمع الحارث بن عوف كلام عمار، وتظاهر الحجة على عمرو، بقي متحيّراً، فقال له الحصين: ما عندك الآن يا حارث؟!

فقال الحارث: ما عندي!! وقعة والله بين العار والنار، ووالله لا أقاتل مع معاوية بعد هذا اليوم أبداً!

فقال له: ولا أنا أقاتل علياً بعد هذه اليوم أبداً.

قال: ثم هربا من عسكر معاوية جميعاً، فصار أحدهم إلى حمص، وأظهر التوبة، وصار الحارث بن عوف إلى مصر تائباً من قتال علي «عليه السلام»، وأنشأ يقول:

قال الحصين ولم أعلم بنيته يا حار هل لك في عمرو وعمار
يا حار هل لك في أمر له نبأ وفيه شر كان من عوف وإنكار
فاسمع وتسمع ما يأتي العيان به إن العيان شفاء النفس يا حار
لما رأيت لجاج الامر قلت له قولا ضعيفاً نعم والكره إضماري
سرنا إلى ذلك المرعين مع نفر شم كرام وجدنا زندهم واري

لـمـا تشـهد عمرو قال صاحبه[1] اسكت فإنك من ثوب الهدى عاري
فـارتـد عـمرو على عقبيه منكسراً كـالهر يرقـب خـتلا عـازم الفـار
مـا زال يـرمـيـه عمار بحجته حتـى أقـر لـه مـن غيـر إكثـار
قتال الـحصين لما أبصرت حجته غراءمثـل بيـاض الصـبح للسـاري
مـا بـعـد هـذين من عيب لمنتظر فاختر فدى لك بين العار والنـار
قلـت الـحياة فراق القوم معترفا بـالـذنب حقـاً ولـيس العـار كالعار[2]

لعل الصحيح: كالنار.

لقد أفحمك عمار:

قال: وأقبل نفر من أصحاب معاوية إلى عمرو بن العاص، فقال له بعضهم: أبا عبد الله! ألست الذي رويت لنا أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال : «يدور الحق مع عمار حيث ما دار»؟!.

فقال عمرو: بلى، قد رويت ذلك، ولكنه يصير إلينا ويكون معنا.

فقال له ذو الكلاع: هذا والله محال من الكلام! والله لقد أفحمك عمار حيث بقيت وأنت لا تقدر على إجابته!

قال عمرو: صدقت، وربما كان كلام ليس له جواب.

---

(1) يريد عمار بن ياسر.
(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص78 و 79.

قال: فأنشأ رجل من بني قيس، يقول في ذلك[1]:

ونذكر الأبيات حسب رواية المنقري:

قال: قال العنسى:

والـراقصـات بـركب عامدين له إن الذى جاء من عمرو لمأثور
قـد كنـت أسـمع والأنباء شائعة هــذا الحــديث فقلــت الكــذب والــزور
حـتى تـلقيتـه عن أهـل عيبته فاليوم أرجع والمغرور مغرور
واليــوم أبــرأ مـن عمرو وشيعته ومـن معاويـة المحـدو بـه العيـر
لا لا أقـاتـل عـمـاراً على طـمــع بعد الروايـة حتى ينفخ الصور
تــركــت عـمراً وأشياعاً له نكدا إنــى بتــركهم يــا صــاح معــذور
يا ذا الـكلاع فدع لى معشرا كفروا أو لا فـدينك عـين فيــه تعزيـر
مـا في مـقـال رسـول الله في رجـل شــك ولا فــي مقــال الرســل تحبير[2]

[ثم هرب صاحب هذا الشعر، حتى لحق بعلي بن أبي طالب «عليه السلام»، فصار معه] [3].

فلما سمع معاوية بهذا القول بعث إلى عمرو، فقال: أفسدت علي

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص79.

(2) لعل الصحيح: تحبير.

(3) صفين للمنقري ص344 و345 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص80 و81.

أهل الشام، أكل ما سمعت من رسول الله تقوله؟!

[وترويه؟! ما أكثر ما سمعنا منه، فلم نروه].

فقال عمرو: قلتها ولست والله أعلم الغيب، ولا أدري أن صفين تكون. قلتها وعمار يومئذ لك ولى، وقد رويت أنت فيه مثل الذى رويت فيه، فاسأل أهل الشام.

فغضب معاوية وتنمّر لعمرو، ومنعه خيره.

فقال عمرو: لا خير لى في جوار معاوية إن تجلت هذه الحرب عنا.

وكان عمرو حميَّ الأنف، فقال في ذلك:

تعاتبني أن قلت شيئا سمعته وقد قلت لو أنصفتني مثله قبلى
أنعلك فيما قلت نعل ثبيتة وتزلق بى في مثل ما قلته نعلي
وما كان لى علم بصفين أنها تكون وعمار يحث على قتلى
فلو كان لى بالغيب علم كتمتها وكابدت أقواما مراجلهم تغلى
أبى الله إلا أن صدرك واغر علي بلا ذنب جنيت ولا ذحل
سوى أننى، والراقصات عشية بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل
فلا وضعت عندي حصان قناعها ولا حملت وجناء ذعلبة رحلى
ولا زلت أدعى في لؤى بن غالب قليلا غنائي لا أمر ولا أحلى
إن الله أرخى من خناقك مرة ونلت الذى رجيت إن لم أزر أهلى

وأترك لك الشام الذى ضاق رحبها عليك ولم يهنك بها العيش من أجلى

فأجاب معاوية:

أَأَلآن لما ألقت الحرب بركها وقام بنا الأمر الجليل على رجل
غمزت قناتي بعد ستين حجة تباعا كأنى لا أمر ولا أحلي
أتيت بأمر فيه للشام فتنة وفي دون ما أظهرته زلة النعل
فقلت لك القول الذى ليس ضائرا ولو ضر لم يضررك حملك لى ثقلى
فعاتبتني في كل يوم وليلة كأن الذى أبليك ليس كما أبلى
فيا قبح الله العتاب وأهله ألم تر ما أصبحت فيه من الشغل
فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة ترد بها قوماً مراجلهم تغلى
دعاهم على فاستجابوا لدعوة أحب إليهم من ثرى المال والأهل
إذا قلت هابوا حومة الموت أرقلوا إلى الموت إرقال الهلوك إلى الفحل

فلما أتى عمراً شعر معاوية أتاه فأعتبه، وصار أمرهما واحداً(1).

---

(1) صفين للمنقري ص345 و346 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص80 و81.

معاوية يغتال الأحرار:

قال: فدعا معاوية برجل من سادات أهل الشام من بني عبس، يقال له عقيل بن مالك، وكان من نساك أهل الشام، فقال معاوية: خبّرني عنك، ما الذي يمنعك من قتال علي «عليه السلام» وأصحابه، وأنت فارس أهل الشام؟!

فقال: يمنعني والله من ذلك شكّ قد خامر قلبي يوم التقى عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، وذو الكلاع، وأبو نوح، ثم أنشأ يقول:

أهم بطعن القوم ثم يكفني ... عن القوم جزل في الفؤاد دخيل
خاف التي فيها الهلاك وإنني ... عن الترك للحرب العوان ثقيل
أأطعن[1] علياً بالصواب موكلا ... وذاك الذي يقتى إليه يؤول
وليس بأهل للخطاء وإنني ... لتلك التي تسمو بها لبخيل
وقلت لنفسي إذ خلوت ببثها ... لك الخير قولي في البلا وأقول
فجاءت بما لا ينبغي فرددتها ... وردي عليها ما علمت طويل
وقلت لها هاتي من الناس مثله ... فجاشت وقالت إنهم لقليل
فقلت له هذا ومن علمت له ... مطايا لها بالرقمتين ذميل
أأعطى علياً ما يريد نبيّه ... وليس إلى هذا الجواب سبيل
قالوا علي قد تناول حزمه[2] ... لها في صدور السامعين غليل

---

(1) لعل الصحيح: أطعنا علياً «عليه السلام».

(2) لعل الصحيح: حرمة. أي انتهك حرمة عثمان.

فقلت ألا لله در أبيكم — وللناس إلا سائل وسؤول
ألا أخبرونا والحوادث جمة — أما كان للقوم الشهود عقول
أيرضى علياً أهل بدر وأنه — عليهم حراماً إن ذا لجليل
فيا ليت شعري ما الذي أنا صائر — إليه إذا ما قيل مات عقيل

قال: ولم يلبث الرجل إلا قليلاً حتى مات.

فقال أهل الشام: إن معاوية قد قتله(1).

ونقول:

إيضاحات سريعة:

الأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه. تكبراً وتغيظاً. وعند المولدين: البطل في الحرب.

التجليح: التقشير والتصميم، والمكاشفة بالعداوة.

البوادر: جمع بادرة، وهو ما يبدر من غير روية عند الحدة والغضب من قول أو فعل. وشية السيف.

النخل السحوق: الطويلة.

الذميل: نوع من سير الإبل.

الشيح: نبات أنواعه كثيرة.

الوجناء: الناقة الشديدة.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص94 و95.

الذعلبة: الناقة السريعة. والذعلبة: السير في حالة التخفي. والنعامة.

برك الحرب: استقرارها وثباتها ودوامها.

الإرقال: ضرب من مشي الخبب، الذي هو ضرب من العدو. وأرقل الرجل إرقالاً: أسرع.

الجزل: العظيم من الحطب اليابس. وجَزُل: عظم.

العوان: هي أشد الحروب.

جاشت النفس: حميت وارتفعت من حزن، أو فزع. وجاشت القدر: غلت وارتفع ماؤها.

الرقمتين: روضتان بناحية الصمان، كثر لهج الشعراء بهما.

الفصل الثاني:

وقفات مع نصوص الفصل السابق..

بداية:

ذكرنا في الفصل السابق ما كان من أبي نوح مع ذي الكلاع، وعمرو بن العاص، حيث جمعهما بعمار بن ياسر، وانتهى الأمر بفضيحة عمرو، وبوار حجته، وظهور الحق، ورؤية محجته. حتى إن العديد من المعروفين من فريق معاوية قرّروا بسبب ذلك الإلتحاق بأمير المؤمنين «عليه السلام»، أو الفرار إلى بلاد أخرى، ربما لأنهم خافوا من أن يسبب التحاقهم بأمير المؤمنين «عليه السلام» مشكلات لأهلهم، أو قومهم من قبل القاسطين..

وقد حان الوقت لتسجيل بعض ما يفيد في إيضاح ما ورد في نصوص الفصل السابق، فنقول:

شروط وضوابط لمحاورة العدو:

إن أول ما يواجهنا في قضية أبي نوح، هو: استئذانه علياً «عليه السلام» في الإتصال بذي الكلاع، ومحاورته.. وهذا الإستئذان جار

وفق الأصول والضوابط، التي يفترض مراعاتها، فليس لأحد من القادة والأتباع أن يقدم على محاورة العدو بدون علم ورضى القائد والإمام..

غير أن هناك بعض ما ينبغي الوقوف عنده هنا، وهو ما يلي:

1 - إن أبا نوح قد حدّد لأمير المؤمنين «عليه السلام» هدفه من هذا الحوار، وهو: أن يشكّك ذا الكلاع في ما هو فيه.. باعتبار أن الشك هو أول درجات الوصول إلى اليقين.

2 - ذكر له أن هناك ما يبرّر مفاتحة خصوص ذي الكلاع بمثل هذه الأمور، وهو أمران:

أولهما: إنه قريب لأبي نوح، لأنه من قومه، وهذا يجعله متهيئاً لسماع النصيحة منه، والنظر فيها بجدية..

الثاني: إن قبوله للحق، أو حتى تردّده بصحة المسار الذي هو فيه، سوف تكون له آثار إيجابية على أهل الشام بمختلف طبقاتهم، لأنه من سادات تلك البلاد.. بل لقد قال ذلك الرجل:

إن خالف اليوم أهل الشام ذو كلع لا يُمْسِ بالشام قرن غير منطوح

3 - إن جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لأبي نوح يفيد: أنه «عليه السلام» كان عارفاً بطبائع ذي الكلاع، وهذا يشير إلى أن على القائد أن يملك المعرفة بطبائع وحالات قادة الأعداء..

4 - ويفهم من جوابه «عليه السلام» أيضاً: أنه «عليه السلام»

كان عارفاً بالأساليب المناسبة لتلك الطبائع، والتي ينبغي اعتمادها في إقناعه.

5 ـ إنه «عليه السلام»، قد درس موضوع الحوار على أساس أن لا تكون له آثار سلبية على الواقع العام، أو فقل: إنه «عليه السلام» أراد أن لا يؤدي الحوار إلى عكس ما يتوخى منه، فعوضاً من أن يقرب أهل الشام إلى الحق، يصير سبباً في حنق أهل الشام على الحق وأهله.

6 ـ ولأجل ذلك أرشده «عليه السلام» إلى الأسلوب الملائم لطبائع ذي الكلاع، الذي إن لم يؤدّ إلى نتيجة ـ إيجابية ـ فإنه لا يزيد الطين بِلَّة، والخرق اتساعاً، فأَمَرَه بالرفق واللين، واستعمال الكلمة الطيبة، والجدال بالتي هي أحسن، فقال له: «يا أبا نوح! إن ردّ مثل ذي الكلاع شديد عند أهل الشام، فإن أحببت لقاءه فالقه بالجميل، وإياك والكتب».

7 ـ إنه «عليه السلام» حذّر أبا نوح من أن يتعامل مع ذي الكلاع بطريقة الخطاب والجواب بواسطة الكتاب، لأن ذلك يفسح المجال لإخراج ذي الكلاع عن عفويته وصفائه، وإشراك الشياطين الموسوسة والخناسة معه فيما يسطره من إجابات، والسيطرة على المجال الفكري له، والتلاعب به، وضخ الشبهات، والأباطيل، والأضاليل في عقله وفكره، وفيما يقوله أو يكتبه..

8 ـ إنه «عليه السلام» بالرغم من كل النصائح التي أسداها لأبي

نوح لم يبد أنه كان متحمساً لما يجري، ولا مشجعاً عليه، بل غاية ما فعله أنه أفسح المجال لأبي نوح، ليكون هو الذي يتخذ القرار في هذا الأمر..

ولعل السبب في ذلك: أنه «عليه السلام» وإن كان واثقاً من أن النتيجة هي عدم استجابة ذي الكلاع، انطلاقاً من معرفته به وبمحيطه، ولكنه كان لا يمانع من إقامة الحجة مرة أخرى عليه، من رجل من قومه.. لا سيما وأن ذلك يعطي لأبي نوح نفسه سكينة وطمأنينة، حين يختبر أمر ذي الكلاع بنفسه، فلا تذهب به الأوهام إلى أن ذا الكلاع لم يعامل بالرفق الذي يؤدي إلى الكشف عن بصيرته، لنجاته مما هو فيه..

المعيار: شك ويقين معاوية:

وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر، فسنجد: أن الأمور تسير باتجاه آخر.. فإن معاوية قد بادر إلى حسم الأمر بإعطاء نفسه حق التفكير عن الآخرين.. واعتبر يقينه وشكه وما يفكر فيه، هو المعيار الذي يعول عليه في القرار، وتحديد طبيعة العمل والمسار، حيث قال لذي الكلاع: «وما تريد إلى كلامه، فوالله ما نشك في هداك، ولا في ضلالته، ولا في حقك ولا في باطله..».

مع أن المفروض هو: أن يكون ذو الكلاع نفسه على يقين من ذلك، وليس معاوية تماماً كما كان عمار بن ياسر يقول: «والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على حق، وأنهم على

الباطل».

ولكن أمر ذي الكلاع كان على عكس ذلك، فقد اعترض الصباح الحميري على معاوية لإذنه لذي الكلاع، لأنه خاف من أبي نوح من أن يشككه في دينه!!

فأين الثريا وأين الثرى؟! وأين معاوية من علي؟!

رقيّ الحوار:

والتأمل في خطاب أبي نوح لذي الكلاع يعطي: أنه كان يمارس حواراً هادئاً وموضوعياً، وحضارياً راقياً، بل في غاية الرقيّ، لا تجد فيه إلا الكلمة الرضية والصادقة، والنصيحة الحميمة.. فهو:

أولاً: بدأ كلامه بما يشير إلى صلة القربى بينه وبينه، وإلى خلوص نيته تجاهه، فقال: ليس في هذين الجمعين أحد أولى بنصيحتك مني.

ثانياً: ذكر له أخطاء معاوية بنحو تقريري هادئ، ليس فيه أي استفزاز، وهي كما يلي:

ألف: إن معاوية طليق.. والطليق لا تحق له الخلافة، فكيف ادعاها لنفسه؟!

وهذا يدل على أن ادعاء معاوية للخلافة كان في وقت مبكر، ولم يكن حين التحكيم، كما ربما يزعمه البعض!!

ب: إن الناس من أهل الشام، وخصوصاً القادة، قد أخطأوا أيضاً باتباع معاوية فيما ادعاه لنفسه من الخلافة.

ج: أخطأ معاوية في الطلب بدم عثمان، لأن غيره، وهم أبناء عثمان، أولى بطلب دم عثمان منه..

د: وأخطأ أهل الشام، وخصوصاً قادتهم أيضاً بمتابعة معاوية في هذا الأمر، وقبوله منه.

هـ: أخطأ معاوية برميه علياً «عليه السلام» بدم عثمان، والحال أنه لم يحضر قتله. بل كان بعيد عنه مئات الأميال.

و: أخطأ أهل الشام وقادتهم بتصديقهم إياه، ونصرهم له. مع أنهم يعلمون أنه لم يحضر، ولم ير، وحاله لا يختلف عن حالهم في ذلك.

ز: كان على أهل الشام أن يصدّقوا وأن ينصروا الذين حضروا ما جرى لعثمان، وهم علي «عليه السلام»، وأصحابه من الصحابة، والمهاجرين والأنصار، وغيرهم..

فكيف، ولماذا يكذبون ويحاربون من يجب عليهم الرجوع إليهم، وتصديقهم، والأخذ منهم، والكون معهم ونصرهم؟!

ولذلك قال أبو نوح: «وقد شهدنا وغبتم..».

ثالثاً: وبعد هذه الإستدلالات قدّم أبو نوح نصيحته الغالية لذي الكلاع، وبيّن له ما جرى لعثمان. وأن أمر البت في شأن قاتليه ليس لأحد من الناس، لأنه قُتِل على أمر إن كذبوا فيه استحقوا المؤاخذة عليه وعلى كذبهم، وإن صدقوا فيه، فيمكن أن يكونوا معذورين فيه..

فلا بد لمن لا يعرف صدقهم من كذبهم من إرجاع أمرهم إلى الله يوم القيامة.

رابعاً: ثم انتقل أبو نوح لبيان أمر علي «عليه السلام»، فساق الكلام على النحو التالي:

ألف: إنه لا بد للناس من إمام يقوم بأمرهم.

ب: إنه ليس لأهل الشام مع المهاجرين والأنصار أمر، فإذا اختاروا رجلاً للإمامة وجب قبول ذلك منهم.

ج: إن الناس جميعهم بما فيهم المهاجرون والأنصار، قد بايعوا علياً «عليه السلام» برضى منه ومنهم، فما يمكن أن يزعم من أن أحداً قد فرض البيعة على أمير المؤمنين «عليه السلام» فقبلها تحت وطأة التهديد، أو أن يزعم: أن أمير المؤمنين أجبر أحداً على البيعة ما هو إلا ترهات، لا أساس لها.

د: بالنسبة إلى معاوية، فعدا أنه طليق وابن طليق لا تحق له الخلافة، فإنه لا يمكن أن يقاس في المكان والفضائل بعلي «عليه السلام».

هـ: إن هذا ليس ادعاء جزافياً، فباستطاعة ذي الكلاع أن يتأكد من صحته ذلك بسؤال أي رجل من قريش، فإنهم أعرف الناس به، بل فليسأل نفس أعداء علي «عليه السلام» ومحاربيه، ومناوئيه، والساعين في تقويض سلطانه، فإنه لن يجد رجلاً منهم يعدل بينه «عليه السلام» وبين معاوية بشيء من الدين، والشرف، والسابقة في

الإسلام..

ذو الكلاع يلجأ إلى عمّار:

1 ـ والغريب في الأمر هنا: أن نرى ذا الكلاع يصرّح، بأنه: سمع كلام أبي نوح، وبأنه لم يخفَ عليه منه شيء، ثم يبقى مصرّاً على الكون في موقعه، في مناصرة معاوية، ومحاربة أمير المؤمنين «عليه السلام».

بل هو قد بقي مصرّاً على موقفه هذا، حتى بعد أن علم بكون عمار بن ياسر مع علي «عليه السلام»، وسماعه من عدو علي «عليه السلام» وعمار وهو يروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن عماراً يكون مع الحق، وأهل الحق، والإمام الحق، وأن الفريق الآخر ـ وهو فريق معاوية، وفيه ذو الكلاع نفسه ـ هم المبطلون، والمعتدون، والظالمون..

ويزيد الأمر غرابة: أن هذا الرجل قد بقي مصراً على مناصرة الباطل وأهله، حتى حين سمع كلام عمار مع عمرو بن العاص، وقد أخذ عليه عمار ـ بحجته البالغة ـ أطراف الأرض، وآفاق السماء، حتى أسكته، وكأنما ألقمه حجراً..

فهل هناك خذلان أعظم من هذا الخذلان؟! وشقاء فوق هذا الشقاء؟!

2 ـ إن مما يحزّ في النفس ألمه، ويدمي كلْمه، أن يكون سيد

الوصيين وأخو رسول رب العالمين، وقائد الغر المحجلين، محتاجاً إلى شهادة وتعريف غيره به، حتى لو كان عماراً.. ولكن الذي يهوّن الخطب هو: أن الله سبحانه شاء أن يسد جميع الذرائع، التي يتذرع بها أهل الباطل، وأن يفتح للناس جميع أبواب الرحمات، ومنافذ الهدايات إلى الحق، رفقاً منه بالمستضعفين منهم، وإقامة للحجة على المستكبرين وأهل الدنيا.

3 - لأن هذه الرحمة، التي تتجلى بهذا التدبير الإلهي، والنبوي الكريم، إنما أرادها الله عالم الغيب والشهادة، لأنه سبحانه هو يرى الغيب كله يريد أن يبطل مكر الضالين، ويحبط كيد المبطلين، الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الأهداف الإبليسية، ويصون الناس من التأثر بشبهاتهم وأضاليلهم.

فكانت هذه الإخبارات من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودلالته على موقع عمار في حرب القاسطين تهدف إلى تخفيف وطأة ذلك الإعلام الرديء المسموم، وإبطال تأثير الشبهات والأضاليل، التي سوف تغرق الساحة..

ذو الكلاع لم يكن يريد الحق:

ونحن على قناعة تامة: بأن ذا الكلاع لم يكن يريد الوصول إلى الحق، ولا أرب له في نصرته، من خلال حركته هذه بكل تفاصيلها.. بل كان يريد نصرة معاوية تحت قناع الصلح بين الفريقين، وإبعاد شبح الحرب، وإنه يريده صلحاً ظالماً، يأتي على حساب الحق وأهله.

فيبقى ما في يد معاوية لمعاوية، ويرجع أهل العراق إلى عراقهم، وأهل الشام إلى شامهم.. وبذلك يكون قد ربح الدنيا، ومنحها لصديقه معاوية، من دون أن يكلّفه ذلك شيئاً سوى قليل من المكر، وكثير من قلة الدين.

ووسيلته إلى ذلك: التهويل بويلات الحرب، ثم تبويس اللحى، وينتهي الأمر. وتطل الدماء التي سفكت، وتطيح الحرمات التي هتكت، وهذه خدمة جليلة يسديها لمعاوية، لو أمكنه تحقيقها..

ويبدو لنا: أن أبا نوح لم يكن مدركاً لهذه الحقيقة، فكان يظن أن بإمكانه أن يشكّك ذا الكلاع بموقفه، ويدفعه إلى إعادة النظر فيه، وينتهي الأمر، ولو باعتزال ذي الكلاع للفريقين، إن لم يمكن إقناعه بالتزام الحق ونصرة أهله..

أما أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد قلنا: إنه كان عالماً بمقاصد ذي الكلاع، واقفاً على طبائعه، وعلى حقيقة حاله..

وكان ما يريده علي «عليه السلام» هو: تجنب الحرب، وتحقيق الأمن، وإقامة الحق، وتقويته، ونصرة الدين، فيكون هو الحاكم، والمهيمن..

وبعد ذلك يتواصل العمل على تربية ضمير الناس، وتحبيب الخير والهدى إلى عقولهم وقلوبهم، وإبعادهم عن معصية الله قدر المستطاع..

ولكنه «عليه السلام» يريد أيضاً أن لا يمنح الباطل وأهله أي

شرعية أو امتياز، أو مجال للمناورة. ولا أن يعطيه أية فرصة لتشويه الحق، وتضليل الناس وخداعهم، والتسلط عليهم بغير حق..

نقاط اختلفت فيها الروايات:

وإذا رجعنا إلى نصوص الروايات التي سجلت لنا حديث أبى نوح وعمار، وعمرو بن العاص، وذي الكلاع، فسنجد: أنها تختلف فيما بينها في بعض النقاط. ولكن هذا الإختلاف لا يلامس جوهر القصة. بل هو في هوامشها وحواشيها، وما له دور التوطئة والتمهيد، وهي أمور قد يختلف الرواة فيها بسبب اختلاف درجات حفظهم. ولغير ذلك من أسباب.

والإختلاف الذي نتحدث عنه، ونورد الإشارة إليه هو التالي:

جاء في رواية ابن اعثم:

أن أبا نوح، هو الذي بعث إلى ذي الكلاع، أنه يريد أن يكلمه..

بينما نجد رواية المنقري، تقول:

إن ذا الكلاع، هو الذي جاء في طلب أبي نوح ليجتمع به..

ويجاب:

بأن التأمل في النصّين المشار إليهما، لا يأبى عن الجمع بينهما، بأن يكون المنقري قد حذف قسماً من النص، الذي يذكر: أن أبا نوح أرسل إلى ذي الكلاع، أنه يريد اللقاء به. ثم جاء ذو الكلاع، فسأل عن أبي نوح، ولم يكن يعرفه من قبل..

ثم حذف المنقري احتجاج أبي نوح على ذي الكلاع، وغير ذلك، ودخل مباشرة في موضوع رواية عمرو بن العاص لحديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عمار..

وحذف أيضاً: أن أبا نوح قد طلب من عمار أن يتهيأ للقاء عمرو بن العاص، فخرج عمار في ثلاثين رجلاً من المهاجرين والأنصار، كلهم شهد بدراً غير رجلين هما: الأشتر، وعمرو بن الحمق الخ..

طَمِع فيه.. وأخاف أن يُشكّكه:

لقد طلب الصباح الحميري من معاوية: أن لا يأذن لذي الكلاع بلقاء أبي نوح، قائلاً: «فإنه قد طمع فيه، وأخاف أن يشكّكه في دينه».

وقال رجل من أصحاب معاوية:

إني رأيت أبا نوح له طمع في ذي الكلاع، فلا يقرب أبا نوح

ونقول:

1 ـ إن الدين إنما يؤخذ من أهل الدين الحقيقيين الذين ضحوا، وجاهدوا، وبذلوا ـ ولا زالوا ـ في سبيل إقامته وحفظه ونشره، وهم علي «عليه السلام»، وأهل بيته، وأصحابه.

فما معنى خوفهم على دين ذي الكلاع إذا اتصل بأحد أصحاب علي «عليه السلام»، إلا إذا كان المقصود بدين ذي الكلاع هو دينه المبتدع، الذي تلاعب به أهل الأهواء، وعبثت به أيدي الطلقاء، الذين

يقول علي «عليه السلام» عنهم: «والله ما أسلموا، ولكن استسلموا».

2 ـ إننا لم نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا أحداً من أصحابه، قد تخوف من دخول طائفة أهل الحق منهم في حوار مع أهل الباطل، ما دام أن المعتمد هو الدليل والحجة، والهدف هو الوصول للحق. لثقتهم بصحة دينهم، وقوة حجتهم، وسطوع برهانهم.

ولكن كبار القادة عند معاوية، هم الذين كانوا في موضع الخشية من التأثير عليهم وإخراجهم من الضلال إلى الهدى، ومن ظلمات الباطل إلى نور الحق، والصدق..

فإذا كان هذا هو حال دين أمثال ذي الكلاع، الذي هو أكبر زعيم شعبي عند معاوية، فما بالك بسائر الناس في ذلك البلد، وهم الذين جاؤا ليحاربوا إمام زمانهم، ووصي نبيهم «عليه السلام»؟!

3 ـ إذا كان معاوية يعالج ضعف يقين قادته، بعزلهم عن المحيط الفكري، وعن المداولات بالبراهين والحجج العلمية، ويريد لهم أن يبقوا محصورين في أطباق مظلمة من الجهل، والخواء، فإن علياً «عليه السلام» لا يريد لأصحابه إلا الإنكباب على طلب المعرفة، وعلى التفقه في الدين، ويريد للإنسان المسلم أن يطلب العلم ولو في الصين، ومن المهد إلى اللحد..

4 ـ اللافت هنا: أن أبا نوح لم يكن عند علي «عليه السلام» في علمه ومعارفه كابن عباس، وقيس بن سعد، أو عمار، أو الأشتر، أو هاشم المرقال، أو ابن بديل، إلى عشرات آخرين من أمثال هؤلاء،

فكيف لو كان يريد ذو الكلاع أن يواجه واحداً من هؤلاء؟!

اختلاف الرؤية:

وقد تجلت آثار اختلاف الرؤية، وفي الإلتزام بما تقتضيه، في الحوار الذي جرى بين أبي نوح وذي الكلاع، فأبو نوح يودّ لو أن أهل الباطل تجسدوا بشخص واحد، فذبحه، ويبدأ بابن عمه ذي الكلاع.. لأن كل همَّ أبي نوح هو إقامة الحق، ومحو الباطل.. والعلاقة التي تربطه بالآخرين، وتميزه عنهم، هي: الحق والباطل، ورضا الله وسخطه.. أما القرابة النسبية، فلا أثر لها عنده.. فالإسلام هو الرحم، وهو الصلة، وما عداه قطيعة وعقوق.

أما ذو الكلاع، فلا يهتم للحق والباطل، بل يهتم للمنافع الدنيوية، والعصبيات العشائرية، والتكاثر في المال والرجال.. ولذلك لم يستسغ كلام أبي نوح هذا، واستدل على رده له بالعلاقة النسبية، وعدم قطع علاقته به.

عبد الله بن عمرو يحرض على الحرب:

واتهموا عبد الله بن عمرو بن العاص: بأنه لم يكن راغباً بمحاربة علي «عليه السلام»، ولكنه أطاع أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» له بطاعة أبيه، فلما أمره أبوه بحضور اضطر لامتثال أمره..

وهذا النص الوارد هنا يكذب هذه المزعمة، فإنه لو كان عبد الله بن عمرو قد حضر هذه الحرب مكرهاً، فلماذا كان يحرّض الناس

على الحرب في مجلس معاوية؟!

على أننا قد أشرنا أكثر من مرة إلى أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقد قال تعالى: **(وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا)**[(1)].

ومن المعلوم: أن محاربة الإمام من أعظم الموبقات والآثام.

سيما أبي تراب:

وذكر النص المتقدم: أن عمرو بن العاص، قال لأبي نوح: «إني لأرى عليك سيما أبي تراب.

قال أبو نوح: عليَّ سيما محمد «صلى الله عليه وآله»، وأصحابه، وعليك سيما أبي جهل، وسيما فرعون».

فتحمس أبو الأعور السلمي ضد أبي نوح، فتهدده ذو الكلاع، فسكت.

ونقول:

1 - إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي سمى علياً «عليه السلام» بأبي تراب[(2)].

---

(1) الآية 8 من سورة العنكبوت.

(2) راجع: مسند أحمد ج4 ص263 و 264 والمستدرك للحاكم ج3

وكانت هذه الكنية أحب كناه إليه «عليه السلام»(1).

ولكن أعداءه الأمويين، كانوا يسبُّونه بها.

قال الحاكم النيسابوري:

ص140 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص408 و 409 والسيرة النبوية ج2 ص249 والبداية والنهاية ج3 ص247 ومجمع الزوائد ج9 ص136 و 100 و 111 عن أحمد، والطبراني والبزاز ورجال الجميع موثقون، وكنز العمال ج13 ص141 و159 وعمدة القاري ج22 ص263 والطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص10 وعيون الأثر ج1 ص300 والسيرة الحلبية ج2 ص127 وفتح الباري (ط دار احياء التراث) ج7 ص58 والمعجم الكبير ج11 ص62 والمعجم الأوسط ج8 ص435 والمناقب للخوارزمي ص39 والفصول المهمة لابن الصباغ ص37 و 38 وصحيح مسلم ج5 ص27 ومختصر تاريخ دمشق ج17 ص302 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص446 ومحاضرة الأوائل ص123 ودلائل النبوة للبيهقي ج3 ص12 والإمتاع ص55 وتاريخ الخميس ج2 ص364 ومسند أبي يعلى ج1 ص402 وكفاية الطالب ص193 و 194 وصحيح البخاري ج3 ص1358 وج1 ص169 و 170.

(1) مجمع الزوائد ج9 ص100 وكفاية الطالب ص193 و 194 باب 47 وصحيح البخاري ج3 ص1358 وج1 ص169 و 170 وصحيح مسلم ج5 ص27 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص409 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص446.

كان بنو أمية تنتقص علياً بهذا الاسم الذي سماه به رسول الله، ويلعنونه على المنبر بعد الخطبة مدة ولايتهم، وكانوا يستهزؤن به.. وإنما استهزأوا بالذي سماه به. وقد قال الله تعالى: **(قُلْ أَبِاللهِ وَآَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)**(1)»(2).

وقال سبط ابن الجوزي:

«والذي ذكره الحاكم صحيح، فإنهم ما كانوا يتحاشون من ذلك بدليل إلخ..»(3).

وعن سماك بن حرب، قال: قلت لجابر بن عبد الله: إن هؤلاء القوم يدعونني إلى شتم علي بن أبي طالب «عليه السلام».

قال: وما عسيت أن تشتمه به؟!

قال: أكنيه بأبي تراب.

قال: فوالله ما كانت لعلي كنية أحب إليه من أبي تراب..(4).

---

(1) الآيتان 65 و 66 من سورة التوبة.

(2) راجع: المستدرك للحاكم ج3 ص140 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج33 ص226.

(3) تذكرة الخواص ص6 والغدير ج6 ص337 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج33 ص226.

(4) مختصر تاريخ دمشق ج17 ص302 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر الحديث رقم [31] وكفاية الطالب ص193 و 194 باب47 وراجع المصادر المتقدمة.

وقال السكتواري عن لقب أبي تراب: «فكان أحب ألقابه، وكان بعد ذلك له كرامة ببركة النفس المحمدي، كان التراب يحدثه بما يجري عليه إلى يوم القيامة، وبما جرى. فافهم سراً جلياً. دلائل النبوة(1). انتهى».

وقد أبدع الشاعر المفلق عبد الباقي أفندي العمري، في قوله مشيراً إلى هذه الحقيقة:

يـا أبـا الأوصيـاء أنـت لطـه صـهره وابـن عمـه وأخـوه
إن لله في مـعـانيـك سـراً أكثـر العـالمين مـا علمـوه
أنـت ثـاني الآباء في منتهى الد ور وآبـاؤه تعـد بنـوه
خـلـق الله آدماً مـن تـراب فـهـو ابـن لـه وأنت أبوه

إن بني أمية اعتبروا أن التراب وضيع ومهين، يوطأ بالأقدام، فأرادوا الإيحاء للناس بهذه المعاني في أمير المؤمنين «عليه السلام»..

مع أن افتراش التراب عند علي «عليه السلام» تواضع، وزهد، وإيثار، وسجود، وخضوع، وخشية لله تعالى، وعزوف عن الدنيا، وعن زخارفها، وزبارجها، وبهارجها..

وأما بنو أمية، وكذلك فرعون، وأبو جهل، فإنهم يعيشون روح

(1) راجع: محاضرة الأوائل ص123 ودلائل النبوة للبيهقي ج3 ص12 والغدير ج6 ص337 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص56.

التسلّط، والعصبيات، والتكبّر، والتجبّر، والزهو، والعنف، والعجرفة، والجرأة على المحارم، والإندفاع نحو الدنيا وملذاتها.

فلأجل ذلك قال أبو نوح لعمرو بن العاص: عليك سيما أبي جهل، وسيما فرعون..

الإستدراج، لتسجيل الإقرار:

وقد رأينا أبا نوح لا يخبر ذا الكلاع، ولا عمرو بن العاص بوجود عمار فيهم، إلا بعد أن يخبروه بسبب هذا السؤال عن عمار.. الأمر الذي دعاهما للإقرار بما سمعه عمرو بن العاص من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخبرهم به.

وهذا هو المتوقع من أبي نوح في ظروف متشنجة، مشحونة بالريبة، والشكوك في النوايا، ومحاولات استغلال أي سقطة أو خطأ.. فللاستدراج فائدته من حيث تحصيل الطمأنينة بسلامة المسار، والأمن من الإنزلاق أمام مكائد العدو..

كما أنه يريد أن يُسمع الناس من فم ذي الكلاع، وعمرو بن العاص، هذا الإقرار الثمين جداً، لأنه كان على يقين من أنه سيترك آثاراً رائعة في مجال إظهار الحق، وتأييد أهله.. والربط على قلوب بعض الناس، وإزالة الإبهامات والشكوك، التي ربما تراود أذهانهم.

السؤال الأبرز والأهم:

غير أن السؤال الكبير هنا، يتمثل في أنه: هل من المعقول أن

يكون عمرو بن العاص يجهل بوجود عمار في جيش علي «عليه السلام»، وأنه جادّ في قتالهم؟!

وهل يخفى مثل عمار عن عيون معاوية، وعمرو، وسائر بني أمية، الذين هم حول معاوية؟!

أم أن في القضية لغزاً غير ظاهر، ورمزاً يحتاج إلى حل؟!

ونجيب:

بأن من المفترض أن يكون وجود عمار في ذلك الجيش غير خاف على أحد، ولا سيما عمرو بن العاص.. غير أن من الطبيعي أيضاً: أن يتجاهل عمرو وجوده، أو أن يثير الشبهات والشكوك حوله. وأن يحاول كسب الفرصة لتوريط الناس في الحرب، وترسيخ العداوات، ووقوع القتلى بين القبائل، حتى لا يبقى مجال للتراجع. وحينئذ ينسى الناس حديث عمرو وعمار، طوعاً، أو كرهاً، لانشغالهم بالانتقام لقتلاهم، وإدراك ثاراتهم عند بعضهم..

ويبدو لنا: أن عمرواً، كان صادقاً حين اعتذر لمعاوية حين لامه على إفشائه حديث الرسول «صلى الله عليه وآله» في عمار، بأنه لم يكن هو، ولا معاوية، ولا غيرهما، يعلمون بأن صفين ستكون، وأن عماراً سيشارك فيها. فكان يحدث الناس بما سمعه عن النبي «صلى الله عليه وآله» في حق عمار، مما يدخل في دائرة الإخبارات الغيبية، فإن هذه الأخبار تغري سامعها بنقلها لغيره، ليستثير دهشته، وتغري مستمعها بتلقفها لتستقر في قلبه، وتدغدغ مشاعره وربما أحلامه..

وربما يكون الداعي إلى نقل تلك الأخبار الغيبية هو مرض القلب، بهدف التشنيع بها على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإثارة الشبهة لدى السامعين في صدقه، والعياذ بالله.

كما أن هذا النوع من الأخبار يجد لنفسه مكاناً مكيناً في ذاكرة الناس، ويبقى ويستمر، ويترسخ وجوده فيها، وتستحضره الذاكرة عند أدنى مناسبة، وهذا ما حصل لعمرو بن العاص بالفعل، فإنه حدّث ذا الكلاع ـ في عهد عمر ـ بحديث عمار. وقد احتفظت ذاكرة ذي الكلاع بحديث عمرو. واستحضرته في هذا الوقت الحساس جداً. وها هو يرمي به في وجه عمرو بن العاص ومعاوية بطريقة أحرجتهم وأربكتهم..

فلم يجد عمرو سبيلاً للتخلص من هذه الورطة، سوى إنكار وجود عمار مع علي «عليه السلام»، أو التشكيك بوجوده. لأنه لم يكن قادراً على إنكار حديثه، لأن ذلك سيثير حفيظة ذي الكلاع ضده. وسيعتبره مدلّساً وكاذباً، وإنه يريد التغرير به..

فآثر تجاهل الأمر في البداية، فلما تأكد لديه أن لا مناص له من الإعتراف بوجود عمار مع علي «عليه السلام»، حاول أن يسوّف في الوقت، وأن يقترح أمراً قد لا يتيسر لأبي نوح تحقيقه، وهو أن يتم الإجتماع بعمار، فلعل عماراً، أو علياً «عليه السلام» يرفضان هذا الإقتراح خوفاً على عمار، فإن كان ولا بد من الإجتماع، فقد يتمكن عمرو من تعمية الأمر على الناس، وربما تمكن أيضاً من أن يحرجه

بحمله على الإقرار بقتل عثمان، أو بأي شيء آخر..

فإن عجز عن هذا وذاك، فباستطاعته أن يتكهن أن عماراً سوف يصير إليهم، ولا يبقى عند علي «عليه السلام».

ولكن قد جرت الرياح بما لا تشتهي سفن عمرو بن العاص.

فأولاً: كان ذو الكلاع وأبو نوح، قد مهّدا الأمر مع عمار، وأخذ أبو نوح منه وعداً بالإجتماع بعمرو.

ثانياً: إن ما أظهره عمار من صلابة في التصميم على حربهم، ومن قوة في الحجة على عمرو بن العاص، ومن وضوح أمر كفر عمرو بن العاص لديه، ومواجهته بهذا التكفير الصريح، وبشواهده ودلائله، قد أسكت عمرواً، ولم يستطع ردّها.. قد جعلت جميع خطط ومكائد عمرو تذهب يباباً وسراباً..

ثالثاً: إن محاولات عمرو ابتزاز عمار «رحمه الله» بتسجيل اعتراف منه بقتل عثمان، وإن كانت قد نجحت في انتزاع هذا الإعتراف، ولكنه قد جاء مدعماً بحجج لم يجد عمرو بن العاص سبيلاً إلى ردّها. وقد تركت هذه الحجج آثارها على كثير من الناس، كما أظهرته سلسلة لجوء الكثيرين من المعروفين إلى علي «عليه السلام»، أو هروبهم من معاوية واعتزالهم الحرب.

بل تقدم: أن الناس اتهموا معاوية بقتل بعض المشاهير بالسم قبل أن يتمكن من الهرب، لأنه أعلن عن تأثره بهذا الحوار، وأن الحق إلى جانب علي «عليه السلام»..

وسيأتي المزيد من البيان لبعض ما يرتبط بهذا الحدث المهم إن شاء الله..

سعفات هجر إخبار بالغيب:

ذكر أبو نوح ما يلي:

1 - إن عماراً حدّث أبا نوح في حرب الجمل: أن أهل الحق سوف يظهرون على أصحاب الجمل.. وهذا ما حصل فعلاً، وهو يؤكد على أن عماراً كان في حرب الجمل منسجماً في موقفه مع ما سمعه من أو عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن يتصرف عن اجتهاد، أو ترجيحات منه، أو بالاستناد إلى ميله وهواه الشخصي.

2 - ثم حدّث عمار أبا نوح قبل يوم واحد من قصة ذي الكلاع وعمرو: أن لو ضربهم أهل الشام حتى يبلغوا بهم سعفات هجر، لعلموا أنهم على الحق، وأن معاوية وأهل الشام على باطل وأن قتلاهم في الجنة، وقتلى معاوية وأهل الشام في النار.

وهذا يشير إلى أن شوكة معاوية وأهل الشام لا تنكسر شوكتهم بالكلية، بل يبقى لهم نفوذ وقوة. ولو كانت تقع عليهم الهزيمة الشاملة والساحقة لأشار إليها، ولم يكتف بقوله: لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر الخ..

وهذا أيضاً من الإخبارات الغيبية لعمار «رحمه الله تعالى».. التي كان ينبغي أن تقنع الكثيرين بالحق، وتدفعهم لإعادة النظر في

حساباتهم..

3 - إن هذا الذي قاله عمار هنا، يدل دلالة صريحة على عمق يقينه بالهدى الذي هو عليه، وهو يشير إلى الأمور التالية:

الأول: إن الحق قد ينتصر في الحرب، وقد لا يتحقق له ذلك، لأن للنصر في الحرب شروطاً أخرى لا بد من توفرها، كالإعداد للخطط الصحيحة وتوفّر ما يكفي من المقاتلين، وتوفر القيادة الحكيمة والناجحة، ووجود عنصر الإيمان، والإقتناع بالحرب، وغير ذلك..

فظهر بذلك: أنه لا مجال لأن يقال: انتصر هذا لأنه محق، وهزم ذاك لأنه مبطل..

الثاني: إن اتخاذ الموقف الرافض ليس مرهوناً بالقوة وتحصيلها، بل هو مرهون برضا الله، وما يحدّده لعباده من تكليف.

الثالث: إن الدخول في المعركة، ليس مرهوناً باليقين بالحصول على النصر، بل قد تجب الحرب حتى بدون هذا اليقين، فإن الهدف من الدخول في الحرب قد يكون هو: أن يعرف الناس كلهم أن الطرف الآخر على باطل، وأن الله تعالى يريد منهم رفضه، والتصدي له.

وبعد هذا التصدي وإعلان هذا الرفض وتعريف الناس بالموقف الشرعي، فربما تفرض الأمور نوعاً من المتاركة للحرب كما حصل في صفين، حين رفع المصاحف، حيث دبّ الخلاف بين أهل العراق، وكادت الفتنة أن تقع..

وكذلك الحال حين اضطر الإمام الحسن «عليه السلام» تحت

وطأة الخيانات والإختلافات إلى مهادنة معاوية، وفق شروط معينة..

وقد يفرض الواجب الشرعي: الدخول في حرب، ولو كانت خسارتها متيقنة، كما كان الحال بالنسبة للإمام الحسين «عليه السلام» وصحبه في كربلاء.

صدق، وليضرَّنَّه ما سمع:

تقدم: أن أبا نوح أخبر عماراً برواية عمرو بن العاص لحديث: «عمار تقتله الفئة الباغية»، فقال عمار: صدق. «وليضرَّنَّه ما سمع، ولا ينفعه».

وهذا أيضاً من الإخبارات الغيبية لعمار «رضوان الله تعالى عليه». إما لأنه «رحمه الله» سمع نصاً صريحاً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو لأنه استفاده مما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حق عمرو بن العاص، وبيان أن مصيره إلى النار، مثل ما روي، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال عنه وعن الوليد بن عقبة: «اللهم العنهما، واركسهما في الفتنة ركساً، ودُعَّهما إلى النار دعّا»(1).

وقد لعنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما هجاه بكل حرف ألف لعنة(2). فعليه من اللعنات ما لا يحصيه إلا الله تبارك وتعالى.

---

(1) تفسير القمي ج2 ص332.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص285 و291و282 وتطهير الجنان

وجوهنا ووجوهكم وسيمانا وسيماكم:

1 ـ لقد كان عوف بن بشر في غاية الجرأة على أبي الأعور، وكان أبو الأعور في منتهى الضعف أمامه لا يجد ما يدفع به أقواله، لأنه يراها في غاية الدقة والصحة.. فلا يجد أية ذريعة لتكذيبه، أو لإسكاته، غير أنه قد لفت نظرنا قول عوف: «انظروا إلى وجوهنا ووجوهكم، وسيمانا وسيماكم». فإنه يشير إلى أن سيما أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» هي سيماء أهل الصلاح، كما وجوههم مشرقة بنور الإيمان والهدى. وتجد وصف أصحابه «عليه السلام» بأنهم بيض الوجوه في مناسبات عديدة.

مع أنه قد تقدم: أن عمرو بن العاص وأبا الأعور بالذات، قد حاولا ذمَّ أبي نوح بأن عليه سيما أبي تراب.. وهذا عوف يُدِلُّ على أبي الأعور بالذات بهذه السيما المباركة التي يمتازون بها، ويدعو الناس إلى تفحّصها في وجوههم، وفي سمتهم، وهو ينعى على أبي الأعور، وجميع أصحاب معاوية، وأهل الشام بفقدهم لهذا السمت، ولهذه السيما.

وهذا وكثير غيره يدل على أن سيما الصلاح والفلاح والخير، وهذا النور في الوجوه كان محسوساً وظاهراً في أصحابه «عليه السلام» بما لا مزيد عليه..

للهيثمي.

2 - إن عوف بن بشر يرى: أن من تكون فيه هذه السيما يكون هو الأولى بمحمد «صلى الله عليه وآله»، والأقرب إليه قرابة منه..

ويبدو: أن مراده: أن الإسلام هو الرابط للناس برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو ميزان القرب منه، والبعد عنه، فقد يكون أقرب الناس للنبي «صلى الله عليه وآله» كأبي لهب، أبعد الناس عنه، وقد يكون أبعد الناس عنه نسباً، كبلال الحبشي وسلمان الفارسي، أقرب إليه من كثير من أقربائه في النسب.

وقفات مع حوار عمرو وعمار:

وقد تضمن حوار عمرو بن العاص مع عمار بن ياسر «رضوان الله تعالى عليه» أموراً كثيرة، لا مجال للتعرض لها جميعها، لأن ذلك يستغرق وقتاً، ويحتاج إلى جهد، قد لا يكون من الضروري توفيرهما الآن..

غير أننا نختار بضعة نقاط نشير إليها هنا باختصار، فلاحظ ما يلي:

1 - إن عماراً «رحمه الله» يكفّر عمرو بن العاص، لا لأنه خارج على إمام زمانه، محارب له، ويقتل المؤمنين، ويشارك في قتل عشرات الألوف من المسلمين، بل لأنه لم يكن مسلماً منذ عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وبقي خارجاً من هذا الدين منذئذٍ إلى تلك اللحظة..

وقد يقال: إن دليله على ذلك دعاؤه «صلى الله عليه وآله» عليه

بأن يدعّ إلى النار دعّاً، وأن يركس في الفتنة ركساً، ولعنه له بعدد كل قافية، بل بعدد كل حرف هجاه به، ألف لعنة..

وربما كان لديه دلائل وشواهد أخرى تضاف إلى ذلك، ولم تصل إلينا.

غير أن عماراً نفسه قد صرّح ببعضما يستند إليه، وهو:

ألف: إن عمرواً قاتل النبي «صلى الله عليه وآله» في حياته.

ب: إنه قاتله بعد موته.

ج: لقد فتن أمته من بعده.

د: نزل فيه قوله تعالى: **(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)[1]**.

هـ: إنه شانئ أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله».

وكل هذه الأمور من موجبات الكفر.

أما السبب المباشر لهذا التكفير فسيأتي ذكره في رقم [7].

2 - إنه «رحمه الله» لا يرضى من عمرو بأن يستفيد في كلماته من النصوص والتعابير الإسلامية، ويطالبه بعدم التفوّه بالشهادتين، لأنه يراه مخادعاً، ومدلّساً على الناس بها، ويطالبه بأن يخطب بخطبة الجاهلية، وأن يقول قول من كان في الإسلام دنياً ذليلاً، وفي الضلال رأساً محارباً.

(1) الآية 3 من سورة الكوثر.

3 - وحين انبرى عمرو للرد لم يبادر إلى تكذيب عمار «رحمه الله»، أو فقل لم يجد مجالاً للتكذيب، فعدل عن ذلك إلى التصديق الضمني لما قاله عنه عمار، حين ادعى أن في عمار مسبات أيضاً، لو أراد أن يذكرها لذكرها. وكأنه يقول له: إنك قد بحت بأمور تعرفها عني، أردت أن تفضحني بها، وإنا قادر على البوح بأمور أعرفها عنك، توجب فضيحتك أيضاً..

ولكن عماراً ردّ ذلك عليه، فبين له: أن ما سيقوله لا يضرّه، فإن ما سيعيّره به هو أحد هذه الأمور الثلاثة أو كلها. وهي أنه كان ضالاً، أو كان وضيعاً، أو كان ذليلاً..

فهذا صحيح، ولكن الله قد بدّل ذلك بالهدى، والرفعة، والعزة..

وأما إن أراد عمرو أن يتهمه بالخيانة لله، ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، ولو يوماً واحداً، فهو كاذب بلا ريب، لأنها تهمة منزه عنها.

4 - ولعل سبب هذه الصراحة من عمار: أنه أراد أن يعرّف الناس: أن واقع هؤلاء ليس كما يظهرونه لهم، وأنهم يدَّعون أمراً ليس لهم فيه نصيب، لأن كفرهم يمنعهم منه، فضلاً عن فقدانهم لسائر المؤهلات له.

5 - ثم أعاده عمار إلى السياق الصحيح، وهو: البحث في مبرّرات هذه الحرب التي يقودها هو ومعاوية، بحجة الطلب بدم عثمان، فإنه «رحمه الله» انتزع من عمرو بن العاص إقراراً بما فعله

عثمان، وما كان من أمره مع الصحابة.. ومع طلحة والزبير وعائشة، وصدقه فيما قاله.

6 ـ لقد قرّر عمار، وصدّقه عمرو بن العاص صراحة: بأن قيام عائشة على عثمان، وأمرها الناس بقتله، كان لأجل أن عثمان منعها أرزاقها. ثم لما قتل خرجت، فطلبت بدمه بغير حق، ولا حكم من الله تعالى في يدها.. فأقر عمرو بذلك كله، وصدقه فيه.

وقرّره أيضاً بما كان من أمر طلحة والزبير في حق عثمان، وقيامهما ضده، ثم لما قتل خرجا للطلب بدمه.. فقتل بسببهما، وبسبب عائشة عشرات الألوف من أهل القبلة. وفيهم الكثير من الصحابة الأخيار، والأتقياء الأبرار.

وهو إقرار مهم جداً، من حيث هو شهادة على طلحة، والزبير، وعائشة، بالظلم والعدوان، وارتكاب جرائم قتل هائلة في أمة الإسلام. وخروج عن جادّة الصواب..

وقد أقر عمرو بن العاص بذلك، وصدقه، ولكنه ادعى: أنه ليس كطلحة، لأن لمعاوية الحق بالطلب بدم عثمان، لأنه رجل من بني أمية.

وقد بيّنا خطل هذه الدعوى مرات ومرات، فأولياء دم عثمان هم أبناؤه، وكانوا أحياء يرزقون، وليس معاوية من أولياء دمه.. ولا حاجة إلى إعادة سائر الدلائل والشواهد على بطلان هذا الإدعاء.

7 ـ إن عماراً لم يقر لمعاوية وابن العاص ومن معهم لا بإيمان،

ولا بإسلام. بل قال لابن العاص ـ بعد أن انتزع منه إقراراً لعلي وأصحابه بالإيمان والدين، أو الإسلام ـ: «وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك، وتكفّرك قبل القيام من مجلسك، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تكذبني».

ثم قال له بعد ذلك: «وسأخبرك علام قاتلتك عليه أنت وأصحابك».

ثم ذكر له: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره أن يقاتل الناكثين، وقد فعل، وأمره أن يقاتل القاسطين، ومعاوية ومن معه هم القاسطون، أما المارقون، فلا يدري أيدركهم أم لا..

ثم ذكر له حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه.. إلى أن قال: «فأنا مولى لله ورسوله، وعلي مولاي من بعده. وأنت فلا مولى لك». على قاعدة قوله تعالى: **(ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ)**(1).

8 ـ والأهم من ذلك: أن عماراً ذكر لابن العاص: أنه لم يكن لعثمان ناصر، أو مؤيد أبداً، بل كان الناس عليه، بين خاذل له، ومحرّض عليه، وما فيهم من نصره بيده، ولا نهى عنه بلسانه.

وهذا الإجماع إدانة ظاهرة لعثمان، وهو وحده كافٍ في إسقاط دعاوى عمرو بن العاص، ومعاوية، وكل من معهم، فإن من يُجْمِعُ

(1) الآية 11 من سورة محمد.

الناس على مناوأته، وخذلانه، ويتحرّجون من نصرته، ومن النهي عنه باللسان، وهم الصحابة الأخيار والأبرار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وأهل التقى والورع من مختلف الفئات، يكون مظنون الإستحقاق للقتل، ولا تجوز المطالبة بدمه في هذه الحال، فضلاً عن حشد الجيوش وشن الحروب لأجل ذلك.

وأصرح من هذا: قول عمار بعد ذلك: إن عثمان أراد أن يقتل الدين، فقتل، وألا تكفي هذه الظاهرة رادعاً عن الإمعان في هذا المسار؟!

9 ـ والغريب في الأمر هنا: أن نجد عمرو بن العاص بعد كل هذه الضربات التي تلقاها من عمار لا يخجل من الكشف عن حقيقة الدوافع لإثارة هذا الجو المسموم، وحشد الجيوش لحرب أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي أنهم يريدون من علي «عليه السلام» أن يترك لهم ما في أيديهم، وأن يدفع إليهم قتلة عثمان.

فهل هم بترك ما في أيديهم لهم، يدركون ثأر عثمان؟! وما هو الرابط بين عقوبة الجاني وبين التسلط على بلاد المسلمين، وانتزاع السلطة على البلاد والعباد من صاحبها الشرعي؟! ولماذا جمع ابن العاص بين تسلمهم قتلة عثمان، وبين ترك ما في أيديهم لهم؟!

10 ـ لقد قال عمار لابن العاص: «يا ابن النابغة، يا دعي يا ابن الدعي، يا ابن جزّار (حرار) قريش، يا من ضرب على خمسة

بسهامهم، كل يدعيك حتى قاربك شرهم». ولا يقصد بهذا القول مجرد الشتم لشخص عمرو، وإنما يقصد به بيان: أن من كان هذا حاله كيف يترك له شطر من البلاد الإسلامية، ليتسلط عليه ويحكم في دماء الناس وأعراضهم وأموالهم؟!

لم جمعت بين الرجلين؟!:

لقد كان ما جرى بين عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر فضيحة مدوية أصابت الكثيرين بالذهول، وتلاقى كبار أصحاب معاوية بالملامة والأسف لما جرى، حتى إن عبد الله بن سويد الحميرى سيد جرش مشى إلى ذي الكلاع، وقال له: لما جمعت بين الرجلين؟!

وهذا يدل على مدى استيائهم من فشل عمرو بن العاص، وخوفهم من عواقب ما جرى..

وكانوا على يقين من أن خبر هذه المناظرة سوف ينتشر بين الفريقين بسرعة، وهذا ما حصل بدأً من تلك اللحظة بالذات، فقد خرج عبد الله بن عمر العنسي ـ وكان من عباد أهل زمانه ـ خرج ليلاً إلى عسكر على «عليه السلام»، فحدث الناس بقول عمرو في عمار.

في يدي من الله هدى:

وتذكر الروايات: أن الحارث بن عوف ظن أنه يملك الحقيقة كلها، وأنه لا مزيد على ما عنده، ولذلك قال للحصين بن مالك حين عرض عليه أن يحضر الحوار بين عمار، وعمرو من خلال جهد

أبي نوح: «إنما هو حق وباطل، وفي يدي من الله هدى، فسر بنا يا حصين». وكأنه غير مكترث بما سيجري، ولكنه يريد أن يستجيب لفضول يراوده، لا لحاجة يشعر بها، وإذ به يفاجأ بما لم يكن له بالحسبان. وكانت النتيجة هي: فراره إلى مصر تائباً من قتال علي «عليه السلام»، ولعله لم يجرؤ على الإلتحاق بعلي «عليه السلام» خوفاً على أهله، أو من بطش القاسطين بقومه، أو لغير ذلك من أسباب.

وعلى كل حال، فإننا قد أشرنا فيما سبق إلى العديد من النقاط التي تضمنها هذا الحوار القوي، فلم نر حاجة إلى إعادتها، وآثرنا توفير الجهد والوقت لمعالجة نصوص وأحداث أخرى، نسأل الله تعالى التوفيق لذلك.. إنه ولي قدير، وبالإجابة جدير..

يقين عمار شكّكهم:

ويبدو لنا: أن طريقة وحالة عمار بن ياسر في مواجهة عمرو بن العاص وذي الكلاع، قد تركت أثرها في النفوس.

ونستطيع أن نلخص ما نرمي إليه على النحو التالي:

1 - إن ما كان من عمار قد اتسم بالارتجال والعفوية، التي لم يصاحبها تدبير مسبق يحمل معه احتمالات التصنّع والتهيؤ، ورسم الخطط للتأثير على الطرف الآخر..

2 - إنها تتسم بالصدق والصراحة، والوضوح التام..

3 - إن يقين عمار بالحق الذي هو عليه، وبضلال الفريق المخالف له كان غير قابل للإختراق: أو للإقتراب منه.

4 - إن حماس عمار ضد الفريق الذي يراه ضالاً كان فوق التصور والوصف.

5 - إن اندفاع عمار القوي إلى التضحية بنفسه يعطي المزيد من السكينة والطمأنينة لدى الآخرين إلى صحة ما يدعوا إليه، ويستند عليه في موقفه..

6 - إن سلامة الأدلة، التي ساقها عمار، وصحتها وقوتها، وفشل الفريق الآخر في التخلص والتملص منها كان له تأثير كبير في اختراق جدار المكابرة، الذي يحجز الكثيرين عن الإنصياع للحق، أو حتى عن الإقتراب منه..

ولأجل ذلك أنتجت حركة أبي نوح، التي أدت إلى الجمع بين عمار، وذي الكلاع، وعمرو بن العاص رجوع أناس ذوي مكانة إلى الحق.

واعتزال فريق آخر منهم للقاسطين، مع أن من بينهم الزهاد والعباد، ومن بينهم من هو معروف بالفروسية، وشدة البأس، بل هو فارس أهل الشام، كعقيل بن مالك، ولكنهم فشلوا في اتخاذ قرار الإنضمام إلى أهل الحق.. ربما لأسباب تعود إلى عدم رغبتهم بتعريض أنفسهم للأخطار، وربما كان الخوف من تعرّض ذويهم للأذى من قبل القاسطين، هو السبب. وربما.. وربما..

أهل الشام لا يثقون بمعاوية:

وقد لفت نظرنا: أن أهل الشام هم الذين اتهموا معاوية بقتل عقيل بن مالك، حين لاحظوا: أن عقيلاً مات بعد هذا الذي جرى بوقت قصير.. وهو يدل على أن نظرة أهل الشام إلى معاوية لم تكن نظرة احترام وتقديس، بل هي نظرة محكوم إلى حاكم، وفق المفاهيم والطريقة الجاهلية للحكم.. فالمحكوم يطيع حاكمه خوفاً منه، لا حباً به، ويطيعه، لأن حاكمه ممسك بخناقه، في مأكله ومشربه، وحياته وموته، وفي علاقاته، وفي كل شؤونه، فإن رضي عنه الحاكم عاش، وإن سخط عليه حرم من كل شيء حتى من الحياة. فالحاكم يرى الناس خلقوا لأجله ولخدمته. وحفظ موقعه ومقامه..

وأين هذا من علاقة علي «عليه السلام» بالناس؟! فإنه يرى نفسه خادماً للناس، ويضحي بنفسه وبأهل بيته دفاعاً عنهم، وهو يشاركهم حلو الحياة ومرّها.. وصفو العيش وكدره.

وهذا ما لم يذقه أهل الشام مع أي حاكم لهم، وربما لم يكن يخطر لهم على بال.. قبل صفين، لكن الظاهر: أن ما كان يجري في صفين قد فاجأهم، وقلب الموازين لدى الكثيرين منهم..

واللافت هنا: أن أهل الشام لا يكتفون بإبداء احتمال قتل معاوية لعقيل بن مالك، بل هم يبادرون إلى الجزم بأنه قد قتله..

علي × معصوم وقليل النظير:

واللافت هنا: أننا نجد عقيل بن مالك هذا، وهو رجل شامي يصرّح:

أولاً: بعصمة علي «عليه السلام»، بعبارة هي في غاية الدقة في الدلالة على ذلك، حيث يقول عنه «عليه السلام»: «وليس بأهل للخطاء». مما يشير إلى أن طبيعة علي «عليه السلام» تأبى أن تمارس الخطأ، أو أن تقع فيه..

كما أنه قد عبَّر بالخطأ، ليعم كل خطأ ومعصية، أو غيرها.. ولم يقل: وليس بأهل للمعصية، لكي لا يتوهم أن كلامه خاص بها..

الثاني: إنه قد فكر في أمر علي «عليه السلام»، وسأل نفسه عنه، فجاءه الجواب منها: إنه قليل النظير..

فقلت لـهــا: هاتي من الناس مثله فجاشت وقالت: إنـهـم لقـلـيـل

وهذا يعطي: أن ما توصل إليه هذا الرجل لم يكن نتيجة تأثر بإيحاءات معينة، ولا كان انسياقاً مع عصبيات، أو مصالح خاصة، بل كان نتيجة تأمل، وتفكير، وروية..

دفاع طريف عن علي × :

وقد لاحظنا: أن هذا الشامي بالذات ـ أعني عقيل بن مالك ـ قد ردّ شبهات معاوية، ومن هم على شاكلته من الطامحين والطامعين والمناوئين لعلي «عليه السلام»، الذين يتهمونه بقتل عثمان، ردها هذا

الشامي بطريقة عفوية وبوضوح تام، حيث قال:

أما كان للقوم الشهود عقول؟!

فإن الحاضرين لما يجري على عثمان ليسوا أناساً عاديين، بل هم صحابة الرسول «صلى الله عليه وآله». وفيهم المهاجرون والأنصار، والبدريون.. فإن كان علي «عليه السلام» قد شرك في دم عثمان، فكيف رضيه البدريون إماماً وخليفة وحاكماً، وبايعوه على ذلك. فهل عصى البدريون الله فيما أقدموا عليه؟!

ولذلك قال عقيل:

أيرضى علياً أهل بدر وأنه عليهم حراماً إن ذا لجليل

وبعد ما تقدم نقول:

إذا كان الأمر بهذا الوضوح عند عقيل، فمن البعيد أن يتركه معاوية على قيد الحياة.

كما أننا نظن: أن من يقول هذا الشعر الصريح والواضح، لا يأمن على نفسه في بلاد معاوية، فمن المتوقع أن يكون بصدد التدبير للهرب إلى علي «عليه السلام»..

فلعل معاوية أحس بذلك فعاجله بشربة عسل، أو نحوها.. كالشربة الشهيرة التي دسّها للأشتر على بحر القلزم. وقال: إن لله جنوداً من عسل.

مع أن هذه من جنود الشيطان، وأولياء الشيطان، وليست من

جنود الرحمان.

الفصل الثالث:

قتل عبيد الله بن عمر..

ابن عمر يهرب من الأشتر:

1 ـ قال ابن أعثم: ثم دنا الأشتر وليس يعرفه، فقال له (يعني عبيد الله بن عمر): من أنت أيها الفارس؟! فإني لا أبارز إلا كفؤاً.

قال: أنا مالك بن الحارث النخعي.

قال: فصمت عبيد الله بن عمر ساعة، ثم قال: يا مالك! والله لو علمت أنك الداعي إلى البراز لما خرجت إليك، فإن رأيت أن أرجع عنك فعلت منعماً.

فقال الأشتر: ألا تخاف العار أن ترجع عني، وأنا رجل من اليمن، وأنت فتى من قريش؟!

فقال: لا والله ما أخاف العار إذا رجعت عن مثلك.

فقال له الأشتر: فارجع إذاً، ولا تخرج إلا إلى من تعرفه.

قال: فرجع عبيد الله بن عمر إلى معاوية مذعوراً.

فقال له معاوية: ما شأنك يا ابن عمر؟!

فقال: لا تسأل عن شيء، فإني انفلت من مخاليب الأسد الأسود، الأشتر النخعي.

فقال معاوية: وهل هو إلا رجل مثلك!

قال: فاخرج أنت إليه.

فقال: أما إنه لو كان واقفاً في موضعه، لخرجت إليه، ولكنه قد انصرف إلى عسكره، وأنت تعلم أني قد برزت إلى سعيد بن قيس، وهو نظير الأشتر في الشجاعة والشدة.

فقال ابن عمر: صدقت يا معاوية! قد برزت إلى سعيد بن قيس، ولكنك لم تثبت له، ولو ثبت لما نجوت.

فقال معاوية: والله لو برزت إلى صاحبه علي بن أبي طالب «عليه السلام» لما كعت عنه[1].

الطيب ابن الطيب:

2 ـ قال المنقري: عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم قال: نادى منادى أهل الشام: ألا إن معنا الطيب ابن الطيب، عبيد الله بن عمر.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص66 و 67 و (ط دار الأضواء) ج3 ص45 و 46 وراجع: صفين للمنقري ص429.

فقال عمار بن ياسر: بل هو الخبيث [ابن الطيب].

ونادى منادى أهل العراق: ألا إن معنا الطيب ابن الطيب، محمد بن أبى بكر.

فنادى منادى أهل الشام: بل هو الخبيث ابن الطيب(1).

ابن عمر والإمام الحسن ×:

3 ـ وبعث عبيد الله بن عمر إلى الحسن [الحسين] بن علي «عليهم السلام» فقال: إن لي إليك حاجة فالقني.

فلقيه الحسن [الحسين] «عليهما السلام» فقال له عبيد الله: إن أباك قد وتر قريشاً أولاً وآخراً، وقد شنئوه، [وذكروا: أنه هو الذي قتل عثمان]، فهل لك أن تخلفه [تخلعه وتحالف غيره] ونوليك هذا الأمر؟!

قال: كلا والله لا يكون ذلك.

ثم قال له الحسن [الحسين]: لكأنى أنظر إليك مقتولاً في يومك، أو غدك.

أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقاً بالخلوق،

---

(1) صفين للمنقري ص293 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص55 و (ط دار الأضواء) ج3 ص38 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص230 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج38 ص70 و 77 .

ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً.

قال: فو الله ما كان إلا كيومه أو كالغد وكان القتال(1).

وعند ابن أعثم:

أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال لعبيد الله: كلا والله لا أكفر بالله وبرسوله وبوصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أخس ويلك من شيطان مارد! فلقد زين لك الشيطان سوء عملك، فخدعك حتى أخرجك من دينك باتباع القاسطين، ونصرة هذا المارق من الدين، لم يزل هو وأبوه حربيين وعدوين لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فوالله ما أسلما ولكنهما استسلما خوفاً وطمعاً! فأنت اليوم تقاتل عن غير متذمم، ثم تخرج إلى الحرب متخلقا، لترائي بذلك نساء أهل الشام، ارتع قليلاً فإني أرجو أن يقتلك الله عز وجل سريعاً.

قال: فضحك عبيد الله بن عمر، ثم رجع إلى معاوية، فقال: إني أردت خديعة الحسين «عليه السلام» وقلت له: كذا وكذا، فلم أطمع في خديعته.

فقال معاوية: إن الحسين بن علي «عليهما السلام» لا يخدع وهو ابن أبيه(2).

---

(1) صفين للمنقري ص297 وبحار الأنوار ج32 ص480 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص233.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص39 و 40 و (ط دار الأضواء) ج3 ص57.

مقتل ابن عمر:

4 ـ وأقبل معاوية على عبيد الله بن عمر بن الخطاب، فقال له: يا بن أخ! هذا يوم من أيامك، فلا عليك أن يكون منك اليوم بما يسر به أهل الشام.

قال: فخرج عبيد الله بن عمر وعليه درعان سابغان، وعلى رأسه بيض وعمامة حمراء، وهو متقلد ذا الوشاح، سيف أبيه عمر بن الخطاب «عليه السلام»، حتى وقف بين الجمعين، ودعا إلى البراز.

قال: فذهب محمد ابن الحنفية، ليخرج إليه، فصاح به علي «عليه السلام»: مكانك يا بني! لا تخرج إليه.

فقال له: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟! فوالله إن لو دعاني إلى البراز أبوه لخرجت إليه.

فقال علي «عليه السلام»: مه يا بني! لا تقل في أبيه إلا خيراً.

قال: ونظر عبيد الله بن عمر أنه ليس يخرج إليه أحد، فحمل على ميسرة علي «عليه السلام»، وفي الميسرة يومئذ ربيعة بن القيس، وغيرهم من الناس، فجعل يطعن في خيلهم، وهو يقول(1):

وحمل عبيد الله بن عمر وهو يقول:

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص128 والأخبار الطوال ص178 والاستيعاب ج2ص404 وصفين للمنقري ج3 ص128.

أنـــــا عبيد الله ينميني عـــمر خيـر قـريش مـن مضـى ومـن غـــبر

إلا نـــبى الله والشــيخ الأغـر قـد أبطـأت عـن نصـر عثمـان مضـــر

والربعيون فـــلا أسقوا المطـر وســـــارع الحـــي اليمـــانون الغــرر

والخيــر في الناس قديــماً يبتدر

فحمل عليه حريث بن جابر الحنفي وهو يقول:

قـــد ســارعت في نصرها ربيعة في الحـق والحق لهم شــريعة

فــاكـفف فلست تـارك الوقيعة فـــي الـــعصبة الســــامعة المطيعة

حتى تذوق كأســـها الفظيعـــه

فطعنه فصرعه وأخذ لواءه ابن جون السكوني(1).

ولكن ابن أعثم، يقول:

إن الرجز المذكور آنفاً لعبد الله بن سوار العبدي، وأن العبدي

(1) صفين للمنقري ص299 و 300 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص234 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص128 و 129.

طعنه في خاصرته بعد هذا الرجز، فأرداه قتيلاً(1).

العثور على جثة ابن عمر:

5 ـ قال ابن أعثم:

فخرج عبيد الله في كتيبة رقطاء ـ وهى الخضرية ـ كانوا أربعة آلاف، عليهم ثياب خضر، ونظر الحسن «عليه السلام» فإذا هو برجل متوسد رجل قتيل، قد ركز رمحه في عينه، وربط فرسه برجله، فقال الحسن «عليه السلام» لمن معه: انظروا من هذا.

فإذا هو برجل من همدان، فإذا القتيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، قد قتله وبات عليه حتى أصبح، ثم سلبه.

فسأل الرجل: من هو؟!

فقال: رجل من همدان، وإنه قتله.

فحمد الله، وحزنا القوم حتى اضطررناهم إلى معسكرهم.

واختلفوا في قاتل عبيد الله، فقالت همدان: قتله هانئ بن الخطاب.

وقالت حضرموت: قتله مالك [هالك] بن عمرو السبيعى، وقالت بكر بن وائل: قتله رجل منا من أهل البصرة يقال له محرز بن الصحصح من بنى [عائش بن مالك بن] تيم اللات بن ثعلبة، وأخذ

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص129.

سيفه ذا الوشاح، فأخذ به معاوية بالكوفة بكر بن وائل حين بويع.

فقالوا: إنما قتله رجل منا من أهل البصرة يقال له محرز بن الصحصح.

فبعث معاوية إليه بالبصرة فأخذ السيف منه(1).

وقال قوم: قتله حريث بن جابر، وقال قوم: قتله عبد الله بن سوار العبدي، وصار سيفه إلى معاوية(2).

رثاء ابن عمر:

6 - وفي حديث محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني، قال الصلتان العبدى [يذكر مقتل عبيد الله، وأن حريث بن جابر الحنفي قتله]:

ألا يا عبيد الله ما زلت مولعا ببكر لها تهدى اللغا والتهددا

كأن حماة الحى من بكر وائل بذى الرمث أسد قد تبو أن غرقدا

وكنت سفيهاً قد تعودت عادة وكل امرئ جار على ما تعودا

فأصبحت مسلوباً على شر آلة صريع قناوسط العجاجة مفردا

تشق عليك الجيب ابنة هانئ مسلبة تبدى الشجا والتلددا

(1) صفين للمنقري ص297 و 298 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص130.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص130.

وكـانـت تـرى ذا الأمر قبل عيانـه ولكن أمـر الله أهدى لـك الـردى

وقـالـت: عبيد الله لا تأت وائلا فقلـت لـهـا: لا تعجلـى وانظـرى غـــــدا

فـقـد جـاء مـا منيتها فتسلبت عليك وأمسى الجيب منها مقددا

حباك أخو الهيجا حريث بن جابر بجيـاشـة تحكـى الهـدير المنددا(1)

7 ـ قال المنقري عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبى قال: فعند ذلك يقول كعب بن جعيل التغلبي في قتل عبيد الله بن عمر:

ألا إنـمـا تـبـكى الـعيون لفارس بصفين أجلت خيلـه وهو واقف

تـبـدل مـن أسـمـاء أسياف وائل وأي فتـى لـو أخطأتـه المتـالف

تـركـن عبيد الله بالقاع مسلمـا يمـج دمـاه والعـروق نـوازف

ينـوء وتغشـاه شـآبيب من دم كمـا لاح فـي حبيـب القمـيص الكفـــائف

دعـاهن فاستسمعن من أين صوته وأقـبلن شـتى والعيـون ذوارف

وقـد صبرت حول ابن عم محمد لـدى المـوت شـهباء المناكـب شـــارف

فمـا برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتـى أتيحـت بـالأكف المصـــاحف

---

(1) صفين للمنقري ص300 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص129.

بمــرج تـرى الرايات فيه كــأنها إذا اجتنحت للطعن طير عواكف

جـزى الله قـتلانا بصفين خيـر ما جـــــزاه عبـــاداً غــــــادرتـها المواقف(1)

قال ابن أعثم:

«فهذا شاعر معاوية قد قال فيه قصيدة، وأما شاعر علي «عليه السلام» فلم يهجه، ولكن قال فيه هذه الأبيات: ثم ذكر الأبيات التالية»(2):

وقال المنقري:

وفي حديث عمر: قال كعب بن جعيل في قتل عبيد الله بن عمر:

يـقـول عـبـيـد الله لـمـا بـدت لـه سـحابة مـوت تقطـر الحتـف والـــــــــــــــــــــدما

ألا يــالـقومى اصبروا إن صبرنا أعـف وأحجـى، عفـة وتكرمـا

فلـمـا تـلاقى القـوم خر مجدلا صـريعا فلاقـى التـرب كفيـه والفمـــــــــــــــــــــا

وخـلـف أطـفـالا يتامى أذلة وخلف عرسا تسكب الدمع أيما

حـلالا لـهـا الخطاب لا تتقيهم وقــد كـــان يحمـى غيـرة أن

(1) صفين للمنقري ج298 و 299 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص130 والأخبار الطوال ص178 وتاريخ مدينة دمشق ج38 ص74 و 75.

(2) الفتوح لابن أغثم (ط دار الأضواء) ج3 ص130.

تكلما

والبيت الأخير عند ابن أعثم هكذا:

وقد كـان في الحرب المحلة باغياً وقـد كـان يحمـي غيـره إن تكلمـا(1)

إيضاحات:

كاع عنه: هابه، وجبن عنه.

الخلوق: ضرب من الطيب، مائع فيه صفرة. لأن أعظم أجزائه الزعفران.

المتذمم: المستنكف عن فعل شيء مًّا.

متخلقاً: أي متطيباً بالخلوق.

اللَّغا: بفتح اللام: الباطل.

ذو الرمث: وصف للمكان الذي كانوا فيه، بأن فيه شجر الرمث، أو هو مرعى الإبل من الحمض.

تبوَّأ: حلّ في موضع، أو مكان، أو مقام.

الغرقد: شجر عظام، وقيل: هي العوسج إذا عَظُمَ. (وبياض البيض أيضاً).

التلدُّد: التلفُّت يميناً وشمالاً في حيرة وتبلُّد.

---

(1) صفين للمنقري ج299.

الجياشة: الطعنة التي يفور منها الدم.

المندِّد: من التنديد، وهو رفع الصوت.

يمجّ دماء: أي يلقي دماءً من فيه..

شآبيب المطر: دفعاته.

الكفائف: ما يجعل على الأكمام، وأطراف الثياب من الديباج وغيره.

شهباء المناكب: المراد أن الكتيبة صارت مناكبها شهباء اللون، أي بلون البياض الذي يخالطه سواد، لما يعلوها من بياض الحديد.

الشارف من الإبل: المسنة الهرمة.

مُسْلَماً: متروكاً.

اجتنحت: بمعنى جنحت، أي مالت.

على شر آلة: أي على شر حالة.

المسلَّبة: التي تلبس الثياب السود للحداد.

يشنؤه: يعيبه.

أنا الطيب ابن الطيب:

وتقدم في الرواية رقم [2]: أن منادي أهل الشام نادى: ألا أن معنا الطيب ابن الطيب، عبيد الله بن عمر.

فقال عمار: بل هو الخبيث ابن الطيب.

وتقدم في فصل أحداث في معركة صفين الرواية رقم [4]: أن عبيد الله بن عمر، حمل بمن معه على ربيعة، فقال: أنا الطيب ابن الطيب.

فقالوا له: أنت الخبيث ابن الطيب.

ونقول:

إن أهل الشام، وكذلك عبيد الله بن عمر، كانوا يعرفون مكانة عمر في العرب. ويعرفون أيضاً: أن بني هاشم ولا سيما أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا يأخذون على عمر ما فعله بسيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء «عليها السلام». وما صدر منه تجاه الرسول «صلى الله عليه وآله» وهو في مرض الموت، حين قال: إن الرجل ليهجر.. أو نحو ذلك. ويعرفون سعيه لاستلاب الخلافة منه «عليه السلام» لصالح أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان. وغير ذلك من أمور.

وكان عبيد الله، وغيره، يعرفون أيضاً: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» يلاحق عبيد الله ليقتله بالهرمزان، حسبما قرره عمر نفسه قبل موته أيضاً.

فلعل أهل الشام أرادوا، وأراد عبيد الله بن عمر أيضاً، أن يحرج علياً «عليه السلام»، والخلّص من أصحابه بهذا الكلام، الذي يتضمن تقريض ابن عمر لنفسه، ولأبيه أيضاً، ويريدون بهذا النداء إرباك علي «عليه السلام» وأصحابه، وتثبيطهم عن الإمعان في القتال، كما

أن ابن عمر كان يريد أن يمنعهم من أن يقصدوه بسوء.

أو لعله، ولعلهم، أرادوا أن يستدرجوا علياً «عليه السلام» أو بعض الخلص من أصحابه، من أمثال عمار رضوان الله تعالى عليه، ليسيئوا القول في عبيد الله، وفي أبيه عمر بن الخطاب، لعلمهم بأن ذلك سيحدث زلزالاً كبيراً، ونقمة، وبلبلة، واختلافاً لدى العراقيين. وربما ينتهي الأمر بانفراط عقدهم، وتشتت شملهم، وحدوث الفتن فيما بينهم.. وسوف يسهِّل ذلك على معاوية اكتساب ولاء الكثيرين منهم. فقد كان لعمر مقام عظيم بين العرب بما فيهم أهل العراق..

وأما أهل الشام، فإذا سمعوا أصحاب علي «عليه السلام» ينالون من عمر، فسوف تنفذ بصيرتهم في حرب علي «عليه السلام»، ويزيد حنقهم عليه، وهذا ما كان يسعى إليه معاوية..

ولكن الوعي لدى أهل العراق، ولا سيما الكبار والخيار من أصحابه «عليه السلام» وعلى رأسهم عمار بن ياسر، قد فوّت الفرصة على ابن عمر، وعلى معاوية ما أرادوه حين أجابوه بقولهم: أنت الخبيث بن الطيب..

الفرار الذليل لابن عمر:

وفي الرواية المتقدمة برقم [1]: إن عبيد الله بن عمر حين عرف أن الفارس الذي كان في الميدان هو الأشتر بدا ابن عمر واجماً ذليلاً، يضرب أخماساً بأسداس، يبحث عن مهرب له، ولو بقيمة

الفضيحة على رؤوس الأشهاد، بعد أن كان يشمخ بأنفه، وينظر في عطفه، ويقول: لا أبارز إلا كفؤاً.. فلما علم أنه الأشتر، وصمت طويلاً وذليلاً، ثم أعلن ندمه على خروجه إليه، وراح يلتمس من الأشتر أن يسمح له بالعودة من حيث أتى..

وإذ بالأشتر يخوّفه من العار، ويحرّضه على الصمود والمنازلة، ويأبى ابن عمر إلا الرجوع، فلما سمح له الأشتر بذلك، طار فرحاً، وعاد وهو لا يصدق النجاة، ليخبر معاوية بما كان.

بأنه أفلت من مخاليب الأسد الأسود الأشتر النخعي.

ولكننا حين نرجع إلى أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإننا نجدهم على عكس عبيد الله بن عمر والأكثرين من أصحاب معاوية، حيث نرى أنهم يتسابقون إلى ملاقاة الأبطال المعروفين، الذين ذاع صيتهم بالشجاعة والفروسية، ولا يجرؤ أحد على أن يحدِّث نفسه بمبارزتهم. وكثير من أصحاب علي «عليه السلام» كان طاعناً في السن إلى درجة لا يُحتمل معها أن تكون لديه قدرة، حتى على المشي.. فكيف بأن يتسربل بالحديد، ويمارس الكرّ والفرّ، والمصاولة والمجاولة، والكفاح المرير، كما كان الحال بالنسبة لعمار بن ياسر، والمقطّع العامري، وحتى الأشتر، فإنه كان في صفين طاعناً في السن أيضاً.. وما أكثر أمثال هؤلاء

بل كان أمير المؤمنين «عليه السلام» بصدد عرض المصحف على الأعداء في الجمل وصفين، فإذا تبرّع بذلك أحد من أصحابه ـ

كان ـ يخبره، بأنه سيقتل، فيصرّ على ملاقاة الحتوف، وأن تنهشه الرماح، وتقطّعه السيوف..

فما بال عبيد الله بن عمر، وهو يدّعي لنفسه الفروسية، والشجاعة، والبطولة، ينكل عن ملاقات هذا الشيخ، الذي بلغ من الكبر عتياً، فلما وقع في فخّ التسرُّع، ووجد أن هذا الشيخ بالذات، هو الذي ينتظره في الميدان.. خنس وخنع، وصار يتلمّس منه، ويتخضّع له، ويرجوه أن يعفيه من مبارزته.

فلو كان عبيد الله يحارب في سبيل الله، فلماذا لا يستعين بالله ويتوكل عليه، ويثق بأنه سبحانه سينصره على قرنه، أو يختار له منازل قربه، وكلاهما فوز عظيم، وعطاء رب رحيم وكريم؟!

ولكن الحقيقة هي: أن عبيد الله بن عمر إنما كان يقاتل علياً «عليه السلام» لما يلي:

أولاً: تقرباً إلى معاوية، وكرهاً منه لعلي «عليه السلام»، وحقداً عليه، لأنه كان قد توعده بالإقتصاص منه لمسلمين قتلهم ظلماً، وبغياً، وعدواناً.. ومنهم الهرمزان.

ثانياً: كان ابن عمر يقاتل، لأنه يريد أن يجلب أنظار نساء أهل الشام إليه، فهو يختال بين الصفّين التماساً لإعجابهن. كما ذكره الإمام الحسن (الحسين) له. وكما ذكره الصلتان العبدي في شعره الآتي..

وهذا إن دلّ على شيء، فهو يدل على سقوط أخلاقي ذريع

ومريع لدى ابن عمر.. كما أنه يجعل ابن عمر قتيل شهواته وأهوائه.. فضلاً عن كونه قتيل ظلمه، وبغيه، وعدوانه على إمامه..

نعم.. هذا هو حال أهل الدنيا.. وتلك هي أحوال أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام». وشتان ما بينهما.

استماتة أصحاب معاوية كيف نفسرها؟!:

ولعلك تقول: لقد رأينا بعض أصحاب معاوية يبايعونه، أو يبايع بعضهم بعضاً على الموت، وكثير منهم يستميتون في قتال أهل العراق.. وهذا لا يتلاءم مع ما تقرر آنفاً، من حبهم للدنيا، والسعي لتجنب مواقع الخطر..

ونجيب:

أولاً: إنه لا ريب في أن سياسات التضليل والتجهيل، وخداع السذّج والبسطاء بشعارات طنانة ورنانة، وتشويه صورة علي «عليه السلام» كان له الأثر الكبير في إقدام الكثيرين على الأخطار، والقتال حتى الموت..

ثانياً: إن ركوب الأخطار من قبل أهل الدنيا، يكون لأسباب أخرى غير دينية نذكر منها ما يلي:

1 ـ هناك من كان يستفزه النزق، والغضب، والإنفعال، ولو لأسباب عادية، وربما تافهة، فينساق وراء نزقه وغضبه هذا من دون تدبر، ولا روية، فيلاقي الحتوف، ويكون طعمة للسيوف.

وهذا ما قرّره أمير المؤمنين «عليه السلام» بالنسبة إلى الخوارج، فقد وصفهم بأنهم عصابة: «طمح بها النزق»(1).

2 ـ يضاف إلى ما تقدم أن هناك من كان ينساق وراء حقد كان يعتلج في صدره، وتشب ناره في فؤاده. وقد ألمح الإمام الصادق «عليه السلام» إلى هذا حين ذكروا له: أن ما يقال من أنهم كانوا شكاكاً ـ وهذا كان حال كثيرين من أصحاب معاوية ـ لا يتلاءم مع دعوتهم خصومهم إلى المبارزة، فأجاب «عليه السلام» بقوله: «ذلك مما يجدون في أنفسهم»(2).

والحقد لا ينحصر بمن لهم ثأر يطلبونه، إذ هناك حقد الفاجر على التقي، وحقد الجاهل اللئيم على العالم الحليم والكريم، وحقد الخبيث على الطيب، والمجرم على البريء، والناقص على الكامل.

3 ـ قد يجد الإنسان نفسه ـ ولا سيما عند اشتداد القتال ـ في مأزق لا مهرب له منه، فيقدم على الموت الذي لا يجد عنه مناصاً بحدّة وشدّة ظاهرة.. وهذا ما برّر به أمير المؤمنين «عليه السلام» طلب ابن وهب الراسبي منه أن يبارزه. كما سنرى..

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج4 ص62 والكامل في التاريخ ج3 ص343.

(2) تهذيب الأحكام للطوسي ج6 ص145 ووسائل الشيعة ج11 ص60 وراجع: بهج الصباغة ج7 ص178.

4 - ربما يكون للطمع الكاذب تأثيراً في الإقدام على الأخطار أيضاً، حيث يتوهم أن من الجائز أن يحالفه النصر في حركته تلك..

وقد أشار أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى هذين العاملين، حين طلب عبد الله بن وهب الراسبي الخارجي مبارزته، فقد قال «عليه السلام»: «أما إنه ليعلم: أني حليف السيف، وحديل[1] الرمح، ولكنه أيس من الحياة، أو لعله يطمع طمعاً كاذباً»[2].

وفي إشارة أخرى له «عليه السلام» إلى هذا الطمع الكاذب، قال عن الخوارج: «غرّهم الشيطان، وأنفس بالسوء أمارة غرتهم بالأماني، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم بأنهم ظاهرون»[3].

ولكن عبيد الله بن عمر كان أكثر تعلقاً بالدنيا. وحرصاً على البقاء، وأبعد من أن تدفعه هذه العوامل كلها إلى المخاطرة بنفسه، كما دلّ عليه موقفه من مبارزة الأشتر، ورجوعه الذليل عنه..

---

(1) لعل الأصح: (خدين الرمح) كما في رواية البحار، وشجرة طوبى، ومطالب السؤول، وكشف الغمة، وهو الصديق الذي يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص132 وكشف الغمة ج1 ص267 وبحار الأنوار ج33 ص398 وشجرة طوبى ج2 ص352.

(3) البداية والنهاية ج7 ص289 وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج4 ص66 والكامل في التاريخ ج3 ص348 وبحار الأنوار (ط حجرية) ج8 ص556 ونهج البلاغة الحكمة رقم 339 حسب ترقيم المعتزلي.

ويشهد لذلك أيضاً: نفس فراره من علي «عليه السلام» ولجوئه إلى معاوية، لكي لا يُجري عليه علي «عليه السلام» حكم الله في من يقتل رجلاً مسلماً.

ومن كل ما تقدم يظهر لنا: أن عبيد الله بن عمر، لم يعرّض نفسه للقتل، بل هو قد زين له الشيطان حصوله على السلامة، وأن تنتهي الحرب بنصر لمعاوية على علي «عليه السلام».

وكان يريد أيضاً القيام بحركات استعراضية أمام نساء أهل الشام.. ولم يكن بصدد المخاطرة بنفسه.. فقتله لم يكن نتيجة بذل وتضحية، وإقدام باسل، وشجاعة أظهرها، بل هو أمر قد عرض له بنحو لم يكن يتوقعه، وفاته أن يحتاط له، ويبتعد عنه.

فهو الذي ينطبق عليه قوله تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ..)**[1].

كل من يدعي بما ليس فيه:

1 - قال الشاعر:

كل من يدعي بما ليس فيه كذّبته شواهد الإمتحان

(1) الآيتان 47 و 48 من سورة الأنفال.

وهذا بالذات هو ما جرى لمعاوية بن أبي سفيان، فإنه كما تقدم في الرواية رقم [1]، قد عنّف عبيد الله بن عمر على عدم مبارزته للأشتر، والتماسه منه أن يفسح له المجال للرجوع سالماً.. فلما قال له عبيد الله: فاخرج أنت إليه.. تعلل بأن الأشتر قد زال عن موضعه..

وهذا كلام مضحك مبكٍ في آن, وهو من الضحك على اللّحى، الذي كان معاوية يمارسه باستمرار، ولكنه يتميز بوقاحة بالغة، واستهتار بالعقول، واستخفاف ممجوج؛ لأن مجرد زوال الأشتر عن موضعه لا يؤثر في موضوع المبارزة، لأن بإمكان معاوية أن يخرج إلى الميدان، ويقول: أريد مبارزة الأشتر، وسيجد الأشتر حاضراً أمامه بلحظات..

2 ـ والأدهى، والأمر أنه تبجّح لابن عمر بمبارزته لسعيد بن قيس، الذي هو نظير الأشتر في الشجاعة والشدّة. مع أنه قد هرب من سعيد، ولم يثبت له، فما معنى أن يجعل هذه المبارزة، التي انتهت بهزيمته دليلاً على شجاعته؟!

والحال أنه لولا فراره لما نجا من سيف سعيد!!

3 ـ فلما فشل معاوية في هذه أيضاً، بادر إلى ما هو أشد وأعظم في الإدعاء الباطل، الذي يصل إلى حد الفجور الظاهر، والكذب السافر. حيث ادعى أنه لو برز إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام» لما كاع عنه!!

وليت شعري:

أولاً: هل كان علي «عليه السلام» بعيداً عنه؟! فليبرز إليه، وليرنا طرفاً من شجاعته وشدته!!

ثانياً: لقد طلب علي «عليه السلام» منه أكثر من مرة أن يخرج إليه ليحسم الأمر بينه وبينه، فأيهما قتل صاحبه كان الأمر له، وبذلك يوفر على الأمة كل هذه المصائب والبلايا، وهذه الخسائر في الأرواح، التي تعدّ بعشرات الألوف..

ولكن معاوية رفض ذلك، وكاع عن علي «عليه السلام»، وعاد يجر الذلّ، والجبن، والخيبة والعار.. فما معنى أن يدّعي لعبيد الله بن عمر، أنه لو برز لعلي «عليه السلام» لما كاع عنه؟!..

وسيأتي وصف عمرو بن العاص لحال معاوية حين طلب منه علي «عليه السلام» أن يبرز إليه.. فإنه وصف ممتع وبديع يُظهِر حقيقة هذه الشجاعة، التي يدعيها معاوية لنفسه!!

ومهما يكن من أمر، فإننا نعود، فنقول:

لقد صدق الشاعر فيما قال:

كل من يدعي بما ليس فيه　　　كذبته شواهد الإمتحان

من هو ابن عمر؟!:

وعن الحديث المتقدم برقم [3] الذي يعرض فيه ابن عمر على الحسن أو الحسين أن يترك أباه لكي يجعل الأمر له نستطيع أن نقول بكل سكينة وطمأنينة أن عبيد الله بن عمر، لا يخلوا من أن يكون:

إما رجلاً ساذجاً وبليداً، لا يعرف الناس، ولم يطلع على مذاهبهم ومشاربهم ولا يحسن فهم ولا تقدير الأمور..

وإما أنه جاهل بكل ما ورد في القرآن، وعلى لسان الرسول «صلى الله عليه وآله» عن أهل البيت «عليهم السلام» ومقامهم، ونهجهم، وموقعهم، وميزاتهم، ولم ير الحسن والحسين «عليه السلام»، ولم يعرف شيئاً عنهما، ولا عن أحوالهما، ونهجهما وسلوكهما..

وإما أنه يعرف كل شيء ورد في حقهما، ولكنه لا يؤمن به، ولا يصدقه، ولا يقيم له وزناً.

وقد يدل على هذا: جرأته على قتل النفس المحترمة والمسلمة، من دون ذنب أو مبرّر..

فإن هذا الذي صنعه الإمام الحسن (الحسين) «عليه السلام» يجعل ابن عمر في دائرة هذه الإحتمالات الأقرب والأصوب.

ولا نظن أن ابن عمر يرضى بأن تنسب إليه واحدة من هذه.

وإذا أراد المراقب للأمور تحديد الإحتمال الأقرب والأصوب، فإنه لا يرى في ابن عمر أية سذاجة، أو بلادة في الفهم تبرر القول بأنه لا يحسن معها تقدير الأمور، أو لا يعرف أحوال الناس ومذاهبهم ومشاربهم، ولا سيما أمثال الحسنين «عليهما السلام».

كما أن أحداً لا يستطيع أن يدعي أنه لم يكن يعرف شيئاً مما قاله الله ورسوله في حق الحسنين وأهل البيت «عليهم السلام»، أو أنه لم

يكن يعرف الحسنين، ونهجهما، وأحوالهما.. وعلاقتهما بأبيهما..

فيبقى الخيار الثالث، الذي ـ إن صح ـ فسيكون بمثابة الكارثة الكبرى على ابن عمر.

علي × وتر قريشاً أولاً وآخراً:

وقد ذكر في الرواية رقم [3]: أن ابن عمر قال للإمام الحسن (أو الحسين) «عليهما السلام»، أن قريشاً لا تحب علياً «عليه السلام»، لأنه قد وترها أولاً وآخراً..

ونقول:

صحيح أن علياً «عليه السلام» قد وتر قريشاً أولاً، في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين كانت قريش على شركها، ولم تزل تصرّ على حربه «صلى الله عليه وآله»، وتأتيه من مسافة أربع مئة كيلومتر لتحاربه، وتعمل على قتله، والقضاء على دعوته، واستئصال أهل بيته، وأنصاره..

ولكنه وترها في طاعة الله، وبأمر من الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»..

غير أننا لم نستطع أن نعرف المراد من قوله: أنه «عليه السلام» قد وتر قريشاً آخراً؟! فإن كان المقصود بالآخر، هو ما بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإننا نقول:

إن قريشاً هي التي وترته، بقتلهم ولده محسناً، وهو جنين،

وعدوانهم على زوجته فاطمة بنت النبي «صلى الله عليه وآله» حتى قضت صديقة شهيدة، ثم باغتصابهم حقه «عليه السلام»، وسياساتهم ضده طيلة أكثر من ربع قرن.. ثم توّجوا ذلك كله بحروبهم المتعاقبة التي شنوها عليه في الجمل، وفي صفين.. حيث قتل في هذه الحروب عشرات الألوف..

وقد ذكرنا في الجزء الأول من كتابنا (علي «عليه السلام» والخوارج) شطراً من شكاواه «عليه السلام» من قريش، وأنها قطعت رحمه، وأكفأت إناءه، وصغرت عظيم منزلته.. إلخ، فراجع.

وإن كان المقصود بالآخر هو قتل عثمان، فقد ذكرنا كرات ومرات أنها مجرد أكذوبة ظاهرة، وأن الذين قتلوه هم: عائشة، وطلحة، والزبير، ومعاوية وغيرهم من أعيان وزعماء قريش.

أما علي «عليه السلام» فقد سعى بكل ما في وسعه لدفع القتل، وكان الذي يفشل مسعاه هو عثمان نفسه، تحت وطأة وسوسات مروان وغيره.

لا أكفر بالله ورسوله:

وفي الرواية رقم [3] قال : إن عبيد الله بن عمر عرض على الإمام الحسن (أو الحسين) «عليهما السلام» أن يخالف أباه، ويخلعه، ويولُّونه هو الأمر مكانه..

وهذه مفارقة عجيبة، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد

نصب الحسن والحسين «عليهما السلام» إمامين للأمة من قبل الله تعالى بقوله «صلى الله عليه وآله»: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»(1).

(1) راجع: الكافي ج1 ص288 ومكاتيب الرسول ج1 ص561 وفي الهامش عن: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص47 وغنية النزوع ص323 وجامع الخلاف والوفاق ص368 و 404 وتذكرة الفقهاء ج5 ص435 و (ط قديمة) ج1 ص254 وج2 ص437 ومختلف الشيعة ج3 ص333 وج6 ص308 و 330 ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج2 ص311 وج8 ص165 وتفسير جوامع الجامع ج3 ص70 و 857 وتلخيص الشافي ج4 ص170 ونور الثقلين ج3 ص290 وج4 ص284 والميزان ج4 ص312 والإرشاد للمفيد ج2 ص30 والمسائل الجارودية للمفيد ص35 والمستجاد من الإرشاد للعلامة (المجموعة) ص157 والصراط المستقيم ج2 ص118 وج3 ص130 والمحتضر لابن سليمان الحلي ص179 والتعجب للكراجكي ص129 والفصول المختارة للمرتضى ص303 وروضة الواعظين ص156 وكفاية الأثر ص38 و 117 والفرق بين الفرق ص25 ودعائم الإسلام ج1 ص37 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص143 و 163 والفضائل لابن شاذان ص118 والطرائف لابن طاووس 196 وعوالي اللآلي ج3 ص130 وج4 ص93 ومدينة المعاجز ج2 ص391 وج3 ص290 وبحار الأنوار ج16 ص307 وج21 ص279 وج35 ص266 وج36 ص289 و 325 وج73 ص7 وج37 ص298 و 291 وج44 ص2 و 16 وإعلام الورى ج1

ومن المعلوم: أن الحسنين «عليهما السلام» يعلمان أن أباهما هو الوصي المنصوب من قبل الله تعالى ورسوله.

فإذا كانا من المطهرين المعصومين بنص القرآن، فلن يخلعا (ولن يخالفا) من نصَّبه الله وعينه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولن يعملا بخلاف ما أمر الله تعالى به من البر بالوالدين، والوفاء لهما، وعدم خيانتهما..

ولنفترض جدلاً: أن الحسنين «عليهما السلام» يريدان أن يفكرا كما يفكر أهل الدنيا ـ وحاشاهما ذلك ـ فليس من العقل، ولا من الحكمة، ولا من التدبير الصحيح أن يضعا إمامتهما جانباً، ويتخليا عنها، مع أنها أمر مجعول من قبل الله لهما، وهي وديعة الله ورسوله في يد أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي يعرفون وفاءه ودينه،

ص407 و 421 وكشف الغمة ج2 ص156 وج2 ص225 و 245 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص717 و 732 وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص168 ونزهة المجالس ج2 ص184 وفي السراج الوهاج للشبراوي الشافعي أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهما: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة، وغاية المرام ج2 ص243 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص482 وج19 ص216 و 217 عن أهل البيت لتوفيق علم (ط مطبعة السعادة القاهرة) ص195 وعن الرسالة في نصيحة العامة لابن كرامة البيهقي (النسخة المصورة في مكتبة أمبروزيانا في إيطاليا) ص18 و 67 وينابيع المودة ص445.

ومحبته لهما. ويتعلقا بأمر يعدهما به قاتل النفس المحترمة، الخارج على إمامه، والظالم لنفسه وللأمة، وهو عدوهما، وعدو أبيهما، وجدهما، وعدو النهج الذي هم عليه كله.

فإن من يفعل ذلك يكون ناقص العقل، وعديم التدبير، وشديد الجهل بالأمور، بعيد عن الله، وعن الثقة به، بعيد عن الرسول «صلى الله عليه وآله»، وعن نهجه وقيمه.. وليس الحسن والحسين «عليهما السلام»، كذلك بلا ريب، فإنه لو مُثِّل العقل رجلاً، لكان الحسن(1). وكذلك الإمام الحسين «عليهما السلام».

وأخيراً.. فإن من غير المعقول: أن يُقدم الحسنان «عليهما السلام» على التلاعب بأمر ديني ثابت، ويبدّلانه وفق اهوائهما، ومصالحهما ـ لو كان لهما مصلحة شخصية في ذلك..

فإن الخلافة ليست بيد ابن عمر، ولا بيد معاوية، أو غيرهما من قريش ليجعلها للإمام الحسن أو الحسين.. بل هي ليست بيد البشر كلهم، إنما هي بيد الله سبحانه، ورسوله «صلى الله عليه وآله».

وقد صدر حكم الله ورسوله في هذا الأمر.. فما معنى أن يعترف الحسن، أو الحسين «عليهما السلام» لابن عمر، بإن الأمر بيد

---

(1) الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص717 وغاية المرام للبحراني ج5 ص34 و 203 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج15 ص133 عن مودة القربى (ط لاهور) ص118.

معاوية، وبني أمية، وابن عمر، وأمثالهم..؟!

وهذا يفسر لنا جواب الإمام الحسن «عليه السلام» لعبيد الله ـ حسب نص أبن أعثم ـ :«كلا والله لا أكفر بالله وبرسوله، وبوصي رسول الله. إخس، ويلك من شيطان مارد. فقد زين لك الشيطان سوء عملك، فخدعك حتى أخرجك من دينك.. إلخ»

فالإمام الحسن يعتبر الإقدام على ما طلبه منه عبيد الله بن عمر كفراً، واعتبر «عليه السلام» ابن عمر قد خرج من دينه بكلامه هذا معه «عليه السلام»..

بل هو قد اعتبر معاوية مارقاً من الدين، لأنه في حربه هذه، إنما يتوخى نفس هذه الأهداف، لا سيما وأن تاريخه يشهد على أنه لم يزل هو وأبوه عدوّين، ومحاربين لله ولرسوله، وللمؤمنين.. وأنه وأبوه ما أسلما، ولكنهما استسلما، خوفاً وطمعاً..

ويلاحظ:

أنه «عليه السلام» هنا قد أثبت اللام في قوله: «لرسوله» وفي قوله: «وللمؤمنين»، وذلك في قوله: « لم يزل هو وأبوه حربيين وعدوين لله، ولرسوله، وللمؤمنين» ولم يحذفها اكتفاء بذكرها أولاً في المعطوف عليه، وهو لفظ الجلالة..

ولعل السبب في ذلك: أنه لو حذف اللام من الكلمتين التاليتين المعطوفتين على لفظ الجلالة، لتوهم متوهم أن المجموع المركب سبب واحد للحكم بالمروق من الدين، بحيث لو حارب واحداً منها ـ

كما لو حارب المؤمنين فقط، أو الرسول فقط ـ لم يوجب ذلك المروق من الدين، وإن كان ذلك ذنباً عظيماً..

ولكنه أثبت لام الجر في الجميع، ليفهمنا أن الدخول في كل واحدة من هذه الثلاثة يوجب بمفرده المروق من الدين. فلو حارب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقط، فقد مرق من الدين. ولو حارب المؤمنين فقط، فكذلك..

ابن عمرمقتول اليوم أو غداً:

وقد أخبر الإمام الحسن (أو الحسين) «عليهما السلام» ابن عمر بأنه مقتول في يومه أو غده. وحسب نص ابن أعثم: إنه «عليه السلام» أخبره بأن الله هو الذي سوف يقتله. وعلى حد تعبير المنقري:«سيصرعك الله، ويبطحك لوجهك قتيلاً».

وهذا الإخبار الغيبي، لعله يهدف إلى الدلالة على أنه «عليه السلام» لا تعوزه المعرفة بالأمور، وبالحقائق والدقائق، ولا تأخذه الحيرة فيها، ولا يحتاج إلى دلالة ابن عمر وأمثاله، لأنه عارف بما سوف تنتهي إليه الأمور، وهو يأخذ معارفه، ويستمد الهدى من مصدر الهدايات، والعالم بالخفيات.. فلا قيمة لما يعرضه عليه ابن عمر، لأن ابن عمر لا يملك شيئاً في نفسه، ولأنه لم يبق من عمره إلا سويعات. فكيف يَعِد غيره بالخلافة والإمامة..

وقد دلّ التعبير الذي أورده ابن أعثم على أن الإمام الحسن

«عليه السلام» يرى أن ما يمارسه ابن عمر، لا يرضي الله، بل هو من أسباب غضبه تعالى وانتقامه، وأنه تعالى هو الذي سوف يقتله بسبب ذلك.. فلا معنى للإستجابة إليه، ولا للثقة بما يَعِد به إذا كان الله تعالى سينتقم منه، ويقتله لأجله.. فكيف إذا كان ما يدعو إليه، وما يعد به من موجبات غضب الله تعالى، ومن السعي في إطفاء نوره عز وجل؟!

وكيف إذا كان المدعو إلى ذلك هو الحسنان «عليهما السلام»؟!

لماذا يحارب ابن عمر؟!:

وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما يدعو الناس إلى ركوب الأخطار، والتعرض للقتل والبوار.. وقد بين الإمام الحسن (أو الحسين) «عليهما السلام» بعض دوافع ابن عمر لمواجهة الأخطار في صفين، حتى انتهى الأمر به إلى ذلك المصير الأسود والذليل، فذكر أن الشيطان قد زيّن له أمرين:

أولهما: الإستعراض أمام نساء أهل الشام. فقال «عليه السلام» ـ حسب نص المنقري ـ : «أما إن الشيطان قد زيّن لك وخدعك حتى أخرجك مخلّقاً بالخلوق تُرِى نساء أهل الشام موقفك»

وقال «عليه السلام» ـ حسب نص ابن أعثم: «ثم تخرج إلى الحرب متخلقاً، لترائي بذلك نساء أهل الشام».

الثاني: إن الشيطان قد زيّن له أيضاً سوء عمله، فخدعه حتى

أخرجه من دينه باتباع القاسطين، ونصرة المارقين من الدين.

لا يخدع علي ولا الحسين ‘:

ويعترف معاوية كما ورد في الرواية رقم [3]، بقوله: «إن الحسين بن على لا يخدع، فهو ابن أبيه».

فمعاوية ليس فقط يعترف للإمام الحسين «عليه السلام» بأنه لا يخدع، بل هو يشبّهه في هذه الخصوصية بأبيه. فمن يرى أن معاوية سياسي محنّك، ويُقِرّ له بالدهاء وبالقدرة الفائقة على المناورة، والخداع لخصومه. لا بد أن يقبل بتقييم معاوية للحسين، ولأبيه «عليهما السلام»

ولولا أن هذا الأمر كان من الوضوح والظهور بحيث يكون إنكاره من أي كان من الناس يمثل فضيحة كبرى للمنكر، ويوجب انتقاصه، واتهامه، إما بالجهل، أو بالتحامل الذي لا يطاق. وبالتضليل الذي يستبطن قلة الدين، والإستخفاف بعقول الناس.. لكان معاوية قد أنكر ذلك، لأنه لم يكن يُسعده الإقرار بهذا الأمر لأعدى أعدائه، لولا أنه اضطر لذلك..

وعلى هذا الأساس، يقال للذين يتهمون علياً «عليه السلام» في سياساته، ويقدِّمون معاوية عليه: هل معاوية أعرف منكم بعدوه؟! أم أنكم أشدّ عداءً لعلي «عليه السلام» من معاوية، حتى رضيتم بفضيحة أنفسكم بإنكاركم هذا الأمر البديهي لعلي «عليه السلام»،

مع أنه لا يقبل الإنكار؟!

وأخيراً.. فإننا نذكر القاريء الكريم بأن علياً «عليه السلام»، قد أشار إلى هذا الأمر، حيث قال فيما نقل عنه: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يمكر (ويغدر) ويفجر إلخ..»[1].

ابن عمر يتقلد سيف أبيه:

وتقدم في الرواية رقم [4]: أن عبيد الله بن عمر خرج ـ بعد تحريض معاوية له ـ متقلداً ذا الوشاح، وهو سيف أبيه عمر بن الخطاب.. الخ..

وما نريد أن نلمح إليه هنا:

1 ـ أن سيف عمر لم يكن فاعلاً في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمستوى الذي يمكن قياسه بسائر السيوف. كسيف المقداد، وأبي دجانة، وأبي ايوب، وعمار بن ياسر، وسواهم..

ولا نريد أن نقارنه بسيف حمزة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، فهل يقارن بسيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص180 وبحار الأنوار ج33 ص197 وج40 ص193 ج72 ص291 والغدير للأميني ج10 ص172 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص572 - 589 وج10 ص212 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج1 ص454 وروائع نهج البلاغة لجورج جرداق ص116 والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص691.

«عليه السلام»؟!

أما بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكانت درّة عمر التي كان يحملها، ويضرب بها السقيم والبريء، هي الأشهر، والأذكر بين الناس..

إن المطلوب من الحديث عن سيف عمر، ذي الوشاح هو تكريس سيوف لها أسماء طنانة ورنانة، لكي يعارضوا بها سيف علي «عليه السلام» (ذا الفقار)، ومعتمدين في ذلك على جهل أو على تجهيلهم الناس بحقائق التاريخ، تمهيداً لتزويره.

2 - إن علي بن أبي طالب «عليه السلام» لم يباه بسيفه في صفين، بل كان «عليه السلام» يتقلد سيف رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويركب بغلة الرسول «صلى الله عليه وآله».

ويرفع راية رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا هو الفرق بين علي «عليه السلام» وبين كل من عداه..

3 - ولم يكن ابن عمر يجهل شيئاً من ذلك على ما نظن، ولكنه كان يريد الإيحاء للناس بانتماء فريقه إلى عمر بن الخطاب في مقابل علي «عليه السلام»، الذي يتهمونه بأنه ضد عمر، وكانوا يعرفون مدى تأثير الإنتساب إلى عمر في نفوس العرب.. وقد ذكرنا في هذا الكتاب بعض أسباب تعلّق العرب بهذا الرجل، فلا نعيد..

لا تقل في عمر إلا خيراً:

وحول قول أمير المؤمنين «عليه السلام» لولده محمد، المتقدم في الرواية رقم [4]: نشير إلى أمرين هما:

1 ـ إننا ذكرنا فيما سبق من فصول هذا الكتاب أسباب منع علي «عليه السلام» ابنه محمداً من مبارزة عبيد الله، وأن محمداً كان من الشجاعة والفروسية ما يجعله قادراً على قتل عبيد الله، بل قتل أعاظم أبطال معاوية. ولكن علياً «عليه السلام» لم يكن يريد قتل ابن عمر على يد أحد من أبناء علي «عليه السلام» لأسباب ذكرناها في موضع آخر من هذا الكتاب.

2 ـ كما أنه «عليه السلام» قد منع ولده محمداً من أن يقول في عمر إلا خيراً.. لأنه «عليه السلام» كان يعلم أن ذلك يصد الناس عن الحق، ويحقق رغبات معاوية، التي كان يسعى إليها، ويسخِّر لهذا الأمر كل ما يملك من طاقة وجهد..

وقد تحدثنا عن ذلك أيضاً، في بعض فصول هذا الكتاب، فلا نعيد.

ونقول:

معاوية يحرض ابن عمر على القتال:

وتقدم في الرواية رقم [4]: أن معاوية قد حرّض ابن عمر على القتال.. وكأن السبب في ذلك هو: إدراكه أن الأمر لن يكون سهلاً مع

علي «عليه السلام»، وأنه يحمل معه أخطاراً جساماً، وأهوالاً عظاماً..

ولم يكن هناك شيء على وجه الأرض أعز على معاوية من نفسه، وكل شيء يرخص دونها، وقد ضحّى من أجلها بآخرته، فهل يبخل عليها بحياة عبيد الله بن عمر؟!

فتفتقت قريحته عن مكيدة عظيمة يكيد بها علياً «عليه السلام»، وهي: أن يدفع بعبيد الله بن عمر إلى القتل، ليتخذ ذلك ذريعة للتشنيع على علي «عليه السلام»، حيث كان يظن أن ذلك يفيده في تفريق العراقيين عنه، أو على الأقل هو يوجب خلافهم، أو شغبهم عليه.

فهو كان يعلم أن العراقيين كانوا يكنّون لعمر أعظم المودة، فقتل ولده عبيد الله في هذه الحرب سيحدث زلزالاً في جيش علي «عليه السلام»، وربما يكون أيضاً سبباً في زيادة رغبة أهل الشام بقتال علي «عليه السلام» وتعاظم شعورهم بخطره عليهم..

ولكن ما حصل كان خلاف ما توقعه معاوية، لأن علياً «عليه السلام» كان قد امتص الصدمة، وأبطل آثارها قبل وقوعها، لأنه كان قد أفهم الناس كل الناس بأن عبيد الله قاتل، وأنه مطلوب للعدالة، وقد حكم عليه أبوه بعقوبة القتل قبل موته، إن لم يأت بشهود يشهدون بأن الذين قتلهم ولده عبيد الله قد شاركوا في قتل أحد.

ولم يستطع ابن عمر أن يأتي بهؤلاء الشهود، وما احتج به عثمان لعدم إنزال العقوبة الإلهية به، كان من المآخذ التي أسهمت في زيادة

النقمة على عثمان.

الفصل الرابع:

هذا هو ابن بديل..

ابن بديل يحرض على القتال:

روى نصر، عن عمر، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب، أن عبد الله بن بديل قام في أصحابه، فقال:

إن معاوية ادعى ما ليس له، ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحق، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب، وزين لهم الضلالة، وزرع في قلوبهم حب الفتنة، ولبس عليهم الأمر، وزادهم رجساً إلى رجسهم، وأنتم والله على نور من ربكم وبرهان مبين.

قاتلوا الطغام الجفاة ولا تخشوهم.

وكيف تخشونهم وفي أيديكم كتاب من ربكم ظاهر مبروز؟! **(أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ**

بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)(1).

وقد قاتلتهم مع النبي «صلى الله عليه وآله».. والله ما هم في هذه بأزكى، ولا أتقى، ولا أبر.

قوموا إلى عدو الله وعدوكم(2).

الزحف، والقتال:

ثم زحف علي بالناس إليهم، ورفع معاوية قبة له عظيمة، قد ألقى عليها الكرابيس وجلس تحتها.

وزحف عبد الله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة [وهو على ميسرة أهل الشام]، فلم يزل يحوزه، ويكشف خيله من الميسرة حتى اضطرهم إلى قبة معاوية عند الظهر(3).

ونقول:

---

(1) الآية 14 من سورة التوبة.

(2) صفين للمنقري ص234 والغدير ج10 ص163 وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص873 و 874 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص186 و 187 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص11 و الكامل في التاريخ ج3 ص297.

(3) صفين للمنقري ص234 وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص10 و 11 والكامل في التاريخ ج3 ص297 وبحار الأنوار ج32 ص466.

الكرابيس: ضرب من الثياب.

هؤلاء هم أصحاب معاوية:

لقد كان ابن بديل دقيقاً جداً في وصفه المتقدم لحال أصحاب معاوية، فقد ألمح في كلامه إلى ما يلي:

1 - إن جيش معاوية يتكون من نوعين من الناس، هما:

أولاً: الأعراب الذين وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: **(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ)**[1].

ويقول عنهم أيضاً: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)**[2]. وثمة آيات أخرى.

ثانياً: الأحزاب، وهم الذين قال الله تعالى عنهم في كتابه الكريم: **(جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ)**[3].

وقال سبحانه: **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)**[4].

---

(1) الآية 97 من سورة التوبة.

(2) الآية 14 من سورة الحجرات.

(3) الآية 11 من سورة ص.

(4) الآية 22 من سورة الأحزاب.

وقد ذم القرآن الأحزاب في آيات كثيرة، فقد قال تعالى: **(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ..)**[1].

وقال تعالى: **(فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ)**[2].

2 - ثم قال ابن بديل: «قاتلوا الطغام الجفاة».. وهذا يدل على أن هؤلاء الناس لم يتأدبوا بأدب الإسلام، لأن الطغام هم أوغاد الناس، وأراذلهم.

وبديهي أن من يفقد معنى العزة والكرامة، والشرف والسؤدد، ويرضى بحياة الذل والسقوط والهوان، يصبح من السهل استخدامه في الحرب ضد القيم والأخلاق، وأن يبطش بأهل الخير والصلاح، وأن يعتدي حتى على الأنبياء والأوصياء، وأن ينتهك أعظم الحرمات، ويستخف بأقدس المقدسات عن سابق علم ومعرفة بها.

ولا يجدي معه استنهاض حمية، وتحريك وجدانه، ولا يمكن هز كيانه، وإثارة عاطفته، ودغدغة مشاعره، لأنه ليس لديه شيء من هذا، لا من قريب، ولا من بعيد..

فهم مصداق لقوله تعالى: **(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ**

---

(1) الآية 5 من سورة غافر.

(2) الآية 37 من سورة مريم وراجع: الآية 65 من سورة الزخرف.

مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ)(1).

3 - إن معاوية كما يقول ابن بديل: زين لمن معه الضلالة، وحلاها في أعينهم، وقربها إلى نفوسهم، حتى ألفوها، ورغبوا بها، وسعوا إليها.

4 - إن معاوية زرع في قلوبهم حب الفتنة.. وهذا يشير إلى أنه قد استفاد من بعض المؤثرات النفسية عليهم، حتى بلغ الأمر حداً أصبحت الفتنة فيه بمثابة شجرة نابتة في نفوس أولئك الناس، وأصبح من الصعب اقتلاعها منها، ويحتاج ذلك إلى جهد ووقت.

ولا بد هنا أن نتساءل عن الوسائل التي أعملها معاوية حتى بلغ بهم إلى هذا الحد؟! فإننا لا نرتاب في أن من أهم وسائله أنه أثر عليهم أولاً في الناحية الإعتقادية، فسلبهم نعمة تذوق طعم الإعتقادات الصحيحة، وأوجد لديهم الحواجز المختلفة التي تمنع من وصولها إليهم، ومن سماعهم إياها، فضلاً عن تَقَبُّلها والتعامل معها..

وسلبهم ثانياً مكارم الأخلاق التي تساعد على قبول الحق، والتلذذ به، وغذَّى وقوَّى فيهم مساوئ الأخلاق، كالإستكبار والعصبية، وفقدان الشعور بالكرامة والعزة، وما إلى ذلك.

5 - ثم ذكر «رحمه الله»: أن معاوية قد لبَّس على أصحابه الأمر،

---

(1) الآية 74 من سورة البقرة.

وزادهم رجساً إلى رجسهم.. ومن المعلوم: أن المروي عنه «صلى الله عليه وآله» هو أن هناك صنفان، إن صلحا صلح الناس، وإن فسدا فسد الناس، وهما: العلماء [الفقهاء]، والأمراء(1)، وأن الناس على دين ملوكهم، فلا نستغرب إذا قال عبد الله بن بديل: أن معاوية قد ترك في الناس الذين تسلط عليهم هذه الآثار السلبية.

وأخيراً نقول:

إن هذا الذي ذكره ابن بديل يدل على أن معاوية لم يكن يملك أية روادع دينية أو وجدانية عن ارتكاب أمثال هذه الجرائم النكراء في حق أناس غافلين عما يراد بهم.

ميزات ابن بديل:

ولعل هذا الوعي الراقي لدى ابن بديل بالإضافة إلى طهارة ذاته، وصدقه وصراحته، وقوته في ذات الله، ووطأته الشديدة على أعداء الله سبحانه، وصلابته في دين الله هو الذي ميَّزه عن كثيرين من أقرانه، وجعل الناس يشعرون بفقده، وينوهون باسمه.

---

(1) الخصال للصدوق ص37 وتحف العقول ص50 وروضة الواعظين ص6 والنوادر للراوندي ص157 و 158 وبحار الأنوار ج2 ص49 وج72 ص336 وج74 ص154 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص175 وج8 ص285 والجامع الصغير للسيوطي ج2 ص101 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج10 ص191 وفيض القدير ج4 ص276.

كما أن هذه الميزات هي التي كانت تخيف منه أعداءه، وتدعو معاوية للخوف منه، والفرار من وجهه في كل اتجاه كما سنرى..

بل سيأتي أنه «رحمه الله» كان موضع احترام وتقدير حتى عند أعدائه، حتى لقد انبرى بعض قادة معاوية، وهو عبد الله بن عامر لمنع معاوية من الإساءة إليه، والتمثيل بجثته بعد موته، والتمثيل بأجساد الشهداء.. وهذا دليل آخر على سقوط معاوية في حمأة المخالفات الشنيعة للدين والأخلاق والقيم الإنسانية.. وقد ورث ذلك من أمه هند التي فعلت ذلك في أُحد بسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب.

فرحم الله عبد الله بن بديل، وجعل الجنة مثواه مع محمد وآله الطيبين الطاهرين..

إغراءات معاوية لأهل اليمن:

قال المنقري:

وذكروا: أن عمرو بن العاص لما رأى الشر استقبل، فقال له معاوية: ائت ببني أبيك فقاتل بهم، فإنه إن يك عند أحد خير فعندهم.

فأتى جماعة أهل اليمن، فقال: أنتم اليوم الناس، وغداً لكم الشأن. هذا يوم له ما بعده من الأمر، احملوا معي على هذا الجمع.

قالوا: نعم. فحملوا وحمل عمرو، وهو يقول:

أكــرم بجــمــع طيب يمــان   جــدوا تكونــوا أوليــاء عثمــان

إني أتاني خبر فأشجان أن علياً قتل ابن عفان
خليفة الله على تبيان ردّوا علينا شيخنا كما كان

[وعند ابن أعثم: إن هذا الرجز لبسر بن أبي أرطأة]

فرد على عمرو: [سعد (سعيد) بن قيس]:

أبت شيوخ مذحج وهمدان بأن نرد نعثلاً كما كان
خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن

فقال عمرو بن الحمق، [أو سعد (سعيد) بن قيس]: دعوني والرجل، فإن القوم قومي.

فقال ابن بديل: دع الجمع يلقى بعضهم بعضاً.

فأبى عليه، وحمل، وهو يقول:

بؤساً لجند ضائع يمان مستوسقين كاتساق الضان
تهوى إلى راع لها وسنان أقحمها عمرو إلى الهوان
يا ليت كفي عدمت بناني وأنكم بالشحر من عمان
مثل الذي أفناكم أبكاني

ثم طعن في صدره، فقتله(1)، وولّت الخيل، وزال القوم عن

(1) لم يتضح من سياق النص من الذي قتل، ومن هو الرجل الذي قصده عمرو بن الحمق بقوله: دعوني والرجل..

مراكزهم(1).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

المنطق المدان:

ذكر هذا النص الإغراءات التي قدمها عمرو بن العاص لأهل اليمن، ليشاركوا في الحرب ضد إمامهم وخليفتهم الشرعي، فوجدناها كما يلي:

1 - إنه يعطيهم نفحة اعتزاز بكثرة عددهم، فيقول لهم: أنتم اليوم الناس. مع أن الله تعالى قد ذمّ الكثرة إلا في العمل الصالح، والإستكثار من الخير.

2 - إنه وعدهم بأن يكون لهم شأن، وقدر، ومقام، فقال لهم: «وغداً لكم الشأن». مع أنه لا قيمة ولا خير في مقام وشأن إذا كان نتيجة لطمس الحق، وكان أساسه وسببه الظلم والعدوان، وقتل أهل الخير والإيمان، وتقويض النظام العام، وتكذيب الرسول، والضرب بأحكام الشريعة عرض الحائط.

3 - إنه لوّح لهم بالإغراء بالسلطة، والتحذير من الحرمان منها، وقال: «هذا يوم له ما بعده من الأمر»، فإن المقصود بالأمر هنا هو

---

(1) صفين للمنقري ص399 - 400 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج3 ص91.

الحكم.

4 - أشار لهم إلى أن ما يبذلونه من جهد في هذه الحرب، سوف يقابله الإقرار بنصيب لهم بمقداره في ولاية عثمان. والمراد من ولايته وراثة ما كان له من السلطة والإمتيازات. ولذلك قال لهم عمرو: «جدّوا تكونوا أولياء عثمان».

وجميع هذه الأمور دنيوية ورخيصة، وبقيمة طمس الحق والدين، وبوسائل إجرامية، وحاقدة، وخبيثة، وهي مجلبة الخزي والعار، والخسران في الدنيا والآخرة.. واستجلاب سخط الله، واستنزال نقماته.

عمرو بن الحمق يعرف قومه:

وقد لاحظنا: أن عمرو بن الحمق الخزاعي، قد وصف حال اليمانيين من أهل الشام، بأنهم:

أولاً: جند ضائع.

ثانياً: إنهم مستوسقون كاتساق الغنم لراعيها.

ووصف راعيهم: بأنه نائم لا يدري ما يجري، وإلى ما تنتهي الأمور به وبهم..

وهذا غاية الخذلان، فإن من الجائر أن تكون الرعية غافلة، ولكن يقظة الراعي من شأنها أن تحفظ الرعية من كثير من الأخطار. فإذا غفلت الرعية والراعي معاً، فهناك الخطر العظيم..

ابن بديل بطل لا يجارى:

وقد دل الرجز المتقدم الذي قاله سليمان بن صرد على أن لعبد الله بن بديل مكانة لا تجارى، وأن ذكره قد سار في الآفق، حتى صارت الأبطال تهدد بعضها بعضاً به.. ويكفي أن يخوّف به حوشب ذي ظليم، وهو سيد أهل اليمن، الذي دخل بقتله على معاوية مصيبة عظيمة، كما تقدم.

قتال ابن بديل:

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: سمعت الشعبي يقول: كان عبد الله بن بديل الخزاعي مع علي يومئذ، وعليه سيفان ودرعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدماً وهو يقول:

لم يبق إلا الصبر والتوكل وأخذك الترس وسيفاً مقصل
ثم التمشي في الرعيل الأول مشي الجمال في حياض المنهل
والله يقضى ما يشا ويفعل[1].

فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية [والذين بايعوه على

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص245 وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص872 وأسد الغابة ج3 ص124 والإصابة ج4 ص19 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص543 وفي الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص64 و 65 نسب الأبيات للأشتر .

الموت، فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بديل، وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهرى، وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه، واختلط الناس، واضطرم الفيلقان: ميمنة أهل العراق، وميسرة أهل الشام.

وأقبل عبد الله بن بديل يضرب الناس بسيفه قدماً] حتى أزال معاوية عن موقفه، وجعل ينادى: يا لثارات عثمان! ـ يعني أخا كان له قد قتل ـ وظن معاوية وأصحابه أنه إنما يعنى عثمان بن عفان.

[وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً، وأشفق على نفسه، وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه.

ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها، حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة إنسان من القراء، فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم، ولجج ابن بديل في الناس، وصمم على قتل معاوية، وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إليه] (وكان) عبد الله بن عامر واقفاً، [فنادى معاوية بالناس: ويلكم! الصخر والحجارة إذا عجزتم عن السلاح].

فأقبل أصحاب معاوية على عبد الله بن بديل يرضخونه بالصخر حتى أثخنوه، وقتل الرجل، وأقبل إليه معاوية وعبد الله بن عامر [حتى وقفا عليه].

فأما عبد الله ابن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحم عليه،

وكان له [من قبل] أخاً وصديقاً، فقال معاوية: اكشف عن وجهه.

[فقال: لا والله، لا يمثل به وفي روح.

فقال معاوية: اكشف عن وجهه، فإنا لا نمثل به]، فقد وهبته لك.

فكشف [ابن عامر] عن وجهه فقال معاوية: هذا كبش القوم ورب الكعبة. اللهم أظفرني بالأشتر النخعي، والأشعث الكندى.

والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها

وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويحمى، إذا ما الموت كان لقاؤه

قدي الشبر، يحمي الأنف أن يتأخرا

كليث هزبر كان يحمى ذماره

رمته المنايا قصدها فتقطرا

مع أن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها فعلت(1).

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص245 - 247 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص196 و 197 وراجع: الأخبار الطوال ص175 والإستيعاب ج3 ص9 رقم 1489 و (ط دار الجيل) ج3 ص872 و 873 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص23 و (ط الأعلمي) ج4 ص16 والكامل في التاريخ ج2 ص375 و (ط

يزيد بن قيس يحرض:

روى نصر، عن عمرو، عن أبى روق الهمداني أن يزيد بن قيس الأرحبى حرض الناس بصفين قال: فقال:

«إن المسلم السليم من سلم دينه ورأيه.

إن هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيعناه، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه، ولا يقاتلونا إلا على إقامة الدنيا، ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً.

فلو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً ـ إذا ألزموكم مثل سعيد، والوليد، وعبد الله بن عامر السفيه.

يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت، ويأخذ مال الله ويقول: هذا لي ولا إثم علي فيه، كأنما أعطي تراثه من أبيه، وإنما هو مال الله أفاءه الله علينا بأسيافنا ورماحنا.

قاتلوا، عباد الله، القوم الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا تأخذكم في جهادهم لومة لائم، إنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا دينكم ودنيا كم، وهم من قد عرفتم وجربتم.

والله ما أرادوا إلى هذا إلا شراً.

دار صادر) ج3 ص302 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص567 والدرجات الرفيعة ص420 و 421 .

[وأستغفر الله العظيم لي ولكم]»(1).

عودة إلى قتال ابن بديل:

فقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة [قتالاً شديداً]، حتى انتهى إلى [قبة] معاوية مع الذين بايعوه على الموت.

فأقبلوا إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بديل في الميمنة، وبعث معاوية إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة، فحمل [بهم و] بمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم، وكشف أهل العراق ميلاً من قبل الميمنة، حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة [في الطبري: لم يبق منهم إلا ابن بديل في ماءتين أو ثلاث مئة] من القراء. واستند بعضهم إلى بعض، وانجفل الناس [عليهم].

فأمر علي «عليه السلام» سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان مع علي من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة، فحملوا عليهم وألحقوهم بالميمنة، وكانت الميمنة متصلة إلى موقف علي في القلب في أهل اليمن.

فلما انكشفوا انتهت الهزيمة إلى علي، فانصرف علي يمشى نحو

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص247 و 248 والغدير ج9 ص45 وج10 ص59 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص194 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص20 و 21 و (ط الأعلمي) ج4 ص12.

الميسرة، فانصرف عنه مضر من الميسرة، وثبتت ربيعة(1).

وعند الطبري: أن مولى للأشتر تحدث عن أنه لما كشف الأشتر عن عبد الله بن بديل وأصحابه أهل الشام، وعلموا أن علياً «عليه السلام» حي صالح في الميسرة قال عبد الله بن بديل لأصحابه: استقدموا بنا.

فأرسل الأشتر إليه: أن لا تفعل. أثبت مع الناس، فقاتل، فإنه خير لهم، وأبقى لك ولأصحابك. فأبى.

فمضى ـ كما هو ـ نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال، وفى يده سيفان. وقد خرج فهو أمام أصحابه.

فأخذ كلما دنا منه رجل ضربه فقتله، حتى قتل سبعة.

ودنا من معاوية، فنهض إليه الناس من كل جانب، وأحيط به، وبطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قتل، وقتل ناس من أصحابه، ورجعت طائفة قد خرجوا منهزمين.

فبعث الأشتر بن جمهان الجعفي، فحمل على أهل الشام الذين

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص248 والأخبار الطوال ص182 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص18 - 21 و (ط الأعلمي) ج4 ص12 والكامل في التاريخ ج2 ص373 و (ط دار صادر) ج3 ص298 وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص172 والبداية والنهاية ج7 ص265 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص293.

يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل، حتى نفسوا عنهم، وانتهوا إلى الأشتر..(1).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

أضربكم ولا أرى معاوية:

تقدم: أن معاوية حين قتل ابن بديل قال: «إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها لفعلت».

ولكن ابن أعثم يذكر القصة كما يلي:

«وتقدم عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي كالليث المغضب، فجعل يحمل على ميمنة معاوية مرة وعلى ميسرته مرة أخرى، وليس يظهر له أحد إلا قتله وهو يقول:

أضربكـــم ولا أرى معـــاوية الأبرج العـــين العظيم الحاوية

هـــوت بـــه في النار أم هـــاوية جـــاوره فيها كـــلاب عاويـــة

قال: فصاح معاوية: ويلكم يا أهل الشام! هذا أسد من أسود خزاعة فاقصدوه بحربكم.

قال: فأحاط به أهل الشام من كل ناحية، فلم يزل يقاتلهم حتى قتل

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص23 و (ط الأعلمي) ج4 ص16 والكامل في التاريخ ج2 ص375.

منهم جماعة وقتل «رحمه الله».

فقال معاوية: لله درُّه ودرُّ أبيه! أما والله لو استطاعت نساء خزاعة أن تقاتلنا فضلاً عن رجالها لفعلت»[1].

وقيل: إن الرجز المذكور آنفاً هو لمجزأة بن ثور.

وهو أحد الصحابة، وقد قاله مجزأة حين شدت ربيعة على صفوف أهل الشام شدة عظيمة[2]. كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وعند المسعودي: أن الرجز لعلي «عليه السلام»[3].

وروي: أنه للأخنس[4].

والأبرج: هو واسع العين..

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات، نذكر منها ما يلي:

ابن بديل: القرار والبدار:

كان ابن بديل من خيرة القادة عند علي «عليه السلام» وقد

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص299 و (ط دار الأضواء) ج3 ص120 و 121.

(2) صفين للمنقري ص305 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص240.

(3) مروج الذهب ج2 ص386 ولسان العرب ج18 ص229.

(4) الإشتقاق ص148.

أظهرت كلماته ومواقفه، أنه كان على درجة كبيرة من الوعي، والصدق، والإخلاص.. وقد أظهر الرجز الذي قاله حين هاجم جيش الأعداء حتى وصل إلى معاوية، فأزاله عن موقفه، ما يلي:

أولاً: أنه «رحمه الله» قد اختار النقطة المركزية والحاسمة، ليصب عليها كل جهده. بالرغم من أنه كان يعلم أنها أخطر وأصعب ما في الحرب.. فهي تعني أنه ينازع معاوية في أعز شيء لديه، وهو روحه التي بين جنبيه، التي يضحي بالدنيا كلها بما فيها دينه ويقينه، وكل أهله، وولده من أجلها، ومن أجل منافع زائلة، وزائفة كان قد حارب الله ورسوله، وها هو يحارب وصيه، ويقتل عشرات الألوف، ولا يرف له جفن، ولا يتكدر له خاطر.. فمن الطبيعي أن يحوط نفسه بأعظم السدود والموانع، ويختار الذين يبايعونه على الموت ليكونوا من حوله يدفعون عنه العوادي، ويبعدون عنه الأخطار..

ثانياً: لقد كان يعلم: أن التخلص من معاوية أقرب طريق إلى النصر، وهو ينهي الحرب، ويفض تلك الجموع الباغية، ويحبط كيد الشيطان الذي كان جاثماً في ذلك السرادق الأعظم، والرواق المطنب..

ثالثاً: إن ابن بديل كان قد سلَّح نفسه بيقينه بالحق، وبإيمانه به، وبالقرار النهائي والحاسم، الذي اتخذه من دون تهيب، ولا تردد ولا خوف..

رابعاً: إن علاقته «رحمه الله» ومحبته للدنيا كانت قد تلاشت،

ورغبته في الآخرة، وشوقه إلى لقاء الله قد تعاظم وتنامى، فلم يعد يرى شيئاً يمكن أن يحول بينه وبين بلوغ مراده إلا نفسه، وكان يحتاج لبلوغ مراده إلى الأمور التالية:

1 ـ الصبر.

2 ـ التوكل على الله تعالى.

3 ـ أخذ السيف والترس.

4 ـ المبادرة نحو الهدف المنشود، والمسابقة إليه، بحيث يكون المجاهد في الرعيل الأول، برغبة منه وتلذذ، تماماً كما تمشي الجمال العطشى في الحياض حين ورودها، فإنها تتلذذ بالمشي فيها، والشرب منها..

5 ـ والأمر الأخير والأهم، هو: مشيئة الله تعالى وإرادته، التي إليها منتهى كل أمر، ومآل كل جهد، فإنه تعالى هو الذي يخلق ما يشاء ويختار، وفق المصلحة، ما كان لهم الخيرة من أمرهم..

وقد جاء القضاء الإلهي متناغماً مع ما كان يصبو إليه ابن بديل، ورزقه الله الشهادة.. وكان له الفوز العظيم..

6 ـ يبدو: أن كلام الأشتر، لم يقنع ابن بديل، وأنه قد رجح خوض غمار هذه المخاطرة أملاً في أن ينال إحدى الحسنين: أن يقضي على معاوية، أو أن ينال الشهادة.. فاختار الله تعالى له مقام الشهادة.

يا لثارات عثمان:

وما أحسن ما توسل به ابن بديل، ليتمكن من الإقتراب من معاوية.. عملاً منه بمبدأ: «الحرب خدعة» حيث جعل ينادي:

«يا لثارات عثمان».

وأكثر الناس، إن لم يكن كلهم إلا أفراداً قليلين، لا يعرفون أن له أخاً اسمه عثمان كان قد قتل، فمن يعرفه ومن لا يعرفه من أصحاب معاوية إذا سمعه ينادي بهذا النداء سوف يظن أنه منهم، وأنه يقصد به ابن عفان، فلا يقدمون عليه.. وقد يفسحون له المجال للتقدم.

فإذا عاينوا طريقة عمله، فسيتنازعهم عاملان هما: الخوف من مواجهته بالمكروه، والحيرة فيما يرونه منه، فإلى أن يثوب إليهم رشدهم، يكون هو قد حقق الكثير مما يصبو إليه..

ابن عامر والتمثيل بابن بديل:

1 - تقدم: أن عبد الله بن عامر لم يرض بأن يمثّل معاوية بجثة عبد الله بن بديل مع أن عبد الله بن عامر كان قد حارب أمير المؤمنين «عليه السلام» في الجمل وها هو يحاربه في صفين..

بل لقد قال ابن الأثير عنه: «شهد الجمل مع عائشة، وبه وبماله قامت حرب الجمل»(1).

---

(1) راجع: أسد الغابة ج3 ص191 و 192 والطبقات الكبرى لابن سعد ج5

فمن كان هذا حاله، هل يعقل أن يكون وفياً لصديق؟!

بل هل يعقل أن يكون صديقاً لمثل ابن بديل التقي والوفي والزاهد[1] «رحمه الله»؟!

ونجيب:

إن التعامل مع الآخرين بأخلاقية عالية هو ما أمر الله تعالى به.. ولكن ذلك لا يعني الحميمية والصداقة بمعناها المتداول. ولعل هاشماً كان يعامل ابن عامر بإطلاقيته العالية، فظن بعض الناس أن الأمر يتجاوز ذلك ليصل إلى حد الصداقة.. وبأن هذا الموقف من ابن عامر قد لا يكون بداعي الإخلاص والوفاء، إذ ربما كان ابن عامر قد أحب أن يرضي غروره، ويثبت وجوده، ويؤكد شخصيته، ونفوذ كلمته، وأهميته لدى معاوية.. لكي يشمخ بأنفه أمام الناس، دون أن يكلفه ذلك شيئاً.

كما أن ذلك يظهره بمظهر الرجل الكريم، والأبي، والوفي لمن تربطه به علاقة مَّا، حتى لو أصبح عدوه، الذي يقاتله..

وإلا، فلو كان ابن عامر شهماً حقاً، لكان قد واجه قاتل حبيبه

ص48 وتاريخ مدينة دمشق ج29 ص261 و 262 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص259.

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص69 و (ط مؤسسة آل البيت سنة 1404هـ) ج1 ص286 ونهج السعادة ج8 ص474.

وصديقه، ولو بما يسوؤه، ولو باللوم والتقريع، ولا نريد أن نتوقع منه أن يدفع عنه المكروه الذي تعرض له، ولو كان شهماً أيضاً لطلب من معاوية أن يكف عن عمله الشنيع هذا، وهو التمثيل بأجساد الشهداء..

2 - إن تمثيل معاوية بأجساد الموتى، إن دل على شيء فيه، فهو يدل على قلة دين، وجرأة على الله، إلى حد التظاهر بمخالفة الأحكام الشرعية، حيث إن الكل يعلم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نهى عن المثلة حتى قال: «..إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»**(1)**. كما أن ذلك يدل على أن معاوية لا يقيم وزناً للقيم الأخلاقية.. فضلاً عن أنه يكذب ما زعمه له محبوه من حلم وعفو، وما إلى ذلك.

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص78 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج29 ص128 و (الإسلامية) ج19 ص96 ومستدرك الوسائل ج18 ص256 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص168 و مستدرك سفينة البحار ج9 ص328 ونهج السعادة ج7 ص117 ومجمع الزوائد ج6 ص249 وج9 ص142 والمعجم الكبير ج1 ص100 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص6 ونصب الراية ج3 ص224 والكامل في التاريخ ج3 ص391 وتنزيه الأنبياء للمرتضى ص218 والمناقب للخوارزمي ص386 وكشف الغمة ج2 ص60 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص623 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص103 وينابيع المودة ج2 ص30 وج3 ص445 وروضة الواعظين ص137 والإختصاص للمفيد ص150 وذخائر العقبى ص116 وبحار الأنوار ج40 ص105 وج42 ص246 و 257 و 288 والغدير ج11 ص61.

فكيف بالمسلم المجاهد، والتقي الزاهد، والشهيد السعيد المنافح والمكافح عن دينه، والمنتصر للحق وأهله؟!!

كما أنه يدل على إسفاف أخلاقي ظاهر، وعن انقياد للهوى، فضلاً عن أنه ينم عن حقد دفين يريد التنفيس عنه بهذه الطريقة، وينبئ عن عجز وفشل، وضعف، وإن حاول معاوية إنكاره والتستر عليه..

نساء خزاعة.. ومعاوية:

وتقدم: أن معاوية قال: «إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني، فضلاً عن رجالها، فعلت»(1).

ونقول:

1 - يبدو: أن معاوية يريد أن يقول: إن هذه الشجاعة النادرة التي ظهرت من ابن بديل، وشهد له بها معاوية شهادة ظاهرة في أقواله التي أطلقها، وفي الشعر الذي تمثّل به.. لم تكن من ابن بديل بداعي

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص247 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص197 وراجع: الأخبار الطوال ص175 والإستيعاب ج3 ص9 رقم 1489 و (ط دار الجيل) ج3 ص873 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص23 و (ط الأعلمي) ج4 ص16 والكامل في التاريخ ج2 ص375 و (ط دار صادر) ج3 ص302 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص567 والدرجات الرفيعة ص420 و 421.

التدين، وحب امتثال الواجب الشرعي، ورغبة فيما عند الله.. وقناعة بأن الحق لعلي «عليه السلام» ومعه..

بل كان ذلك منه لحقد دفين تجده خزاعة على معاوية من حيث هو من قريش.. وبذلك يكون معاوية قد أفرغ هذه الشجاعة من معنى الكرامة، والنبل والشهامة، والتقوى والزهادة، والدين والعبادة، وأبعدها عن أن تكون شدة في ذات الله، وانصياعاً لأمره سبحانه.

2 - إن معاوية يشير إلى أنه لا يزال ينطلق في تقييمه للأمور، وفي التعامل معها، من المنطق القبلي، ويعيش أجواء العصبيات العشائرية التي رفضها الإسلام، وأدان أي تعلق، أو ارتباط بها..

3 - بل إن معاوية كان يتعامل مع القضايا بالمنطق الجاهلي البغيض، الذي كان هو المنطلق له حين واجه الإسلام بالحرب، وعمل على قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكل من قدر على قتله من أتباع هذا الدين والمدافعين عنه، ولم يدع وسيلة تمكنه من ضربه، والتخلص منه إلا استفاد منها.. ولكن الله تعالى أتم وهو متمٌّ نوره، ولو كره المشركون والكافرون، والمنافقون..

ومن المعلوم: أن معاوية ومن هم في خطه، إنما يحقدون على خزاعة، لأنها دخلت في حلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» في صلح الحديبية، ثم فتح الله تعالى مكة لنبيه، لأن قريشاً نقضت هذا الصلح بعدوانها على خزاعة بالذات..

فكان الطلقاء، وعلى رأسهم زعماؤهم في البيت السفياني

والأموي، يحقدون على خزاعة، ويبغضونها بسبب ذلك، وقد استمروا على حقدهم هذا إلى ما بعد عشرات السنين من استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على استمرار بغضهم للإسلام، ولرسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، ولكنهم كانوا لا يستطيعون الجهر بذلك فكانوا يظهرون البغض لأهل بيته «عليهم السلام» وعلى رأسهم علي «عليه السلام»، ولشيعته وكل من يرتبط به، ثم يظهرونه لحلفائه «صلى الله عليه وآله» وهم خزاعة.. هذا فضلاً عن حقدهم على جميع العاملين بأحكام دينه «صلى الله عليه وآله»، كما ظهر من ملاحظة نصوص الحديث والتاريخ..

حروب الأقوياء:

وقد تحدث يزيد بن قيس الأرحبي عن أهداف أهل الشام من حربهم، فلخصها في شيء واحد، وهو أنهم يريدون بها الدنيا، ليكونوا فيها ملوكاً جبارين. ويريدون أيضاً أن يكون الضعفاء هم وقود هذه الحرب، والقائمون فيها، والوسائل والأدوات، لتشييد ملكهم وسلطانهم..

ومعنى ذلك: أن هذه الحرب هي حرب الجبابرة البغاة الأقوياء، من أجل الحصول على القوة، لكي يستضعفوا بها الناس، وتكون وسيلتهم للقهر والظلم..

أما الحرب المشروعة فهي التي يكون هدفها أحد أمرين:

أولهما: أن تكون في سبيل الله تعالى، دفاعاً عن دينه، وعن شرائعه..

الثاني: أن تكون في سبيل المستضعفين، بهدف رفع الإستضعاف والظلم عنهم.

وقد أشار الله تعالى إلى هذين الأمرين في قوله: **(وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)(1)**.

وقد أشار يزيد بن قيس إلى أهداف أصحاب معاوية بقوله: «والله ما ـ إن ـ يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيعناه، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه» أي لتكون حربهم مشروعة، أو مرضية لله تعالى.. كما هو مضمون الآية المباركة التي ذكرناها آنفاً، والتي ذكرت أهداف الحرب المشروعة..

ثم حدد أهدافهم من حربهم بدقة، فقال:

«ولا يقاتلونا إلا على إقامة الدنيا، ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً».

وهذا معناه: أن من يساعدهم في حربهم تلك، يكون محكوماً بالكفر، وفق قوله تعالى: **(الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ**

---

(1) الآية 75 من سورة النساء.

كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً)(1). وما أقبح بالرجل أن يجعل نفسه مطية لغيره، يبوء بالكفر، وربما يقتل أو يموت من أجل أناس لا يهمهم أمره، بل يستفيدون منه كوقود للحرب التي تمكنهم من الظلم والتجبر، حتى بمن ساعدهم على بلوغ أمانيهم، في الملك والسلطان..

وقد أظهرت هذه الآية أيضاً: أن من يقاتل دفاعاً عن شرع الله، وليمنع هؤلاء من نيل أهدافهم في ظلم العباد، ومن الحكم بغير ما أنزل الله، يكون من أهل الإيمان، وهذا الفريق هم أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه، كما صرحت به كلمات يزيد بن قيس المتقدمة، فلاحظ قوله: «قاتلوا عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا تأخذكم في جهادهم لومة لائم. إنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا دينكم ودنياكم، وهم من قد عرفتم وجربتم».

نموذج القاسطين:

وقد ركز يزيد بن قيس على تقديم نموذج عن هؤلاء الذين يثيرون هذه الحرب التي تزهق فيها عشرات ألوف الأرواح من أهل القبلة.. من أجل إيصالهم الملك والسلطان، وصيرورتهم ملوكاً جبارين، فذكر أسماء ثلاثة منهم، وهم:

1 - سعيد بن العاص، الذي قالوا عنه: «..كان في سعيد تجبّر

---

(1) الآية 76 من سورة النساء.

وغلظة، وشدة سلطان»[1].

وهو الذي قال، أو كتب به إلى عثمان: إنما هذا السواد فطير لقريش. فقال له الأشتر: أتجعل ما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك؟![2].

2 ـ أما الوليد بن عقبة، فقال عنه سعيد بن العاص المتقدم ذكره: إن الوليد كان رجساً نجساً[3].

وهو الذي أنزل الله تعالى فيه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)**[4]. حين أخبر كذباً أن بني المصطلق قد ارتدوا.

وهو الذي صلى بأهل الكوفة الصبح أربعاً، وهو سكران، ثم قال لهم: أتريدون أن أزيدكم؟![5]. وقد جلده علي «عليه السلام» الحد في

---

(1) بحار الأنوار ج31 ص161 والوافي بالوفيات ج15 ص143 والإستيعاب ج2 ص9 و (ط دار الجيل) ج2 ص622.

(2) مروج الذهب ج2 ص336 والغدير ج9 ص31 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص21 والشافي في الإمامة ج4 ص256 ونهج الحق للعلامة الحلي ص291.

(3) مروج الذهب ج2 ص336 وبحار الأنوار ج31 ص158 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص242.

(4) الآية 6 من سورة الحجرات.

(5) بحار الأنوار ج31 ص153 و 155 والغدير ج8 ص123 وعمدة القاري

مجلس عثمان[1].. والحديث حول هذا الموضوع وسواه طويل وطويل..

3 ـ وأما عبد الله بن عامر، فقد تقدم: إنه شهد الجمل مع عائشة، وبه وبماله قامت حرب الجمل.

ويكفي أن نذكر هنا: أن نفس يزيد بن قيس قد ذكر هؤلاء الثلاثة كنموذج للناس الذين يجب أن يحذر الناس منهم، لأنهم يريدون أن يكونوا جبابرة وملوكاً، ومن القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله، والذين لا يتأثمون من أكل مال الله تعالى بغير حق. ثم هو يصرح بأنهم إن يظهروا عليهم يفسدوا دينهم ودنياهم.. وقد عرفهم الناس وجربوهم..

ولو لم يكن ما وصفهم به ظاهراً فيهم، ولا يرتاب فيه أحد، لم

ج16 ص203 والسنن الكبرى للنسائي ج3 ص248 ومسند أبي يعلى ج1 ص389 وشرح معاني الآثار ج3 ص152 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج4 ص1554 وتفسير جوامع الجامع ج3 ص401 وقاموس الرجال ج10 ص440 و 441 وأسد الغابة ج5 ص91 وتهذيب الكمال ج31 ص57 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص174 وإمتاع الأسماع ج13 ص217.

(1) قاموس الرجال ج10 ص440 و 441 عن مروج الذهب ج2 ص334 و 345 وراجع: الأغاني (ط ساسي) ج4 ص177 و (ط أخرى) ج5 ص139 وبحار الأنوار ج31 ص156 و 157 .

يصح منه تقديمهم للناس كشاهد يثبت لهم صحة ما يقول..

وصية ابن بديل:

نقل المعتزلي عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن عبد الرحمان بن كعب، قال:

لما قتل عبد الله بن بديل يوم صفين، مرَّ به الأسود بن طهمان الخزاعي، وهو بآخر رمق، فقال: [عز علي والله مصرعك، أما والله لو شهدتك لآسيتك، ولدافعت عنك، ولوأريت الذي أشعرك، لأحببت ألّا يزايلني حتى أقتله، أو يلحقني بك.

ثم نزل إليه، فقال:] رحمك الله يا عبد الله، إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله.

قال: أوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين «عليه السلام» وتقاتل معه [المحلين] حتى يظهر الحق، أو تلحق بالله. وأبلغ أمير المؤمنين عني السلام، وقل: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب.

ثم لم يلبث أن مات. فاقبل الأسود إلى علي «عليه السلام» فأخبره.

فقال «عليه السلام»: رحمه الله، جاهد معنا عدونا في الحياة،

ونصح لنا في الوفاة(1).

وحين راجعنا رواية المنقري وجدنا:

أولاً: أنه يذكر أن هذا قد جرى مع الأسود بن قيس، لا مع الأسود بن طهمان الخزاعي. إلا إن كان طهمان لقباً لقيس، أو أن أحدهما جدّ، والآخر أب..

ثانياً: إن المنقري يقول: إن هذه القضية جرت مع عبد الله بن كعب، والظاهر: أن المقصود به عبد الله بن كعب المرادي، الذي يقول العسقلاني: إنه قتل يوم صفين، وكان من أعيان أصحاب علي «عليه السلام»(2).

ثالثاً: إن المعتزلي نقل هذا الحديث عن المنقري، عن عمر بن سعد، عن عبد الرحمان بن كعب.. ولكن النص الموجود في كتاب صفين منقول عن عمر، عن عبد الرحمان بن عبد الله. فكيف يمكن التوفيق بينهما..

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص93 وراجع: صفين للمنقري ص456 و 457 والدرجات الرفيعة ص422 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص519 والغدير ج2 ص365.

(2) راجع: الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج4 ص187 عن تاريخ ابن عساكر ترجمة عبد الله بن كعب المرادي رقم (4936) وراجع: أسد الغابة ج3 ص249 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص981 والوافي بالوفيات ج17 ص221 وراجع: والغدير ج9 ص366.

مع ملاحظة: أن ثمة إضافة في الرواية التي وردت في كتاب صفين ولم ترد في نص المعتزلي.

إلا أن يقال: إن هذا لا ضير فيه، لاحتمال أن يكون المعتزلي قد اختصر النص..

وفي جميع الأحوال نقول:

إننا نحتاج إلى مصدر آخر لهذه القصة، لتحديد الشخص المعني بها..

وإن كنا نرجح رواية كتاب صفين، لأن ابن بديل قد قتل في معمعة كبيرة، ثم وقف معاوية وابن عامر على جثته مباشرة، وأراد معاوية التمثيل به، فمنعه ابن عامر كما تقدم.. وهذا يعني:

ألف: إن من البعيد أن يبقى ابن بديل حياً إلى أن يمر عليه الأسود، لا سيما وأنه قد تعرض لهذا الهجوم الكبير والخطير جداً، وكان ذلك يجري تحت بصر وسمع ورعاية معاوية نفسه، الذي كان يخشى أن يصل إليه..

ب: إن معاوية قد بادر هو وابن عامر بعد مقتله، للوقوف على مصرعه، لكي يمثل به..

ج: إن قتله كان في أشد المواضع حساسية وخطورة، وبالقرب من موقع معاوية بالذات، فكيف يمكن أن يصل إليه الأسود، أو أن يمر بقربه أحد من أصحاب علي «عليه السلام»، ويخاطبه بذلك الخطاب، ويسمع منه الجواب، فإن ذلك متعسر، بل متعذر جداً؟!

الفصل الرابع:

هكذا قتل ذي الكلاع..

ذو الكلاع في المعركة:

1 - وروى المنقري: عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: سمعت الشعبى يذكر [أن] صعصعة، قال: عبأ لمذحج ولبكر بن وائل ذو الكلاع وعبيد الله، فأصابوا ذا الكلاع وعبيد الله، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

قال: وشدّت عك، ولخم، وجذام، والأشعرون من أهل الشام، على مذحج وبكر بن وائل.

فقال العكى في ذلك:

ويــل لام مــذحــج مــن عك ... لنتركـــــن أمهــــم تُبَكِّـــي

نقتلهــم بــالطــعن ثم الصك ... فــلا رجــال كــرجــال عــك

لكــل قــرن بــاســل مصك

قال: ونادى منادى مذحج: يال مذحج، خدموا.

فاعترضت مذحج لسوق القوم، فكان بوار عامة القوم.

وذلك، أن مذحج حميت من قول العكي.

وقال العكى حين طحنت رحى القوم، وخاضت الخيل والرجال

في الدماء ـ قال ـ: فنادى: يال مذحج، الله الله في عك وجذام، ألا تذكرون الأرحام، أفنيتم لخم الكرام، والأشعرين وآل ذى حمام، أين النهى والأحلام، هذه النساء تبكى الأعلام.

وقال العكى: يا عك أين المفر؟! اليوم تعلم ما الخبر، إنكم قوم صبر، كونوا كمجتمع المدر، لا تشمتن بكم مضر، حتى يحول الحكر، فيرى عدوكم الغِيَر.

وقال الأشعري: يال مذحج من للنساء غدا إذا أفناكم الردى، الله الله في الحرمات، أما تذكرون نساءكم والبنات، أما تذكرون أهل فارس والروم والأتراك، لقد أذن الله فيكم بالهلاك، والقوم ينحر بعضهم بعضاً، ويتكادمون بالأفواه(1).

قتل ذي الكلاع:

2 ـ وقال المنقري: أخبرني عمر بن سعد قال: أخبرني رجل عن جيفر بن أبى القاسم [العبدى]، عن يزيد بن علقمة، عن زيد بن بدر: أن زياد بن خصفة أتى عبد القيس يوم صفين وقد عبيت قبائل حمير مع ذى الكلاع ـ وفيهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب ـ لبكر بن وائل، فقاتلوا قتالاً شديداً خافوا [فيه] الهلاك، فقال زياد لعبد القيس: لا بكر بعد اليوم، إن ذا الكلاع وعبيد الله أبادا ربيعة، فانهضوا لهم وإلا

---

(1) صفين للمنقري ص301 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص238 و 239 .

هلكوا.

فركبت عبد القيس، وجاءت كأنها غمامة سوداء، فشدت إزاء الميسرة، فعظم القتال، فقتل ذو الكلاع الحميرى، قتله رجل من بكر بن وائل اسمه خندف.

وتضعضعت أركان حمير، وثبتت بعد ذى الكلاع تحارب مع عبيد الله بن عمر(1).

قال: وضرب معاوية لحمير بسهم على ثلاث قبائل، لم يكن لأهل العراق قبائل أكثر منها عدداً يومئذ: على ربيعة، وهمدان، ومذحج.

فوقع سهم حمير على ربيعة، فقال ذو الكلاع: قبحك الله من سهم كرهت الضراب.

فأقبل ذو الكلاع في حمير ومن لف لفها، ومعها عبيدالله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من قراء أهل الشام، قد بايعوا على الموت. وهي ميمنة أهل الشام، وعلى ميمنتهم ذو الكلاع.

فحملوا على ربيعة ـ وهم ميسرة أهل العراق ـ وفيهم عبد الله بن العباس وهو على الميسرة، فحمل عليهم ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر، فحملوا على ربيعة حملة شديدة بخيلهم ورجالهم، فتضعضعت رايات ربيعة، فتثبتوا إلا قليلاً من الأحشام والأنذال.

---

(1) صفين للمنقري ص297 وبحار الأنوار ج32 ص480 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص233.

ثم إن أهل الشام انصرفوا، ولم يمكثوا إلا قليلاً حتى كرّوا [ثانية] وعبيد الله بن عمر [في أوائلهم] يقول: يا أهل الشام، هذا الحي من أهل العراق قتلة عثمان بن عفان، وأنصار علي بن أبى طالب «عليه السلام».

وإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم في عثمان، وهلك علي «عليه السلام» وأهل العراق.

فشدّوا على الناس شدّة شديدة، فثبتت لهم ربيعة، وصبروا صبراً حسناً، إلا قليلا من الضعفاء. وثبت أهل الرايات، وأهل البصائر منهم، والحفاظ، وقاتلوا قتالاً شديداً.

فلما رأى خالد بن المعمر أناساً قد انهزموا من قومه انصرف، فلما رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا، ورأى قومه قد صبروا، رجع وصاح بمن انهزم بالرجوع.

فقال من أراد أن يتهمه [من قومه]: أراد الإنصراف، فلما رآنا قد ثبتنا رجع إلينا؟!

وقال هو: لما رأيت رجالاً منا قد انهزموا رأيت أن أستقبلهم، ثم أردّهم إليكم، فأقبلت إليكم بمن أطاعنى منهم.

فجاء بأمر مشتبه.

وكان بصفين أربعة آلاف محجَّف من عنزة(1).

---

(1) صفين للمنقري ص290 و 291 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5

وقال: نادى أبو شجاع الحميرى وكان من ذوى البصائر مع على «عليه السلام»، فقال: يا معشر حمير [تبت أيديكم]، أترون معاوية خيراً من على «عليه السلام»؟!

أضل الله سعيكم.

ثم أنت يا ذا الكلاع، فوالله إن كنا نرى أن لك نية في الدين.

فقال ذو الكلاع: إيها يا أبا شجاع، والله فاعلمن، ما معاوية بأفضل من علي «عليه السلام»، ولكن إنما أقاتل على دم عثمان.

قال: وأصيب ذو الكلاع بعده، قتله خندف [بن بكر] البكري في المعركة(1).

جثّة ذي الكلاع:

3 - وروى المنقري: عن عمر، عن الحارث بن حصيرة: أن ابن ذى الكلاع أرسل إلى الأشعث بن قيس رسولاً، فقال له: إن ابن عمك ذى الكلاع يقرئك السلام ورحمة الله، وإن كان ذو الكلاع قد أصيب وهو في الميسرة فتأذن لنا فيه.

ص227 و 228 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص24 والكامل في التاريخ ج3 ص307.

(1) صفين للمنقري ص300 - 302 وبحار الأنوار ج32 ص481 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص237.

فقال له الأشعث: أقرئ صاحبك السلام ورحمة الله، وقل له: إني أخاف أن يتهمني علي «عليه السلام»، فأطلبه إلى سعيد بن قيس، فإنه في الميمنة.

فذهب إلى معاوية، فأخبره وكان منع ذلك منهم، وكانوا في اليوم والأيام يتراسلون.

فقال له معاوية: فما عسيت أن أصنع؟!

وذلك لأنهم منعوا أهل الشام أن يدخلوا عسكر علي «عليه السلام» لشيء، خافوا أن يفسدوا أهل العسكر.

وقال معاوية: لأنا أشد فرحاً بقتل ذي الكلاع منى بفتح مصر لو فتحتها. لأن ذا الكلاع كان يحجر على معاوية في أشياء كان يأمر بها.

فخرج ابن ذى الكلاع إلى سعيد بن قيس، فاستأذنه في ذلك، فأذن له.

فقال سعد الإسكاف والحارث بن حصيرة، قالا: قال سعيد بن قيس لابن ذى الكلاع: كذبت أن يمنعوك.. إن أمير المؤمنين لا يبالى من دخل بهذا الأمر، ولا يمنع أحداً من ذلك، فادخل.

فدخل من قبل الميمنة، فطاف في العسكر، فلم يجده.

ثم أتى الميسرة، فطاف في العسكر، فوجده قد ربط رجله بطنب من أطناب بعض فساطيط العسكر، فوقف على باب الفسطاط، فقال: السلام عليكم يا أهل البيت.

فقيل له: وعليك السلام.

وكان معه عبد له أسود لم يكن معه غيره، فقال: تأذنون لنا في طنب من أطناب فسطاطكم؟!

قالوا: قد أذنا لكم.

ثم قالوا: معذرة إلى ربنا عز وجل وإليكم، أما إنه لولا بغيه علينا، ما صنعنا به ما ترون.

فنزل ابنه إليه ـ وكان من أعظم الناس خلقاً، وقد انتفخ شيئاً ـ فلم يستطيعا احتماله.

فقال ابنه: هل من فتى معوان؟!

فخرج إليه خندف البكري، فقال: تنحوا [عنه].

فقال له ابن ذى الكلاع: ومن يحمله إذا تنحينا؟!

قال: يحمله الذى قتله.

فاحتمله خندف، ثم رمى به على ظهر البغل، ثم شدّه بالحبال، فانطلقوا به(1).

إيضاحات:

الصك: الضرب الشديد، واللطم على الجبهة بأطراف الأصابع.

---

(1) صفين للمنقري ص302 ـ 304 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص238.

القرن: بكسر القاف: الكفؤ والنظير في الشجاعة.

النُّهى: بضم النون، وتشديدها: العقل.

خدموا: أي ضربوا موضع الخلخال من الأرجل.

الأحلام: جمع حِلم بكسر الحاء: العقول.

الحكر: الحجر في لغة قبيلة عك، التي تقلب الجيم كافاً.

الغِيَر: بكسر الغين، وفتح الياء: أحداث الدهر.

الأحشام: الأتباع.

الحفاظ: الذب عن المحارم، والمنع لها عند الحرب.

المحجَّف: بفتح الجيم المشددة: لابس الحجفة، وهي ترس يتخذ من جلود الإبل، يطارق بعضها بعضاً.

طُنُب: بضم أوله وثانيه: حبل طويل يشد به سرادق البيت.

فسطاط: بيت من شعر، أو بيت خاص يصنع في السفر.

القراء يبايعون على الموت:

ذكرت الرواية رقم [2]: أن عبيد الله بن عمر جاء بكتيبته، وهي أربعة آلاف من قراء أهل الشام، قد بايعوا على الموت، وهاجم ربيعة، وهي في ميسرة علي «عليه السلام»، وفيها عبد الله بن عباس..

وقد قلنا: إن المتوقع من القراء هو: أن يلتزموا بتعاليم القرآن،

وأن يرفضوا الإقدام على أي تصرف لا يلتقي مع التعاليم القرآنية، أو يُشك في تلاقيه معها.. ولكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لقراء أهل الشام، فإنهم حين كرُّوا على قبيلة ربيعة في المرة الثانية، وكان ابن عمر في أوائلهم، كان عبيد الله يقول لهم محرضاً: «يا أهل الشام، هذا الحي من أهل العراق قتلة عثمان بن عفان، وأنصار علي بن أبي طالب «عليه السلام». وإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثاركم في عثمان. وهلك علي «عليه السلام». وأهل العراق، فشدوا على الناس شدَّة شديدة..».

وهذا كلام عجيب، ولا سيما إذا كان من ابن عمر.. وبالأخص إذا كان يخاطب به القراء:

فأولاً: يلاحظ: أن عبيد الله بن عمر يخاطب أهل الشام، وذلك الجمع من القراء (الذين هم أربعة آلاف) بطريقة التحريض، الذي يريد أن يستفيد من حالة التنافس المناطقي بين الشام والعراق، الذي أدى إلى عزل هذه البلاد عن بعضها، وإلى انطوائها وانغلاقها على ذواتها، ثم التنافس، بل التنافر فيما بينها.

ثانياً: إن ابن عمر إنما يستفيد في تسويقه للحرب ضد أمير المؤمنين «عليه السلام»، من موقعه كابن لعمر، لأن عمر كان محبوباً عند العرب، بسبب سياساته في العطاء، وفي الولايات، وفي التمييز العنصري، بتفضيل العرب على غيرهم، وغير ذلك..

ثالثاً: إن ابن عمر التجأ إلى معاوية خوفاً من علي «عليه

السلام» الذي كان قد توعّده بأنه إن ظفر به، فسوف يقتص منه للهرمزان، وغيره ممن قتلهم عدواناً حين طُعِن أبوه، وكان أبوه نفسه، قد أمر بقتله إن لم يأت ببينة، أو بدليل يدفع به القصاص عن نفسه.. وهو لم يأت بهذا الدليل، ولا بتلك البينة.

وقد تقدم ذلك في بعض فصول هذا الكتاب..

فإذا كان عبيد الله قاتلاً للنفس المحترمة، ويحارب علياً «عليه السلام» لأنه يريد الإقتصاص منه، فلا يصح من القراء أن يأخذوا بشهاداته ضد علي «عليه السلام» أو بشهادته على ربيعة أنها هي التي قتلت عثمان، ولا أن يستجيبوا للغة التحريض على علي «عليه السلام»، ولا أن يقبلوا منه قوله فيه..

رابعاً: إن القرآن الكريم يصرّح، ويقول: **(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)**(1).

وأولياء دم عثمان كانوا موجودين، ولم يجعل الله سبحانه أهل الشام أولياء لحجازي يقتل في الحجاز، كما لم يجعل ابن عمر، ولا معاوية أولياء لدم عثمان..

خامساً: كان على القراء أن يسألوا عبيد الله بن عمر: لماذا استبعد أهل المدينة، وأهل مصر من الإتهام بقتل عثمان، وحصر ذلك

(1) الآية 33 من سورة الإسراء.

بأهل العراق؟! ولماذا حُصِر أيضاً بربيعة دون سواها من قبائل العراق؟!

ولماذا استبعد طلحة والزبير، وعائشة، ومعاوية، وغيرهم ممن مالأ، وحرّض، وشارك في قتل عثمان؟!

سادساً: لماذا لم يسأل القراء ابن عمر عن سبب دعوته إياهم لقتال علي بن أبي طالب «عليه السلام».. فإن ربيعة إن كانت هي التي قتلت عثمان ـ كما قال ـ فلماذا يسعى هو وأهل الشام في قتل علي «عليه السلام» حسب كلامه هنا؟!

وهل كون ربيعة أنصاراً لعلي «عليه السلام» يعدّ من الذنوب، التي يستحق علي «عليه السلام» القتل من أجلها؟!

وقد كانت قبائل كثيرة تناصر علياً «عليه السلام»، فلماذا لم يذكرها كما ذكر ربيعة؟!

سابعاً: حبذا لو سأل القراء ابن عمر عن السبب، الذي جعله يستحل قتل جميع أهل العراق.. بالإضافة إلى علي «عليه السلام»..

ثامنـاً: حبّذا لو سألوه أيضاً، عن أنه كيف تكون هزيمة ربيعة من موجبات هلاك علي «عليه السلام»، وهلاك أهل العراق أيضاً؟!

تاسعاً: كيف تحوّل قتل عثمان إلى ثأر لأهل الشام، ولماذا لا يكون ثأراً لقريش، أو لأهل الحجاز؟!

خالد بن المعمر ينهزم ويتراجع:

وصرحت الرواية رقم [2] أيضاً: أن خالد بن المعمر لما رأى بعض قومه قد انهزم من المعركة، بادر هو أيضاً إلى الهرب.. ولكنه لما رأى طائفة من قومه قد ثبتوا توقف، وعزم على العود، ونادى المنهزمين، ليرجعوا معه، فرجع بعضهم..

ثم ادعى: أنه لم ينهزم، بل ذهب ليردّ المنهزمين: فجاء بأمر ملتبس.

والسؤال هو: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا أبقى علي «عليه السلام» خالد بن المعمر في موقعه، ولم يعزله، ما دام أنه غير موثوق به؟!

ونجيب:

بأنه قد كانت لخالد هذا مكانة في قومه، ولا يمكن المبادرة إلى عزله، إذا كان في الأمر شبهة توجب له الأذى والسقوط المعنوي أمام قبيلته، وأمام سائر القبائل. فإن الإقدام على هذا الأمر، قد يكرّس مظلوميته التي يدّعيها.

وقد يزيد ذلك من تعصّب أصحاب النفوس الضعيفة له، وربما أوجب ذلك انشقاقاً كبيراً في صفوف قبيلته.

بل قد تسري الأوهام والشكوك، وادِّعاء المظلومية له إلى سائر القبائل، فيرى الناس خالد بن معمر ضحيّة التدبير السيء، والتسرع،

والإنفعال من قبل علي «عليه السلام» بالذات، إن لم يقل ضعفاء العقول والنفوس، وأهل الريب، ومثيروا الشبهات: إنه ضحية التعامل بصورة غير أخلاقية، ولا منصفة.. خاصة أن معظم جيش علي «عليه السلام» لم يكن يتعامل معه، أو فقل يراه إماماً معصوماً مفترض الطاعة من الله ورسوله.

وذلك يؤكد: أن سياسة الصبر والأناة، لا بد أن تكون هي المهيمنة، خصوصاً في مثل هذه الأمورالحساسة التي تحتاج إلى تأكيد الثقة، ولمّ الشمل، وعدم إعطاء أي مبرّر للّغو والباطل، وللشائعات المسمومة.. لا سيما إذا كان أمير المؤمنين «عليه السلام» مطمئناً في تلك الأجواء القتالية إلى أن خالد بن معمر لن يجرؤ على أي تصرف يشين قومه، ويخلّ بسمعتهم، لأنه سيلقى جزاءه منهم، وسيكون جزاءً مريراً وقاسياً.

فلماذا يذهب «عليه السلام» باتجاه إجراءات تثير البلابل والقلاقل، وتدخل الناس في متاهات، ربما تنتهي بهم إلى التشتت والتفتت، والتمزق والتفرق؟!

وقد أثبتت هذه السياسة جدواها، حتى بالنسبة لخالد بن معمر، كما سيتضح في هذا الكتاب..

علي × يتجول في عسكره:

قال المنقري:

ثم إن ميسرة العراق كشفت ميمنة أهل الشام، فطاروا في سواد الليل، وأعاد عبيد الله والتقى هو وكرب ـ رجل من عكل ـ فقتله، وقتل الذين معه جميعاً، وإنما انكشف الناس لوقعة كرب، فكشف أهل الشام أهل العراق، فاختلطوا في سواد الليل، وتبدلت الرايات بعضها ببعض.

فلما أصبح الناس وجد أهل الشام لواءهم وليس حوله إلا ألف رجل، فاقتلعوه وركزوه من وراء موضعه الأول، وأحاطوا به، ووجد أهل العراق لواءهم مركوزا، وليس حوله إلا ربيعة، وعلي «عليه السلام» بينها، وهم يحيطون به، وهو لا يعلم من هم، ويظنهم غيرهم.

فلما أذّن مؤذن علي «عليه السلام» حين طلع الفجر قال علي «عليه السلام»:

يا مرحبا بالقائلين عدلا وبالصلاة مرحباً وأهلا

فلما صلى على «عليه السلام» الفجر أبصر وجوهاً ليست بو؟جوه أصحابه بالأمس، وإذا مكانه الذى هو به ما بين الميسرة والقلب بالأمس، فقال «عليه السلام»: من القوم؟!

قالوا: ربيعة، وقد بتّ فيهم تلك الليلة.

قال: فخر طويل لك يا ربيعة.

ثم قال لهاشم: خذ اللواء، فوالله ما رأيت مثل هذه الليلة.

ثم خرج نحو القلب، حتى ركز اللواء به(1).

ونقول:

إننا في هذا النص نشير إلى ما يلي:

علي × لا يعرف أين بات!!:

ذكر هذا النص: أن علياً «عليه السلام» وجد نفسه بين أناس، كان يظن أنه في غيرهم. فقال: مَن القوم؟!

قالوا: ربيعة..

وهذا قد يشير إلى أن ما يقال عنه «عليه السلام»، من أنه كان يعلم ما لم يكن يعلمه غيره، أو أنه كانت لديه قدرات على كشف الحال، لا يملكها غيره غير دقيق، فها هو لا يعرف أين، وبين من قد بات ليلته..

ونجيب:

ألف: إن إخبارات أمير المؤمنين «عليه السلام» الغيبية أمر لا ريب فيه، وقد تواتر ذلك عنه، ورأى الناس بأم أعينهم صدق ما أخبرهم به، وهو علم مأخوذ من معدنه، لم يشركه فيه أحد. فدل ذلك على خصوصيته، وتميزه عن سائر الناس عند الله ورسوله.. وهذا المورد ليس من موارد الإخبار بالغيب.

ب: بالنسبة لقدرته على كشف الحال، ومعرفة ما يريد

---

(1) صفين للمنقري ص330.

معرفته، نقول: إن هذا أيضاً، لا يخل بما ذكروه هنا، لأكثر من احتمال صحيح ووجيه..

فأولاً: لعله «عليه السلام» لم يرد هنا أن يستفيد من هذه الخصوصية التي منحه الله تعالى إياها، وأراد أن يواسي الناس، فيكون معهم ومثلهم، وما يجري عليهم يجري عليه..

ثانياً: ويمكن أن يكون ذلك، لأجل أنه مكلّف بالتعامل مع الناس بموجبات الحركة الطبيعية للأمور، ولا يحق له العمل بما يحصل على العلم به بواسطة الوسائل غير العادية، التي لا تقع تحت اختيار سائر الناس..

وربما كان من فوائد هذا المنع هو أن لا يغلو الناس فيه، وهم يرون له خصوصيات وقدرات لا تنالها أفهامهم، ولا قدراتهم.

والقول بأنه «عليه السلام» هنا كان أحوج ما يكون إلى التأكيد على إمامته، وعلى أنها من الله، وأنه يتصل بالغيب. وكان إظهار علمه بأمور لا تعلم بالطرق العادية إحدى وسائل هذا الإثبات. ـ هذا القول غير سديد ـ فإن إخباراته الغيبية المتواصلة لم تنقطع، فلا حاجة إلى الإستفادة في هذا الموضع الذي تمس فيه الحاجة إلى إظهار معنى آخر أيضاً.

ولا يقال: إنه كونه قد وجد نفسه بين أناس، كان يظن أنه في غيرهم يتنافى مع الحذر الذي عرف به «عليه السلام»، لأن المفروض أن يكون الحذِر عارفاً بموقعه وبمن يحيطون به..

حيث يجاب:

بأنه كان عارفاً بأنه كان في ضمن كتائب جيشه، فلم يكن بحاجة إلى مثل الحذر الذي يظهره حين يكون مع عدوه.

فخر طويل لك يا ربيعة:

وتقدم: أنهم لما أخبروه «عليه السلام» بأنه قد بات في ربيعة، قال: فخر طويل لك يا ربيعة.

ويبدو لنا: أن ثناءه «عليه السلام» هذا على ربيعة، كان لأجل أنها حافظت على موقعها، وعلى اللواء الذي كان مركوزاً بينها، فلم يتبدل موقعه، وحيث لا يمكن أن يتزحزح اللواء من موضعه، ما لم تتزحزح ربيعة. وثبات ربيعة في مثل هذه الحروب الصعبة التي اختلطت فيها الجماعات، وتبدّلت المواقف، يدل على مدى الجهد والجهاد الذي بذلته هذه القبيلة المخلصة..

يا مرحباً بالصلاة:

وتقدم: أنه «عليه السلام» حين أذّن مؤذّنه قال:

يا مرحباً بالقائلين عدلاً وبالصلاة مرحباً وأهلاً

وهذا يشير إلى:

1 ـ أنه «عليه السلام» يأنس ويفرح برؤية الصادقين حوله، وهم الذين يزنون منطقهم بميزان العدل والصواب. ويبدو أنه قد قال هذا سروراً بأذان مؤذّنه، وانسجاماً مع مضامين أذانه، وانسياباً في رحاب

دلالاته، فإنها كلها تشير إلى الخير والسلامة والعدل والصواب، وإعلاء كلمة الله تعالى.

2 ـ ثم عبر عن سروره بحلول وقت الصلاة، ورحب وتأهل بها، حتى كأنها مخلوق كامل، وعاقل يستحق التعظيم والتكريم حيثما حلّ، وكلما أهلّ وأطلّ.

إنه يفرح بالصلاة، ويأنس بها، لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولأنها خطاب مع الله سبحانه، وعيش في رحابه. وسلام وسكينة..

ولا يفعل «عليه السلام» هذا إلا لنستفيد منه درساً لا ننساه، حتى في أصعب اللحظات، ولا يشغلنا عنه سلم ولا حرب، ولا طعن ولا ضرب..

الخضرية والرجراجة:

قال المنقري:

ثم إن علياً «عليه السلام» دعا قيس بن سعد، فأثنى عليه خيراً، وسوّده على الأنصار.

وكانت طلائع أهل الشام وأهل العراق يلتقون فيما بين ذلك، ويتناشدون الأشعار، ويفخر بعضهم على بعض، ويحدث بعضهم بعضاً على أمان، فالتقوا يوماً وفيهم النجاشي، فتذاكر القوم رجراجة علي «عليه السلام» وخضرية معاوية، فافتخر كل بكتيبتهم، فقال أهل

الشام: إن الخضرية مثل الرجراجة.

وكان مع علي «عليه السلام» أربعة آلاف مجفف من همدان ، مع سعيد بن قيس، رجراجة، وكان عليهم البيض، والسلاح، والدروع، وكان الخضرية مع عبيد الله بن عمر بن الخطاب، أربعة آلاف عليهم الخضرة، فقال فتى من جذام من أهل الشام ممن كان في طليعة معاوية:

ألا قـل لـفـجـار أهل العراق ولــين الكــلام لهــم ســيه
متى مــا تـجيئـوا بـرجراجة نجــئكم بجــأواء خضـــرية
فـوارســها كـأسـود الضراب طــوال الرمـــاح يمانيـــه
قـصـــار الســيـوف بأيديهم يطولهـــا الخطـــو والنيـــة
يــقــول ابــن هند إذا أقبلت جــزى الله خـيـرا جـــذاميــه

فقال القوم للنجاشي: أنت شاعر أهل العراق وفارسهم، فأجب الرجل، فتنحى ساعة، ثم أقبل يهدر مزبداً، يقول:

مــعــاوي إن تــأتنـا مـــزبــدا بخضـــرية تلـــق رجراجـــه
أسـنــتــهــا مــن دماء الرجال إذا جالـــت الخيـــل مجاجـــه
فـوارسـهـا كــأسود الضراب إلــى الله فــي القتــل محتاجــه
وليســت لـدى الـموت وقافة وليست لـدى الخـوف فجفاجـه
وليـس بـهـم غـيـر جد اللقاء إلـــى طــول أسـيافهم حاجــه
خـطـاهم مـقـدم أسـيـافـهـم وأذرعهـــم غيـــر خداجـــه
وعــنــدك مــن وقـعهم مصدق وقـد أخرجـت أمـس إخراجـه

فشـنــت عليهم ببيض السيوف بــهــا فــقــع لجــاجه[1]

فقال أهل الشام: يا أخا بني الحارث أَروِناها فإنها جيدة.

فأعادها عليهم حتى رووها. وكانت الطلائع تلتقي، يستأمن بعضهم بعضاً، فيتحدثون [2].

إيضاحات:

رجراجة: اسم كتيبة كانت في جيش علي «عليه السلام».

المجفف: لابس التجفاف. وأصله ما يوضع على الخيل من حديد وغيره.

سية: أي سيئة.

الجأواء: الكتيبة التي علاها الصدأ.

فجفاجة: الفجفاج الكثير الصياح والجلبة.

خداجة: أي لا تقصر عن نيل العدو. والخداج: النقص.

الحافظة عند العرب:

ولنا هنا ملاحظة أخيرة، وهي: إنهم طلبوا من النجاشي أن يردّد الأبيات عليهم حتى يحفظوها، فأعادها عليهم حتى رووها..

---

(1) كذا ورد في المصدر.

(2) صفين للمنقري ص453 و454.

وهذا يشير إلى أن ما يزعم، من أن العرب كانوا يتمتعون بحافظة قوية، فيحفظون الخطب والأشعار ـ طويلها وقصيرها ـ بسهولة، وأكثرهم يحفظ من المرة الأولى، ولا يحتاج إلى الإعادة ـ إن هذا الذي يزعمونه ـ غير دقيق.. فهم كسائر الناس، فيهم قوي الحافظة، وهم قلة، وفيهم ضعيفها، وهم أكثر الناس..

والشاهد على ذلك: أن هذا الجمع لم يستطع حفظ ثمانية أبيات فقط من المرة الأولى.. فكرّرها عليهم حتى رووها..

أعداء علي × بلسان عمار بن ياسر:

روى نصر، عن عمر قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن جندب بن عبد الله، قال: قام عمار بن ياسر بصفين، فقال: امضوا [معى] عباد الله إلى قوم يطلبون ـ فيما يزعمون ـ بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان.

فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم [و] لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟!

فقلنا: لإحداثه.

فقالوا: إنه ما أحدث شيئاً.

وذلك لأنه مكّنهم من الدنيا، فهم يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال.

والله ما أظنهم يطلبون بدمه، إنهم ليعلمون أنه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرؤوها، وعلموا لو أن [صاحب] الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما [يأكلون و] يرعون فيه منها.

ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً.

ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً.

وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون، ولولا هي ما بايعهم من الناس رجلان.

اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر، فادخر لهم ـ بما أحدثوا لعبادك ـ العذاب الأليم.

ثم مضى ومضى معه أصحابه، فلما دنا من عمرو بن العاص، قال: يا عمرو: بعت دينك بمصر؟! تبا لك، وطالما بغيت الإسلام عوجاً! ثم حمل عمار وهو يقول:

صدق الله وهو للصدق أهل وتعالى ربى وكان جليلا
رب عجل شهادة لي بقتل في الذى قد أحب قتلا جميلا
مقبلاً غير مدبر إن للقتـ ـل على كل ميتة تفضيلا
إنهم عند ربهم في جنان يشربون الرحيق والسلسبيلا
من شراب الأبرار خالطه المسـ ـك، وكأسا مزاجها زنجبيلا

ثم نادى عمار عبيد الله بن عمر، وذلك قبل مقتله، فقال: يا ابن عمر

صرعك الله! بعت دينك بالدنيا من عدو الله وعدو الإسلام؟!

قال: كلا، ولكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم.

قال: كلا، أشهد على علمي فيك، أنك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله، وإنك إن لم تُقتل اليوم، فستموت غداً.

فانظر إذا أعطى الله العباد على نياتهم ما نيتك؟!

ثم قال عمار: اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسى في هذا البحر لفعلت.

اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبة سيفى في بطني، ثم أنحنى عليها حتى يخرج من ظهرى لفعلت.

اللهم وإنى أعلم مما أعلمتني أنى لا أعمل اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم اليوم عملاً أرضى لك منه لفعلته(1).

ونقول:

إننا لا نريد أن نطيل في وقفتنا هنا، ونكتفي بما يلي:

محاربوا علي × عند عمار:

يمكننا تلخيص حال محاربي علي «عليه السلام» في كلام عمار بن ياسر، كما يلي:

---

(1) صفين للمنقري ص 319 و320.

1 - إنهم لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم، ولو درس هذا الدين.

2 - إنهم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤوها.

3 - ما داموا يأكلون الدنيا ويرعونها، فلا يبالون لو انهدت عليهم الجبال.

4 - إن صاحب الحق لو تمكن منهم لحال بينهم وبين ما يأكلون، ويرعون من الدنيا.

5 - إنهم ليس لهم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية.

6 - إنهم خدعوا أتباعهم بقولهم: إن إمامهم عثمان قتل مظلوماً.

7 - إنهم إنما خدعوا أتباعهم، ليكونوا جبابرة وملوكاً.

8 - إنهم يعلمون أن عثمان لظالم، ولا يظن عمار أنهم يطلبون بدمه.

9 - لولا مكيدتهم هذه لما بايعهم من الناس رجلان.

ذو الكلاع خشي ربيعة، فقتلته:

وتقدم في الرواية رقم [2]: أن ذا الكلاع عبّر عن خشيته من مواجهة ربيعة، فإن معاوية ضرب لحمير بسهم على ثلاث قبائل، فخرج السهم على ربيعة.

فقال ذو الكلاع: «قبّحك الله من سهم كرهت الضراب».

والذي نظنه هو: أن ذا الكلاع أراد بقوله هذا أن يلوم السهم، لأنه

حدّد له ربيعة، متهماً إياه بأنه (أعني السهم) قد كره أن يجال مرة بعد أخرى.. فحدّد لهم الأمر الأخطر والأصعب، لكي يتخلص منهم، ولا يبقى هناك من يجيله..

والذي خاف منه هذا الرجل الباغي والطاغي، أوقعه الله تعالى فيه. فقد قتل على يد أحد أبطال ربيعة، بعد أن سجّل اعترافه لأبي شجاع الحميري، بعد أن أقسم له بالله أنه عارف بفضل أمير المؤمنين «عليه السلام»، وبتقدمه على غيره بما فيهم معاوية، فيكون قددلنا بذلك على أنه من الذين أضلهم الله تعالى على علم..

هل هذا تحريف مقصود؟!:

تقدم: أن النص الذي ذكره المنقري حول محاولة ابن ذي الكلاع استرداد جثة أبيه، فلم يتمكن من ذلك، يقول: إنه لما أخبر معاوية بأنه منع منهم، قال: «فما عسيت أن أصنع»؟!

وذلك لأنهم منعوا أهل الشام أن يدخلوا عسكر علي «عليه السلام» لشيء، خافوا أن يفسدوا أهل المعسكر.

لكن المعتزلي نقل هذه العبارة عن المنقري أيضاً هكذا: «فقال له: إن علياً «عليه السلام» قد منع أن يدخل أحد منا إلى معسكره، يخاف أن يفسد عليه جنده»(1).

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص238.

مع أنه ليس في نص المنقري أيضاً أن علياً «عليه السلام»، هو الذي منع.. فلماذا ينسب المعتزلي إليه ما لم يقله؟!

كما أن سعيد بن قيس، قال لابن ذي الكلاع: كذبت أن يمنعوك. إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يبالي من دخل بهذا الأمر، ولا يمنع أحداً من ذلك..

وهذا يدل على أن ابن ذي الكلاع قد كذّب على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ونسب إليه ما لم يقله.. فما معنى أن يصُوغ المعتزلي كلام المنقري بصورة تدل على أنه «عليه السلام» قد فعل ذلك؟!.. وكأنه يصدق كلام ابن ذي الكلاع، ويكذب سعيد بن قيس.. وقد صاغ الكلام بطريقة تؤدي هذا المعنى المكذوب على المنقري، وعلى علي «عليه السلام»..

الأشعث يقول: أخاف أن يتهمني علي × :

وتقدم في الرواية رقم [3]: أن ابن ذي الكلاع أرسل إلى الأشعث بن قيس، يستأذنه في أخذ جثة ذي الكلاع، فرد عليه، بقوله: إني أخاف أن يتهمني علي «عليه السلام»، فاطلبه إلى سعيد بن قيس.

وهو يشير:

أولاً: إلى أن سعيد بن قيس، كان أوثق في نفس علي «عليه السلام» من الأشعث.

ثانياً: إن الأشعث كان يعرف ذلك، ويقرّ به حتى للأعداء، فضلاً

عن الأولياء.

ثالثاً: إن إقرار الأشعث بهذا الأمر للأعداء يثير الدهشة، لأنه يعلم أن إعلام الأعداء بأمر كهذا من شأنه أن يطمعهم فيه، وأن يسعوا إلى إغوائه، والإستفادة منه لصالحهم..

رابعاً: إن هذا يسهل على الناظر أن يرتاب في إخلاص الأشعث، ويعتبر هذا الإقرار للعدو، من جملة مفردات السلوك المريب للأشعث، وأن هذا الإقرار قد جاء على قاعدة «كاد المريب أن يقول: خذوني».

أهل الشام يفسدون جيش علي × :

ويبدو لنا من سياق الكلام في الرواية رقم [3]، حول زعمهم منع الشاميين من الدخول إلى عسكر علي «عليه السلام»: أن الذين كانوا يتضايقون من تردد أهل الشام على عسكر علي «عليه السلام»، هم أهل الشام أنفسهم ـ لا علي «عليه السلام» ـ لأن معاوية هو الذي كان يخشى من أن يتأثر أهل الشام بالإحتجاجات القوية لأصحاب علي «عليه السلام»، وظهور حق علي «عليه السلام» على باطل معاوية، وأهل الشام..

وقد كانت سياسة معاوية والذين سبقوه تقضي بإبعاد أهل الشام عن الإختلاط بأهل العراق، وبغيرهم، خوفاً من تأثرهم بذلك الغير، وخصوصاً أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام».

ويكفي أن نذكر الشواهد التالية:

1 ـ قال حبيب بن مسلمة لمعاوية: «إن أبا ذر لمفسد عليك الشام، فتدارك أهله، إن كان لك فيه حاجة»(1).

فكتب معاوية إلى عثمان بذلك، فكتب عثمان: أخرجه إلي، فلما صار إلى المدينة نفاه إلى الربذة(2).

2 ـ وقد أصرّ عمر بن الخطاب على الهمدانيين إصراراً عجيباً، أن لا يذهبوا إلى الشام، وإنما إلى العراق(3).

وهمدان هي التي أسلمت في اليمن على يد أمير المؤمنين «عليه السلام».

وهي التي يقول فيها علي «عليه السلام»:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

(1) الغدير للأميني ج8 ص304 و 293 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج33 ص55 وج8 ص257 وبحار الأنوار ج22 ص415 و 395 وج31 ص176 والدرجات الرفيعة ص243 والشافي في الإمامة ج4 ص294 و 295 ونهج الحق ص299 وإحقاق الحق (الأصل) ص256 وسفينة النجاة للتنكابني ص251.

(2) الأمالي للمفيد ص122 وبحار الأنوار ج22 ص395.

(3) المصنف للصنعاني ج11 ص50.

3 - ونظير ذلك جرى لقبيلة «بجيلة» أيضاً[1].

4 - وحينما أرسل علي «عليه السلام» كتاباً إلى معاوية، وفيه الأبيات التي أولها:

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

قال معاوية: اخفوا هذا الكتاب، لا يقرأه أهل الشام، فيميلون إلى علي بن أبي طالب[2].

5 - وحين نفا عثمان الأشتر، وأبناء صوحان، وكميل بن زياد، وجندب بن زهير، والحارث الأعور، وغيرهم - نفاهم إلى الشام - «بلغ معاوية: أن قوماً من أهل الشام يجالسون الأشتر وأصحابه، فكتب إلى عثمان: «إنك بعثت إلي قوماً أفسدوا مصرهم، وأنغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي، ويعلموهم ما لا يحسنونه، حتى تعود سلامتهم غائلة»[3].

وجاء حمصي إلى عثمان بنصيحة وفيها: «.. ولا ترسل السقيم

---

(1) راجع: الكامل في التاريخ ج2 ص441.

(2) البداية والنهاية ج8 ص8 و 9.

(3) أنساب الأشراف ج6 ص151 - 156 والغدير للأميني ج9 ص31 و 32 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص325 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ص589 - 591 والبداية والنهاية ج7 ص165.

إلى البريء، ليبرئه، فإن الله يبريء السقيم، وقد يسقم السقيم البريء.

قال: ما أردت إلا الخير.

قال: فردهم، وهم زيد بن صوحان، وأصحابه..» (1).

6 - وفي وصية معاوية ليزيد: «وانظر أهل الشام، وليكونوا بطانتك. فإن رابك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم، فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بها تغيرت أخلاقهم»(2).

7 - وبعد كلام جرى بين معاوية وعكرشة بنت الأطرش بن رواحة، قال لها معاوية: «هيهات يا أهل العراق، نبهكم علي بن أبي طالب، فلن تطاقوا» ثم أمر بردّ صدقاتهم فيهم، وإنصافها(3).

ثمرات هذه السياسة:

وقد أثمرت هذه السياسة جهلاً ذريعاً لدى أهل الشام في أكثر القضايا أهمية وحساسية.

ويكفي أن نذكر الأمثلة التالية:

1 - إن البعض: «قال لرجل من أهل الشام ـ من زعمائهم، وأهل

---

(1) المصنف للصنعاني ج11 ص334.

(2) الفخري في الآداب السلطانية ص112 والعقد الفريد ج3 ص373 بتفاوت يسير.

(3) العقد الفريد ج2 ص112 وبلاغات النساء ص404 (ط دار النهضة) وراجع: صبح الأعشى.

الرأي والعقل منهم ـ: من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟!

فقال: أراه لصاً من لصوص الفتن»[1].

2 ـ وسأل هاشم المرقال أحد مقاتلي أهل الشام عن سبب مشاركته في تلك الحرب، فادعى أنهم أخبروه بأن علياً «عليه السلام» لا يصلي[2].

3 ـ حمل ابن الحنفية في حرب الجمل على أحدهم، فلما غشيه بالرمح، قال: أنا على دين عمر بن أبي طالب.

قال: فعلمت أنه يريد علياً «عليه السلام»، فأمسكت عنه[3].

4 ـ وقد حلف للسفاح جماعة من قواد أهل الشام، وأهل الرياسة والنعيم فيها، أنهم ما كانوا يعرفون أهل بيت للنبي «صلى الله عليه وآله» يرثونه غير بني أمية[4].

---

(1) مروج الذهب ج3 ص38.

(2) صفين للمنقري ص354 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص196 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص36 وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ج2 ص184 وعن تاريخ الأمم والملوك ج4 ص30 والكامل في التاريخ ج3 ص313 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (تحقيق المحمودي) ج3 ص99 وراجع: المعيار والموازنة ص160.

(3) المعيار والموازنة ص19.

(4) النزاع والتخاصم ص28 ومروج الذهب ج3 ص33 والفتوح لابن أعثم (ط

5 - وقد ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه: أن سياسات الخلفاء قبله تجاه علي وأهل بيته «عليهم السلام» قد تمخضت عن نتيجة أجازت له أن يقول: «فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب إلخ..»(1).

6 - وقال معاوية لعدي بن حاتم بعد مقتل علي «عليه السلام»: «ما أريد بذلك إلا إخلاق ذكره»(2).

فاتضح مما سبق: أن معاوية ومن معه، هم الذين كانوا متضايقين من اختلاط أهل الشام بأصحاب علي «عليه السلام».

أما علي «عليه السلام» فقد صرّح سعيد بن قيس، بإنه «عليه السلام» لا يبالي من دخل بهذا الأمر، ولا يمنع أحداً من ذلك..

فإن كان العراقيون قد تضايقوا من أهل الشام، فلا بد أن يكون تضايقهم من قلّة دينهم، ومن فسادهم الأخلاقي..

أو أنهم كانوا يخشون من أن يكون دخولهم للتجسس، ومعرفة الثغرات، وتحديد مواقع القوة ومواقع الضعف.. وربما كانوا يدخلون بهدف الإتصال بالزعماء المنحرفين من طلاب الدنيا، كالأشعث

الهند) ج8 ص195 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص159 وانساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ج3 ص159.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص299.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص134.

وغيره..

هذه مبادئ معاوية:

وقد أظهر معاوية عن وجهه الحقيقي، حين أعلن ـ كما في الرواية المتقدمة برقم [3] ـ: أن فرحه بقتل ذي الكلاع أشد من فرحه بفتح مصر، لو فتحها..

فدلّ بذلك: على أنه رجل لا وفاء له حتى لأخلص الناس، ومن ضحوا بأرواحهم دفاعاً عنه.

ودلّ أيضاً: على أنه لا يملك قضية كبرى، سوى قضية تحقيق لذاته والحصول على شهواته، ومنافعه الشخصية، فهو ضئيل النفس، لئيم الطبع، وحاقد على كل قوي، ولا يهتم لما يجري لغيره، أياً كان ذلك الغير..

والدليل على ما نقول: أن حقده على ذي الكلاع، إنما هو بسبب أنه كان يمنعه من بعض ما يأمر به، مثل ارتكاب بعض الفواحش التي تشينة بنظر أهل الشام، أو يمنعه من بعض ما كان يتضمن غدراً أو خيانة توجب سبة عليه، أو نحو ذلك.

مع أنه قد جاراه وشاركه في أعظم فاحشة ارتكبها، وهي ارتكابه لجريمة محاربة وصي الأوصياء، وسعيه في قتله، وفي هدم أركان الدين.

الموت الذليل:

وإذا كان ذو الكلاع قد آثر أن ينصر الباطل، ولم يستجب لأي من المساعي الحثيثة التي بُذلت لحفظه من الوقوع في براثن معاوية، وقد أقيمت الحجة عليه، وأزيلت الشبهة عنه، من قبل علي «عليه السلام»، ومن قبل غيره..

ولكنه أبى إلا التردّي في هاوية الغطرسة والظلم، والعدوان على الحق وأهله.. فكانت نهايته هي هذه الموتة المشؤومة، والذليلة، حتى إن قاتله يربط برجل مقتوله طنب فسطاطه.. ثم يأتي ولده، ويلتمس من قاتله أن يسمح له بجثته، ثم يطلب منه أن يعينه، على حمله..

والأنكى من هذا وذاك، أن يكون معاوية، الذي مات ذو الكلاع دفاعاً عنه من أشد الفرحين بمقتله..

الفـــهـــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل الخامس: طاعة إمامك أوجب من مبارزة عدوك.. 7
الفصل السادس: لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام............................ 41
الفصل السابع: حديث المقطع العامري.. 77
الفصل الثامن: علي × وربيعة: يستوثق من هذا.. ويمدح ذاك.. ... 97
الفصل التاسع: أحداث في معركة صفين.. 121
الفصل العاشر: فشل خطط معاوية.. 145

الباب السادس: قتل القادة الكبار..

الفصل الأول: أبو نوح.. وذو الكلاع.................................. 185
الفصل الثاني: وقفات مع نصوص الفصل السابق.. 215
الفصل الثالث: قتل عبيد الله بن عمر.. 253
الفصل الرابع: هذا هو ابن بديل.. 289
الفصل الخامس: هكذا قتل ذي الكلاع.................................. 323

الفهارس:... 357

2 - الفهرس التفصيلي

الفصل الخامس: طاعة إمامك أوجب من مبارزة عدوك..

خبر غرار بن الأدهم: 9

إيضاحات: 15

في العبارة اختلال: 16

كيف يمكن تفسير هذا؟!: 17

الإختلاف في الأشخاص: 19

قاتلوهم، يعذبهم الله بأيديكم: 20

الأمر بلزوم المركز المحدّد: 23

للتوضيح فقط: 26

لا تخلوا بمركز ولا تباشروا حدثاً: 27

طاعة الإمام أوجب من مبارزة العدو: 30

لجاج وبغي هنا.. ومثوبة وجهاد هناك: 32

ابن ربيعة يصلح ما أفسده:... 37
الفصل السادس: لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام..
قتل حريث شبيه معاوية: 43
إيضاحات: 46
حريث يتشبه بمعاوية: 47
عمرو بن العاص يخدع حريثاً: 48
لو كنت قرشياً:.. 49
فرصة النجاة لحريث: 50
سيد العرب والعجم يبارز عبداً:.. 51
لو كنت بوَّاباً على باب جنَّة:.. 51
إيضاحات: 54
معرفة القائد بعدوِّه:.. 55
أنتم درعي ورمحي: 56
أليس دخول الجنة بجواز من علي ×؟!:................................ 57
ما قاتلنا إلا لله، ولا أجبنا غيره:... 59
مضامين شعره × في همدان:.. 61
أيُّنا قتل صاحبه، فالأمر له:.. 63
لو صدق معاوية: 67

لقد أنصفك الرجل: 71
فرس رسول الله ’ والإعلام الحربي: 74
حقد ابن عمر على معاوية: 75

الفصل السابع: حديث المقطع العامري..

مبارزة العبد عار!:... 79
شهامة بني عامر: 80
المقطع العامري: 81
طي في مواجهة جيوش معاوية:....................................... 83
أخطرت نفسي لعبد أسود:... 88
سن التقاعد في الجهاد:.. 88
عام الجماعة هو عام الفرقة: 91
المقطع يطلب من معاوية أن يقتله: 92
لا مؤاخاة، ولا تزويج، ولا قبول صلة:.............................. 94

الفصل الثامن: علي × وربيعة: يستوثق من هذا.. ويمدح ذاك..

ابن المعمر يكاتب معاوية:... 99
تقرير المتهم في الملأ العام: 100
ثناء علي × على ربيعة: 102
لا إحراج، ولا إخراج:.. 103
ما جرى في المحاكمة الميدانية:...................................... 103

خيار ان كلاهما لصالح المتهم: 105

راية حضين: 107

لمن هذا الشعر في حضين؟!: 111

القائد في مواجهة المصاعب:.. 114

رايات ربيعة رايات الله!!: 116

ألا تدني رايتك ذراعاً؟!: 117

الراية حمراء أو سوداء:... 118

علي × يمدح فتى من ربيعة: 119

الفصل التاسع: أحداث في معركة صفين..

معاوية يحرض على القتال: 123

راية رسول الله ’ مع حضين:... 126

إيضاحات: 127

معاوية ينذر قتل ربيعة وسبي نسائها: 127

إيضاحات: 129

أخرجوا هذا من بينكم:.. 130

تل الجماجم: 131

إيضاحات: 132

كتيبة الخضرية الرقطاء:... 132

حتى الخطب والكلمات مسروقة: 133
أعيرونا جماجمكم ساعة:... 134
من الباغي؟!:... 134
راية رسول الله ’ مع حضين: 137
المطعم المجاني بين المعسكرين: 139
لا نذر في معصية الله:.. 142
علي × البدر المضيء:... 143

الفصل العاشر: فشل خطط معاوية..

من خطط معاوية الفاشلة: 147
إيضاحات سريعة:... 157
العشائرية أردتهم: 158
معاوية وقتل ابن عمر: 161
أنا ابن سيف الله:.. 164
ما لنا ولعثمان بن عفان!: 165
شيطان في صورة ناسك: 166
شماتة معاوية بابن العاص: 169
يعيره بما وقع هو فيه: 172
ملاحظتان أخيرتان:.. 173

كمين تخشاه ربيعة علي ×:.. 174

العلامة والشعار: 176

ربيعة ربيعة، وهمدان همدان:... 177

كمين معاوية يفرون كاليعافير:.. 179

الباب السادس: قتل القادة الكبار..

الفصل الأول: أبو نوح.. وذو الكلاع..

هكذا بدأ حديث أبي نوح:.. 187

حديث أبي نوح برواية المنقري:...................................... 190

عوف وأبو الأعور:.. 197

عمار.. وابن العاص: 199

عودة خيبة، وعودة ظفر: 204

العنسي يخرج إلى علي:... 205

لم جمعت بين الرجلين؟!: 206

لا أقاتل علياً × بعد اليوم: 206

لقد أفحمك عمار: 208

معاوية يغتال الأحرار: 211

إيضاحات سريعة:... 212

الفصل الثاني: وقفات مع نصوص الفصل السابق..

بداية: 217

شروط وضوابط لمحاورة العدو: 217

المعيار: شك ويقين معاوية: 220

رقيّ الحوار: 220

ذو الكلاع يلجأ إلى عمّار:... 223

ذو الكلاع لم يكن يريد الحق:.. 224

نقاط اختلفت فيها الروايات: 226

طَمِع فيه.. وأخاف أن يُشكّكه: 227

اختلاف الرؤية:... 229

عبد الله بن عمرو يحرض على الحرب: 229

سيما أبي تراب:... 230

الإستدراج، لتسجيل الإقرار: 234

السؤال الأبرز والأهم:... 234

سعفات هجر إخبار بالغيب:... 237

صدق، وليضرَّنَّه ما سمع: 239

وجوهنا ووجوهكم وسيمانا وسيماكم: 240

وقفات مع حوار عمرو وعمار:.. 241

لم جمعت بين الرجلين؟!: 247

في يدي من الله هدى: 247

يقين عمار شكّكهم: 248

أهل الشام لا يثقون بمعاوية: 249

علي × معصوم وقليل النظير: 250

دفاع طريف عن علي × : 251

الفصل الثالث: قتل عبيد الله بن عمر..

ابن عمر يهرب من الأشتر: 255

الطيب ابن الطيب: 256

ابن عمر والإمام الحسن ×: 257

مقتل ابن عمر:... 258

العثور على جثة ابن عمر:... 260

رثاء ابن عمر:... 262

إيضاحات: 264

أنا الطيب ابن الطيب:.. 265

الفرار الذليل لابن عمر:... 267

استماتة أصحاب معاوية كيف نفسرها؟!: 269

كل من يدعي بما ليس فيه:... 273

من هو ابن عمر؟!: 275
علي × وتر قريشاً أولاً وآخراً: 276
لا أكفر بالله ورسوله: 277
ابن عمرمقتول اليوم أو غداً: 282
لماذا يحارب ابن عمر؟!: 283
لا يخدع علي ولا الحسين ‘: 284
ابن عمر يتقلد سيف أبيه:.. 285
لا تقل في عمر إلا خيراً:... 286
معاوية يحرض ابن عمر على القتال:................................ 287

الفصل الرابع: هذا هو ابن بديل..

ابن بديل يحرض على القتال: 291
الزحف، والقتال: 292
هؤلاء هم أصحاب معاوية:.. 292
ميزات ابن بديل:.. 296
إغراءات معاوية لأهل اليمن: 297
المنطق المدان:.. 299
عمرو بن الحمق يعرف قومه: 300
ابن بديل بطل لا يجارى:... 300

قتال ابن بديل:.. 300

يزيد بن قيس يحرض:.. 303

عودة إلى قتال ابن بديل: 304

أضربكم ولا أرى معاوية: 306

ابن بديل: القرار والبدار:.. 308

يا لثارات عثمان: 310

ابن عامر والتمثيل بابن بديل: 311

نساء خزاعة.. ومعاوية:... 313

حروب الأقوياء:... 316

نموذج القاسطين:... 318

وصية ابن بديل: 320

الفصل الخامس: هكذا قتل ذي الكلاع..

ذو الكلاع في المعركة:.. 325

قتل ذي الكلاع: 326

جثّة ذي الكلاع:... 329

إيضاحات: 331

القراء يبايعون على الموت: 332

خالد بن المعمر ينهزم ويتراجع: 335

علي × يتجول في عسكره: 337
علي × لا يعرف أين بات!!: 338
فخر طويل لك يا ربيعة: 340
يا مرحباً بالصلاة: 340
الخضرية والرجراجة: 341
إيضاحات: 343
الحافظة عند العرب: 343
أعداء علي × بلسان عمار بن ياسر: 344
محاربوا علي × عند عمار: 346
ذو الكلاع خشي ربيعة، فقتلته: 347
هل هذا تحريف مقصود؟!: 348
الأشعث يقول: أخاف أن يتهمني علي ×: 349
أهل الشام يفسدون جيش علي ×: 350
ثمرات هذه السياسة: 353
هذه مبادئ معاوية: 355
الموت الذليل: 356
الفهارس: 357
1 ـ الفهرس الإجمالي 359
2 ـ الفهرس التفصيلي 361